كتاب من صفات المؤمنين في القرآن المبين

لسيدي الشيخ أحمد فتح الله الجامي حفظه الله

موقع الطريقة الشاذلية الدرقاوية
http://www.shazly.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تـــقـــديــــــم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم علـــى ســـيدنا ومولانا محمد فخر الكائنات، وعلى آله السادة الثقات، وعلى أصـــحابه أعـــلام الهـــدى الراسيات، وعلى من تبعهم وسار على نهجهم من المرشدين والدعاة، ومن تبعهم بإحســـان وحسن إقتداء إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الله تعالى يختص ويختار من خلقه من شاء وما شاء لما يشاء ؛ فاختار نبيـــه وحبيبـــه وصفيه سيدنا ومولانا محمداً صلى الله عليه وسلّم من بين سائر المخلوقات ، ليكون عَلَمـــاً للهداية إلى سبيل الفلاح والنجاح ، منذ خلق الله الخلق إلى أن يرث الله الأرض وما عليها. كما جعل كتابه المبين، القرآن الكريم، منبع هداية لكل من قرأه مؤمناً به، متدبراً لآياتـــه، مستعيناً بالله على العمل بما جاء فيه، من امتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والتخلق بأخلاقه، بعد التحقق بكمال الإيمان بما جاء فيه، خصوصاً بعد أن قال الله عز جل فيـــه : { الْيَـــوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً } [المائدة : ٣] فكان من يعمل بما فيه إنساناً كاملاً؛ بل قل قرآناً يمشي على الأرض، وكذلك كان سيدنا وحبيبنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلّم كما وصفته أمنا أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها.

واختص الله تعالى بعد النبي صلى الله عليه وسلّم أصحابه الكرام، ليكونوا حملة هـذا القرآن العظيم ليبلغوه إلى الناس كافة بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، واختص من بعـدهم أتباعهم بإحسان إلى يوم الدين. ومن أتباعهم العلماء العاملون، ورّاث النبي صلى الله عليه وسلّم من المرشدين الهادين المهديين، الذين قال فيهم الـنبي صـلى الله عليـه وسـلّم : « العلماء ورثة الأنبياء ». (١)

ولا يـزال هؤلاء العلماء حريصين على هدايـة الخلق ودعوتهم إلى سلوك الطريق البين الواضح، طريق القرآن الكريم، متمثلاً بأخلاق النبي العظيـم الذي قال الله تعـالى لـه : { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ } [القلم : ٤] يدعون الناس إلى قراءة القرآن الكريم، وتدبر آياته وفهمها، والعمل بما فيها، لأن قراءة القرآن بغير تدبر ــ وإن كان فيها الأجر العظيم مـن حيث الحسنات ــ قد تكون حجة على القارىء يوم القيامة، إذا لم يعمل بها.

ومن هؤلاء الدعاة المرشدين شيخنا العالم العامل الزاهد الورع الخائف من تقصـيره في أداء ما حمل من هذه الأمانة، شيخ الطريقة الشاذلية العلية الشيخ أحمد فتح الله جامي، أمـد الله في عمره، مع تمام الصحة والعافية، وأفاض علينا من علومه وفيوضاته وبركاته ما يقربنا إلى الله تعالى، ويشفع لنا في تقصيرنا يوم القيامة، إنه سميع مجيب.

وقد قام ــ حفظه الله تعالى ــ بتتبع آيات القرآن الكريم، واختار منها الآيات التي تتمثل فيها أخلاق المسلم الكامل، لأننا في هذا الزمان أحوج ما نكون إلى التخلق بأخلاق القرآن الكريم، ثم قام بعد ذلك بتتبع أقوال الأئمة من المفسرين، واختار منها ما رآه مناسباً لعرضه في هذا الزمان، وجمع ذلك في كتابه هذا وسماه « من صفات المؤمنين في الكتاب المـبين ». لعله يستفيد منه أولاً إخوانه ومحبوه وسالكوا طريقته، ثم عامة المسلمين بعد ذلك.

وما عمل ذلك ــ كما قال حفظه الله تعالى ــ إلا شفقةً على عباد الله تعالى ، ومحبةً لأمة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلّم أيّاً كان مشربهم. ولأن الأخذ بالأخلاق النبوية هـو أخذ بالشريعة.

(١) رواه الإمام أحمد وأصحاب السنن عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

جزى الله شيخنا عنا خير الجزاء، ونفعنا والمسلمين بقراءة هذا الكتاب، ووفقنا للعمل بما فيه، وجعله حجةً لنا وله يوم : { يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْـــبٍ سَلِيمٍ } [الشعراء : ٨٩] وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. والحمد لله رب العالمين.

حلب ٣ / صفر الخير ١٤٢٠ — وكتبه

١٨/ أيـــــــــــــار ١٩٩٩ — أبو عبد القـــادر

محمد نديم الشهابي

مدرس ديني أول وإمام وخطـــيب

جامع الفتح بحلب

بسم الله الرحمن الرحيم

ــ مقــدمــــة ــ

الحمد لله الذي أكمل لنا ديننا، وأتم علينا نعمته، ورضي لنا الإسلام ديناً. وصلى الله وسلم على حضرة نبينا سيدنا محمد النبي الأمي إمام المتقين وخاتم النبيين، صاحب الخلق العظيم، وعلى آله وأصحابه أجمعين. ورضي الله تعالى عن السابقين الأولين من الأنصار والمهاجرين، والذين اتبعوهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأعد لهم جناتٍ تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أَبَدَاً، وذلك الفوز العظيم.

أما بعد:

فإن أعظم ما يُعَوِّل عليه الإنسان كتاب الله عز وجل، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لأنه محفوظٌ بحفظ الله له، حيث قال تعالى : { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }. وهذا القرآن العظيم هو المنهج الذي يسير عليه المؤمن حتى يصل إلى مرضاة الله عز وجل، فهو الكامل المكمِّل الذي لا يستدرك عليه، لقوله تعالى : { مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ }[الأنعام : ٣٨] فمن أراد صفات الكمال فعليه بالقرآن الكريم، لأنَّ فيه كمال العقيدة، وكمال العبادة، وكمال الأخلاق. ونحن بأمس الحاجة لأن نتحلى بالأخلاق المرضية بعد رمي الأخلاق الذميمة، ومن قرأ القرآن الكريم فإنه يجد فيه المدح لمن اتصف بتلك الأخلاق المرضية، والصفات الحميدة، فتارةً يمدحهم بأنهم هم المتقون، فيقول : { وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّآءِ وَالضَّرَّآءِ... } [آل عمران : ١٣٣].

وتارةً أخرى يمدحهم بأنهم هم الأبرار، فيقول : { إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً (٥) عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً (٦) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ... } [الإنسان : ٧].

وتارةً يمدحهم بأهم هم الأولياء، فيقول : { أَلآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ ءامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ } [يونس : ٦٣].

وتارةً يمدحهم بأهم هم المحسنون، فيقول : { إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُواْ قَلِيلاً مِّن اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ...} [الذاريات : ١٧].

وتارةً يمدحهم بأهم هم أولوا الألباب، فيقول : { إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً...} [آل عمران : ١٩١].

وتارةً يمدحهم بأهم هم خير البرية، فيقول : { إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُوْلَـئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ } [البينة : ٧].

وتارةً يمدحهم بأهم هم المفلحون، فيقول : { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِى صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ...} [المؤمنون : ٢].

وتارةً يمدحهم بأهم هم الصالحون، فيقول : { وَيُسَارِعُونَ فِى الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَـئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ } [آل عمران : ١١٤].

وتارةً يمدحهم بأهم هم المخبتون، فيقول : { وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ... } [الحج : ٣٥].

وتارةً يمدحهم بأهم هم المؤمنون، الخائفون، القانتون، المقرَّبون، الخاشعون، السائحون، التائبون، العابدون، المقسطون، الصادقون، الصابرون، الذاكرون، المهتدون، وأهم هم عباد الرحمن.

ولو نظرت إلى تلك الصفات الحميدة، والأخلاق المرضية المبثوثة في القرآن الكريم، لوجدتها كلَّها تجمعت في شخصية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلّم.

روى ابن أبي شيبة عن عائشة رضي الله عنها، أنها سئلت عن خُلُــق رسول الله صلى الله عليه وسلّم؟ فقالت : « كــان أحسن النــاس خُلُقَــاً، كان خلقه القرآن، يرضى لرضاه ويغضب لغضبه، لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً، ولا صخَّاباً في الأسواق، ولا يجزي بالســيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح ». ثم قالت : اقرأ : { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُــونَ ...} إلى العشــر الآيات، فقرأ السائل، فقالت : « هكذا كان خلقه صلى الله عليه وسلّم ». وروى الشيخان عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: ما خُــيِّر رسول الله صلى الله عليه وســلّم بــين أمرين إلا أخذ أيسرَهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعدَ الناس منه، وما انتقم رســول الله صلى الله عليه وسلّم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله.

وحسن الخلق من شعب الإيمان، بل هو من كمال الإيمان، لقوله عليه الصلاة والسلام : « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم لأهله ». رواه الترمذي وأبو داوود.

وهو سبب لقرب العبد المؤمن من حضرة النبي صلى الله عليه وســلّم، كمــا جــاء في الحديث الذي رواه الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رســول الله صــلى الله عليه وسلّم : « إنَّ أحبَّكم إليَّ أحاسنُكم أخلاقاً، الموطَّئون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفــون. وإنَّ أبغضكم إليَّ المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الملتمسون للبرآء العيب ».

وروى الترمذي عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صــلى الله عليــه وسلّم قال: « إن من أحبكم إليَّ وأقرَبكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً » .

وكان يوصي رسول الله صلى الله عليه وسلّم بذلك، كما ذكر المنــذري في الترغيــب والترهيب، عن العلاء بن الشِّخِّير رضي الله عنه، أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وســلّم من قِبل وجهه، فقال : يا رسول الله أي العمل أفضل؟. قال : « حسن الخلق ». ثم أتاه عن يمينه، فقال : أي العمل أفضل؟. قال : « حسن الخلق ». ثم أتاه عن شماله، فقال : يا رسول الله أي العمل أفضل؟. قال : « حسن الخلق ». ثم أتاه من بعده، يعني : من خلفه، فقال : يا رسول الله أي العمل أفضل؟. فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فقال : « ما لك لا تفقه حسن الخلق هو أن لا تغضب إن استطعت » .

وروى مسلم عن النواس بن سمعان رضي الله عنه، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلّم عن البر والإثم، فقال: « البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس » ، وروى الترمذي وأبو داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: « ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله يبغض الفاحش البذيء »، وروى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول: « إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم » .

فالأخلاق الحميدة هي التي أمر الشرع بالاتصاف بها، ولما كانت النفوس أمارة بالسوء لا تخرج عن طبيعتها ما دامت الروح في الجسد، فوجب على المؤمن أن يجاهد نفسه، ويخالف هواه، ويقيد نفسه بقيود الشريعة حتى يرقى، لأن كل واحدٍ من الخلق جعل لنفسه قيداً، فمنهم من جعل قيده هواه، ومنهم من جعل قيده النفس الأمارة بالسوء، ومنهم من جعل قيده الشهوات، ومنهم من جعل قيده كتاب الله عز وجل. فالعاقل هو الذي يقيد نفسه بشرع الله عز وجل حتى يرقى في مدارج الكمال.

ولا يمكن للعبد أن يترقى في مدارج الكمال، ويخرج عن طبيعته البشرية المخالفة، ويبتعد عن الزندقة إلا بالتمسك بالكتاب والسنة سلوكاً وعملاً. أما ادعاء الانتساب للطريقة، والكشف والكرامة، بدون التخلق بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلّم فإنه لا يلتفت إليه ولا يعتمد عليه.

ولا يمكن لنا أن نبين في هذا الكتاب جميع الأخلاق المذكورة في القرآن، ولا جميع أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلّم المبثوثة في القرآن، ولا جميع صفات المؤمنين التي ذكرت في القرآن العظيم. وكلما نقرأ القرآن الكريم نطلع فيه على أخلاقٍ ومعانٍ جديدة وعميقة، ولا يمكن لأحدٍ من البشر أن يحيط بأسرار ومعاني القرآن، لأنه كلام الله تعالى. نسأل الله تعالى أن يوفقنا للعمل بالكتاب والسنة ما دامت أرواحنا في أجسادنا.

ولذلك نظرنا في كتاب الله عز وجل، واخترنا بعضاً من الآيات الكريمة التي تتحدث عن صفات المؤمنين وأخلاقهم، ورجعنا إلى التفاسير الموثقة، فنقلنا منها ما هو الصحيح المختصر، ليسهل على المؤمن قراءتها والرجوع إليها، ثم بعد ذلك يطبق على نفسه ما أمر الله عز وجل به ونهى عنه، ليفوز بسعادة الدارين.

وما عملت هذا إلا شفقة على عباد الله تعالى، ومحبة لأمة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلّم، أيّاً كان مشربهم. ولأن الأخذ بالأخلاق النبوية هو أخذ بالشريعة، والأخذ بها يحقق رضا الله عز وجل ورضا رسوله صلى الله عليه وسلّم.

أرجو الله عز وجل أن ينفعني به وينفع به عباده المؤمنين. إنه خير مسؤول وخير مأمول. وصلى الله على سيدنا محمد صاحب الخلق العظيم، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

أحمد فتح الله جامي

صفـــات الـــمتقيـــن

بسم الله الرحمن الرحيم

{ الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُـــونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنـــزِلَ مِـــن قَبْلِـــكَ وَبِـــالأْخِرَةِ هُـــمْ يُوقِنُـــونَ (٤) أُوْلَـــئِكَ عَلَـــى هُـــدًى مِّـــن رَّبِّهِـــمْ وَأُوْلَـــئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [البقرة : ٥].

قوله تعالى : { الم } قال الشعبي وجماعة : ألم وسائر حروف الهجاء في أوائل الســـور مـــن المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، وهي سر القرآن، فنحن نؤمن بظاهرها، ونكل العلم فيها إلى الله سبحانه وتعالى. وفائدة ذكرها طلب الإيمان بها. والسبب في ذلك أن العقـــول الضعيفـــة لا تحتمل الأســـرار القويـــة، كما لا يحتمل نـــورَ الشمس أبصارُ الخفافيش، والله تعالى استأثر بعلمٍ لا تقدر عليه عقول الأنبياء، والأنبياء استأثروا بعلمٍ لا تقدر عليه عقـــول العلمـــاء، والعلمـــاء استأثروا بعلمٍ لا تقدر عليه عقول العامة .

قوله تعالى : { ذَلِكَ الْكِتَابُ } إشارة إلى الكتاب الموعود به صلى الله عليه وسلّم بقوله تعالى: { إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً } [المزمل : ٥].

والإشارة به للتعظيم. أي : والقرآن وإن كان قريباً منا إلا أنه مرفوع الرتبة وعظيم القدر من حيث إنه منـــزه عن كلام الحوادث.

قوله تعالى : { لاَ رَيْبَ فِيهِ } أي : لمـــن أذعـــن وأقـــام البرهـــان وتأمل، فلا ريـــب فيـــه للعارفين المنصفين، وأما من عاند فلا يعتد به، إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل.

قوله تعالى : { هُدًى } الهدى هديان : هدى دلالة : وهو الذي تقدر عليه الرسل وأتباعهم، قال الله تعالى : { وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَطٍ مُّسْتَقِيمٍ } [الشورى : ٥٢] فأثبت له الهدى الذي معناه الدلالة والدعوة والتنبيه، وتفرَّد هو سبحانه بالهدى الذي معناه التأييد والتوفيق، فقال لنبيه صلى الله عليه وسلّم : { إِنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ } [القصص : ٥٦] فالهدى على هذا يجيء بمعنى خلق الإيمان في القلب.

قوله تعالى : { لِّلْمُتَّقِينَ } الصائرين إلى التقوى بامتثال الأوامر واجتناب النـــواهي لاتقـــائهم بذلك النار. وتخصيص المتقين بالذكر تشريفـــاً لهم، ولأهـــم هـــــم المنـــــتفعون بالهـــــدى، وللتقـــوى ثـــلاث مراتب:

الأولى : التوقي من العـــذاب المخلـــد بـــالتبري عـــن الشـــرك، وعليـــه قولـــه تعـــالى : { وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى } [الفتح : ٢٦].

والثـــانيـــة : التجنب عن كـــل ما يؤثـــم من فعل أو تـــرك، حتـــى الصغائر عند قـــوم. وهو المعنيُ بقوله تعالى : { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُواْ وَاتَّقَوْاْ } [الأعراف : ٩٦].

والثالثـــة : أن يتنـــزه عما يشغل سره عن الحق تعالى، وهذه هي التقوى الحقيقية المطلوبـــة بقوله تعالى : { يأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ } [آل عمران : ١٠٢].

ويقول الإمام القشيري رحمه الله في تفسيره عند قوله جل ذكره : { هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } أي : بياناً وحجةً وضياءً ومحجةً لمن وقاه الحق سبحانه وتعالى من ظلمات الجهل، وبصره بأنوار العقل، واستخلصه بحقائق الوصل. وهذا الكتاب للأولياء شفاء، وعلى الأعداء عمىً وبلاء. المتقي من اتقى رؤية تقاه، ولم يستند إلى تقواه، ولم ير نجاته إلا بفضل مولاه.

قوله تعالى : { الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ } الإيمان في الشريعة هو : الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان. والإسلام الخضوع والانقياد، فكل إيمان إسلام وليس كل إسلام إيماناً إذا لم يكن معه تصديق، فقد يكون الرجل مسلماً ظاهراً غير مصدق باطناً، ولا يكون مصدقاً باطناً غير منقاد ظاهراً.

والغيب : كل ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلّم مما لا تهتدي إليه العقول، من أشراط الساعة وعذاب القبر والحشر والنشر والصراط والميزان والجنة والنار.

وهذا هو الإيمان الشرعي المشار إليه في حديث جبريل عليه السلام حين قال للنبي صلى الله عليه وسلّم : فأخبرني عن الإيمان. قال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره » قال : صدقت. وذكر الحديث. رواه مسلم.

قوله تعالى : { وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ } الصلاة في الشرع عبارة عن أفعال مخصوصة يتلو بعضها بعضاً مفتتحة بالتحريم، مختتمة بالتحليل. ومعنى إقامة الصلاة تعديل أركانها، وحفظها من أن يقع زيغ في فرائضها وسننها وآدابها، ثم الغيبة عن شهودها برؤية من يصلَّى له، فنفوسهم مستقبلة القبلة، وقلوبهم مستغرقة في حقائق الوصلة.

وذكر أن حاتماً الزاهد دخل على عاصم بن يوسف فقال له عاصم : يا حاتم هل تحسن أن تصلي؟. فقال : نعم. قال : كيف تصلي؟. قال : إذا تقارب وقت الصلاة أسبغ الوضوء، ثم أستوي في الموضع الذي أصلي فيه حتى يستقر كل عضو مني، وأرى الكعبة بين حاجبَيَّ، والمقام بحيال صدري، والله فوقي يعلم ما في قلبي، وكأن قدمي على الصراط، والجنة عن يميني، والنار عن شمالي، وملك الموت خلفي، وأظن أنها آخر الصلاة، ثم أكبر تكبيراً بإحسان، وأقرأ قراءة بتفكر، وأركع ركوعاً بالتواضع، وأسجد سجوداً بالتضرع، ثم أجلس على التمام، وأتشهد على الرجاء، وأسلم على السنة، ثم أسلمها للإخلاص، وأقوم بين الخوف والرجاء، ثم أتعاهد على الصبر. قال عاصم : يا حاتم أهكذا صلاتك؟!. قال : كذا صلاتي منذ ثلاثين سنة، فبكى عاصم، وقال : ما صليت من صلاتي مثل هذا قط.

قوله تعالى : { وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ } أصل الإنفاق إخراج المال من اليد، وفيه فائدتان : إحداهما : أدخل من التبعيضية صيانة لهم وكفاً عن الإسراف والتبذير المنهي عنه. وثانيتهما : يدخل في الإنفاق المذكور في الآية، الإنفاق الواجب، والإنفاق المندوب.

وقالوا: إنفاق أهل الشريعة من حيث الأموال، وإنفاق أرباب الحقيقة من حيث الأحوال، وإنفاق الأغنياء من أموالهم لا يدخرونها عن أهل الحاجة، وإنفاق العابدين من نفوسهم لا يدخرونها عن وظائف الخدمة، وإنفاق العارفين من قلوبهم لا يدخرونها عن حقائق المراقبة، وإنفاق المحبين من أرواحهم لا يدخرونها عن مجاري الأقضية.

قوله تعالى : { وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ } هذا الإيمان واجب، لأنه قال في آخره : { وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } . فثبت أن من لم يكن له هذا الإيمان وجب أن لا يكون مفلحاً، وإذا ثبت أنه واجب وجب تحصيل العلم بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلّم على سبيل التفصيل؛ على سبيل الكفاية. فإن تحصيل العلم بالشرائع النازلة على محمد صلى الله عليه وسلّم على سبيل التفصيل غير واجب على العامة، وأما قوله تعالى : { وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ } فالمراد به ما أنزل على الأنبياء الذين كانوا قبل محمد صلى الله عليه وسلّم، والإيمان به واجب على الجملة، لأن الله تعالى ما تعبدنا الآن به حتى يلزمنا معرفته على التفصيل.

قوله تعالى : { وَبِالأْخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ } أي : ويعتقدون اعتقاداً جازماً لا يلابسه شك أو ارتياب بالدار الآخرة التي تتلو الدنيا، بما فيها من بعث وجزاء، وجنة ونار، وحساب وميزان. وإنما سميت الدار الآخرة لأنها بعد الدنيا.

قوله تعالى : { أُوْلَـئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } وحاصل الفلاح يرجع إلى ثلاثة أشياء:

أحدها : الظفر على النفس فلم يتابعوا هواها، والدنيا فلم يطغوا بزخارفها، والشيطان فلم يفتنوا بوساوسه، وقرناء السوء فلم يُبتلَوا بمكروهاتهم.

والثاني : النجاة من الكفر والضلالة، والبدعة والجهالة، وغرور النفس ووسوسة الشيطان، وزوال الإيمان وفقد الأمان، ووحشة القبور وأهوال النشور، وزلة الصراط، وتسليط الزبانية الشداد الغلاظ، وحرمان الجنان، ونداء القطيعة والهجران.

والثالث : البقــاء فــي الملك الأبــدي، والنعيــم السرمــدي، ووجدان ملــك لا زوال لــه، ونعيم لا انتقال لــه، وسرور لا حــزن معه، وشباب لا هرم معه، وراحة لا شدة معهــا، وصحة لا علة معها، ونيل نعيم لا حساب معه، ولقاء لا حجاب له.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

مــراقبــة الــنفـــس

بسم الله الرحمن الرحيم

{ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُــونَ الْكِتَــابَ أَفَــلاَ تَعْقِلُــونَ (٤٤) وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَــقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ } [البقرة : ٤٦].

قوله تعالى : { أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ } يخاطب الله أحبار اليهود فيقول لهم على سبيل التقريــع والتوبيخ : { أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ }؟ أي : أتدعون الناس إلى الخير وإلى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلّم {وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ } أي : أتتركونها فلا تؤمنون ولا تفعلون الخير { وَأَنــتُمْ تَتْلُــونَ الْكِتَابَ } ؟ أي : حال كونكم تقرؤون التوراة، وفيها صفة ونعت محمد صلى الله عليه وســلّم { أَفَلاَ تَعْقِلُونَ } أي : أفلا تفطنون وتفقهون أن ذلك قبيح فترجعون عنه؟.

أما البر فهو اسم جامع لأعمال الخير، واعلم أنه سبحانه وتعالى لما أمر بالإيمان والشرائع بناء على ما خصهم به من النعم، ورغبهم في ذلك بناه على مأخذ آخر، وهو أن التغافل عن أعمــال البر مع حث الناس عليها مستقبح في العقول، إذ المقصود من أمر الناس بذلك إما النصــيحة أو الشفقة، وليس من العقل أن يشفق الإنسان على غيره أو أن ينصح غيره ويهمل نفسه، فحذرهم الله تعالى من ذلك بأن قرعهم بهذا الكلام.

ومثل ذلك يقال في علماء المسلمين، لأن كل آية وردت في الكفار تجر ذيلها علـــى عصـــاة المؤمنين. فالحاصل أن العالم إن كان كافراً فهو معذب من قبل عباد الوثن، لأن وزر من كفـــر في عنقه، وأما إن كان مسلماً ولكنه فرط في العمل بالعلم فهو أقبح العصاة عذاباً. هذا هو الحـــق فقولهم:

وعـــــــالم بعلمـــــــه لم يعملـــــــن معـــذب مـــن قبـــل عبـــاد الـــوثن

محمول على العالم الكافر ، كعلماء اليهود والنصارى.

قوله تعالى : { وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ } وتتركونها من البر كالمنسيات.

قوله تعالى : { وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ } توبيخ عظيم لمن فهم. {وَأَنـــتُمْ تَتْلُـــونَ } تقـــرؤون { الْكِتَابَ } التوراة. وكذا من فعل فعلهم كان مثلهـــم.قولـــه تعالـــى : { أَفَلاَ تَعْقِلُونَ } فهو تعجب للعقـــلاء من أفعالهم. ونظيره قوله تعالى : { أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّـــهِ أَفَـــلاَ تَعْقِلُونَ } [الأنبيـــاء : ٦٧] فالذم في الآية راجع إلى ارتكاب الواعظ ما نهى عنه، لا عن نهيه عـــن المنكر، فإن المكلف مأمور بشيئين، أحدهمـــا : تـــرك المعصيـــة. والآخـــر : نهـــي الغيـــر عـــن فعلها. والإخلال بأحد التكليفين لا يقتضي الإخلال بالآخر، وإن أكثر العلمـــاء على أن الأمـــر بالبـــر واجـــب وإن كـــان الإنســـان ناسيـــاً لنفسه.

فاعلم وفقك الله أن التوبيخ في الآية بسبب ترك فعل البر، لا بسبب الأمر بالبر، ولهذا ذم الله تعالى في كتابه قوماً كانوا يأمرون بأعمال البر ولا يعملون بها، وبَّخهم به توبيخاً يتلى على طول الدهر إلى يوم القيامة فقال : { أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ }.

قـــوله تعالى : { وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ } الصبـــر علـــى الأذى والطاعات من بـــاب جهاد النفس وقمعها عن شهواتها ومنعها من تطاولها، وهو من أخلاق الأنبياء والصالحين.

قوله تعالى : {وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ } الخشوع : هيئة في النفـــس يظهر منهـــــا فـــي الجـــوارح سكـــون وتواضـــع. قال سهل بن عبد الله : لا يكـــون خاشعـــاً حتى تخشـــع كل شعـــرة علـــى جســـده، لقول الله تبارك وتعالى : {تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ} [الزمر : ٢٣].

قلت : هذا هو الخشوع المحمود، لأن الخوف إذا سكن القلب أوجب خشوع الظـــاهر فـــلا يملك صاحبه دفعه، فتراه مطرقاً متأدباً متذللاً. وقد كان السلف يجتهدون في ستر ما يظهر مـــن ذلك، وأما المذموم فتكلُّفه والتباكي ومطاطأة الرأس، كما يفعله الجهال لِيُـــــرَوْا بعـــين الـــبر والإجلال، وذلك خدع من الشيطان، وتسويل من نفس الإنسان.

قوله تعالى : { الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ } المراد من الرجوع إلى الله تعالى الرجوع إلى حيث لا يكون لهم مالك سواه، وأن لا يملك لهم أحد نفعاً ولا ضراً غيرُه، كما كانوا كذلك في أول الخلق، فجعل مصيرهم إلى مثل ما كانوا عليه أولاً، رجوعاً إلى الله من حيث كانوا في سائر أيام حياتهم. قد يملك غيره الحكم عليهم ويملك أن يضرهم وينفعهم وإن كان الله تعالى مالكاً لهم في جميع أحوالهم .

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

الـــصبـــر ونـــتـــائـــجـــــه

بسم الله الرحمن الرحيم

{ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّـــرِ الصَّـــابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَآ أَصَـــابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّـــآ إِلَيْهِ رَاجِعونَ (١٥٦) أُولَـــئِكَ عَلَـــيْهِمْ صَـــلَوَاتٌ مِّـــن رَّبِّهِـــمْ وَرَحْمَـــةٌ وَأُولَـــئِكَ هُـــمُ الْمُهْتَـــدُونَ }

[البقرة : ١٥٥- ١٥٧].

قوله تعالى : { وَلَنَبْلُوَنَّكُم } أي : لنختبرنكم يا أمة محمد صلى الله عليه وسلّم، والابـــتلاء إظهار الطائع من العاصي، لا ليعلم شيئاً لم يكن عالماً به، فإنه سبحانه وتعالى عالم بجميع الأشـــياء قبل كونها وحدوثها.

قوله تعالى : { بِشَيْءٍ } بقليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه.

قوله تعالى : { مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّـــنَ الأَمَـــوَالِ وَالأنفُـــسِ وَالثَّمَـــرَاتِ وَبَشِّـــرِ الصَّـــابِرِينَ } خطاب للنبي صلى الله عليه وسلّم أو لكل من تتأتى منه البشارة. أي : بـــالثواب على الصبر. وثوابه غير مقدر، لكن لا يكون ذلك إلا بالصبر عند الصدمة الأولى، كمـــا روى البخاري عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال : « إنما الصبر عند الصدمة الأولى ». أي : إنما الصبر الشاق على النفس الذي يعظم الثواب عليه إنما هو عند هجوم المصيبة وحرارتها، فإنه

يدل على قوة القلب وتثبته في مقام الصبر، وأما إذا بردت حرارة المصيبة فكل أحد يصبر إذ ذاك. ولذلك قيل : يجب على كل عاقل أن يلتزم عند المصيبة ما لابد للأحمق منه بعد ثلاث.

والصبر صبران : صبر عن معصية الله، فهذا مجاهد، وصبر على طاعة الله، فهذا عابد. فإذا صبر عن معصية الله وصبر على طاعة الله أورثه الله الرضا بقضائه. وعلامة الرضا سكون القلب بما ورد على النفس من المكروهات والمحبوبات.

ودلت هذه الآية على أمرين. أحدهما : أن هذه المحن لا يجب أن تكون عقوبات، لأنه تعالى وعد بها المؤمنين من الرسول صلى الله عليه وسلّم وأصحابه. وثانيهما : أن هذه المحن إذا قارنها الصبر أفادت درجة عالية في الدين.

قوله تعالى : { الَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّـآ إِلَيْهِ رَاجِعونَ } المصيبة : كل ما يؤذي المؤمن ويصيبه. خرج مسلم عن أبي سعيد الخدري وعن أبي هريرة رضي الله عنهما أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول : « ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يُهَمُّه إلا كُفِّر به من سيئاته ».

قوله تعالى : { أُولَـٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبْهِمْ وَرَحْمَةٌ } هذه نعم من الله عز وجل على الصابرين المسترجعين. وصلاة الله على عبده عفوه ورحمته وبركته وتشريفه إياه في الدنيا والآخرة. وكرر الرحمة تأكيداً وإشباعاً للمعنى.

وفي البخاري قال عمر رضي الله عنه : نعم العِدلان ونعم العِلاوة : { الَّذِينَ إِذَآ أَصَـــابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّـآ إِلَيْهِ رَاجِعونَ (١٥٦) أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبْهِـمْ وَرَحْمَـةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ } أراد بالعِدلين الصلاة والرحمة، وبالعِلاوة الاهتداء.

قوله تعالى : { وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ } روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : ما أصابتني مصيبة إلا وجدت فيها ثلاث نعم.

الأولى : أنها لم تكن في ديني.

الثانية : أنها لم تكن أعظم مما كانت.

الثالثة : أن الله يجازي عليها الجزاء الكبير. ثم تلا قوله تعالى : { أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبْهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ }. وقال صلى الله عليه وسلّم : « إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته : قبضتم ولد عبدي؟. فيقولون : نعم، فيقول قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون : نعم، فيقول : فماذا قال عبدي؟ فيقولون : حمدك واسترجع، فيقول الله تعالى : ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد ». أخرجه الترمذي.

ويقول الإمام القشيري رحمه الله عند هذه الآية الكريمة : ابتلاهم بالنعمة ليظهر شكرهم، وابتلاهم بالمحنة ليظهر صبرهم، ابتلاهم بالخوف وفيه تصفية لصدورهم، وبالجوع وفيه تنقية لأبدانهم، وبنقص من الأموال تزكو به نفوسهم، وبمصائب النفوس يعظم بها عند الله أجرُهم، وبآفة الثمرات يتضاعف من الله خلفهم.

قوله تعالى : { الَّذِينَ إِذَآ أَصَـــبَتْهُم مُّصِيبَةٌ ... } الآية. قابلوا الأمر بالصبر، لا بل بالشكر، لا بل بالفرح والفخر. ومن طالع الأشياء مِلكاً للحق رأى نفسه أجنبياً بينه وبين حكمه، فمُنشـــئ الخلق أولى بالخلق من الخلق. ويقال : من شهد المصائب شهد نفسه لله وإلى الله، ومن شاهد المبلِي علم أن ما يكون من الله، فهو عبد بالله، وشتان بين من كان لله وبين من كان بالله. الذي كان لله فصابر واقف، والذي هو بالله فساقط الاختيار والحكم، إن أثبته ثبت، وإن محـــاه انمحـــى، وإن حركه تحرك، وإن سكّنه سكن، فهو عن اختياراته فانٍ، وفي القبضة مصرَّف.

قـــوله تعـــالى : { أُولَـــئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـــئِكَ هُمُ الْمُهْتَـــدُونَ } بصلواته عليهم ابتداءً. وصلوا إلى صبرهم ووقوفهم عند مطالبات التقدير، لا بصبرهم ووقوفهم وصلوا إلى صلواته. فلولا رحمته الأزلية لما حصلت طاعتهم بشرط العبودية، فعنايتـــه الســـابقة أوجبت لهم هدايةً خالصة. قال تعالى : { أُولَـــئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـــئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ } لما رحمهم في البداية اهتدوا في النهاية.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حـــول ولا قوة إلا بـــالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

حـــقيقـــة الـــبــــــر

بسم الله الرحمن الرحيم

{ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الْأَخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَـابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِى الْبَأْسَآءِ والضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } [البقرة : ١٧٧].

قوله تعالى : { لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ } اعلم أن الله تعالى اعتبر في تحقق ماهية البر أموراً:

أولها : الإيمان بالله، ولن يحصل العلم بالله إلا عند العلم بذاته المخصوصة، والعلم بما يجب ويجوز ويستحيل عليه. وثانيها : الإيمان باليوم الآخر. وثالثها : الإيمان بالملائكة. ورابعها : الإيمان بالكتب. وخامسها : الإيمان بالرسل.

وههنا سؤال : لم قدم هذا الإيمان على أفعال الجوارح، وهو إيتاء المال، والصلاة، والزكاة؟.

الجواب : للتنبيه على أن أعمال القلوب أشرف عند الله من أعمال الجوارح.

قوله تعالى : { وَالْيَوْمِ الآخِرِ } أي : مع ما يتعلق به من الحشر، والنشر، والصراط، والميزان، والجنة، والنار، وما فيهما من الثواب والعقاب. وعلى أنه كائن لا محالة، وهو على ما هو عليه، لا كما يزعمون من أنهم لا تمسهم النار إلا أياماً معدودة، وأن آباءهم الأنبياء، ويشفعون لهم.

قوله تعالى : { وَالْمَلائِكَةِ } كلهم بأنهم عباد الله ليسوا بذكور ولا إناث، ولا بشر ولا أولاد الله، مكرمون عنده، متوسطون بينه وبين أنبيائه بإلقاء الوحي وإنزال الكتب.

قوله تعالى : { وَالْكِتَـابِ } أي : بجنس الكتاب الإلهي الذي من أفراده الفرقان. قوله تعالى : { وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِى الْقُرْبَى وَالْيَتَـامَى وَالْمَسَـاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِى الْبَأْسَآءِ والضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } الآية كما ترى جامعة للكمالات الإنسانية بأسرها، دالة عليها صريحاً أو ضمْناً، فإنها بكثرتها وتشعُبها منحصرة في ثلاثة أشياء : صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس. وقد أُشير إلى الأول بقوله : { مَنْ ءَامَنَ } إلى { وَالنَّبِيِّينَ }. وإلى الثاني بقوله : { وَءَاتَى الْمَالَ } إلى { وَفِي الرِّقَابِ } وإلى الثالث بقوله : { وَأَقَامَ الصَّلاةَ } إلى آخرها.

ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق، نظراً إلى إيمانه واعتقاده، وبالتقوى اعتباراً بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق، وإليه أشار بقوله صلى الله عليه وسلّم : « من عمل بهذه الآية فقد استكمل الإيمان ».ويقول الإمام القشيري رحمه الله تعالى : والإشارة أن الظواهر ليس لها كثير اعتبار، إنما الخبر عن الله العزيز. وكثرة الأوراد وإن جلَّت فحرفة العجائز، وإخلاص الطاعات

وإن عزَّ فصفة العوام، وَوَصْلُ الليل بالنهار في وظائف كثيرة ومجاهدات غزيرة عظيم الخطـــر في استحقاق الثواب، ولكن معرفة الحق عزيزة.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حـــول ولاقـــوة إلا بـــالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

العبـــاد الأتـــقيـــــاء

بسم الله الرحمن الرحيم

{ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـــاتٌ تَجْرِى مِـــن تَحْتِهَـــا الأَنْهَـــارُ خَـــالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥) الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٦) الصَّـــابِرِينَ وَالصَّـــادِقِينَ وَالْقَـــانِتِينَ وَالْمُنــــفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ } [آل عمران : ١٧]

قـــولـــه تعـــالـــى : { قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ } أي : قل يا محمد : أأخبركم بخير مما زُيِّن للناس من زهرة الحياة الدنيا ونعيمها الزائل؟ والاستفهام للتقرير.

والمقصود منه أن يعلم العبد أنه كما أن الدنيا أطيب وأوسع وأفسح من بطن الأم، فكـــذلك الآخرة أطيب وأوسع وأفسح من الدنيا. وأن نِعَم الآخرة خير من نِعَم الدنيا، لأن نِعـــم الـــدنيا مَشوبة بالمضرة، ونِعم الآخرة خالية عن شوب المضارّ بالكلية، وأيضاً فنِعم الدنيا منقطعة لا محالة، ونِعم الآخرة باقية لا محالة.

قوله تعالى : { لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ } التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المتقين إيذان بمزيد اللطف بهم، والمراد منهم المتبتلوّن إليه تعالى المعرضون عمن سواه، كما ينبيء عـــن ذلك الأوصاف الآتية.

قوله تعالى : {جَنَّـــاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأنْهَارُ } وصف لطيب الجنة، ودخل تحته جميع النعم الموجودة فيها من المطعم والمشرب والملبس والمفرش والمنظر.

قوله تعالى : { خَـــالِدِينَ فِيهَا } أي : ماكثين فيها أبد الآباد.

قوله تعالى : { وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ } وَصَفَ الأزواج بصفة واحدة جامعة لكل مطلوب، فقـــال تعالى : { مُّطَهَّرَةٌ } ويدخل في ذلك الطهارة من الحيض والنفاس وسائر الأحوال التي تظهر عـــن النساء في الدنيا مما ينفر عنه الطبع، ويدخل فيه كونهن مطهرات من الأخلاق الذميمة، ومن القبح وتشويه الخلقة، ويدخل فيه كونهن مطهرات من سوء العشرة.

قوله تعالى : { وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ } عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه. قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة، فيقولون : لبيـــك ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول : هل رضيتم؟ فيقولون : ما لنا لا نرضى يـــارب وقـــد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك؟ فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون : يا ربنا وأي شيء أفضل من ذلك؟. فيقول : أحلّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً ». أخرجـــه البخاري ومسلم.

قوله تعالى: { وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ } يعني: أن الله تعالى عالم بمـــن يؤثِـــر ما عنـــده ممن يؤثِـــر شهوات الدنيا، فيجازي كلاً على عمله، فيثيب ويعاقب على قدر الأعمال.

قوله تعالى : { الَّذينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } أي : ينقطعون إلينا بالكلية، ويتضرّعون بين أيدينا بذكر المحن والرزية، أولئك ينالون منا القربة والخصوصيّة، والدرجات العليّة، والقِسَم المَرضيّة.

قوله تعالى : { الصَّابِرِينَ } الصبر حبس النفس، وذلك على ثلاث مراتب : صبرٌ على ما أُمِر به العبد، وصبرٌ عما نُهِي عنه، وصبرٌ هو الوقوف تحت جريان حكمه على ما يريد، إما في فوات محبوبك، أو هجوم ما لا تستطيعه.

قوله تعالى : { وَالصَّادِقِينَ } الصدق يجري في القول وهو مجانبة الكذب، وفي الفعل وهو إتيانه وترك الانصراف عنه قبل تمامه، وفي النية وهو العزم عليه حتى يفعل.

قوله تعالى : { وَالْقَانِتِينَ } الذين لازموا الباب، وداوموا على تجرُّع الاكتئاب، وتركوا المحابّ، ورفضوا الأصحاب إلى أن تحققوا بالاقتراب.

قوله تعالى : { وَالْمُنافِقِينَ } كونهم منفقين، ويدخل فيه إنفاق المرء على نفسه وأهله وأقاربه وصلة رحمه، وفي الزكاة والجهاد وسائر وجوه البر.

قوله تعالى : { وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ } المصلّين أو طالبين المغفرةَ، وخصّ الأسحار لأنه وقت إجابة الدعاء، ولأنه وقت الخلوة، قال لقمان لابنه : يا بني لا يكن الديك أكْيَس منك، ينادي بالأسحار وأنت نائم.وقال القرطبي : وخصّ السَحَر بالذكر، لأنه مظانّ القبول، ووقت إجابة الدعاء. روى الأئمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال : « ينزل الله إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول : أنا الملك، أنا الملك،

من ذا الذي يدعوني فأستجيبَ له، من ذا الذي يسألني فأعْطِيَهُ، من ذا الذي يستغفرني فأغفرَ له، فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر ».

وهذه الآية حصرٌ لمقامات السالك على أحسن ترتيب، فإن معاملته مع الله تعالى إما توسّـــل، وإما طلب. والتوسُّل إما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملهما، وإما بالبدن وهو : إما قوليٌّ وهو الصدق، وإما فعليٌّ وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة، وإما بالمال وهو الإنفاق في سبيل الخير. وأما الطلب فالاستغفار، لأن المغفرة أعظم المطالب بل الجامع لها، وتخصيص الأسحار لأن الدعاء فيها أقرب إلى الإجابة، لأن العبادة حينئذٍ أشـــق، والـــنفس أصفى، والروع أجمع سيَّما للمتهجدين. قيل : إنهم كانوا يصلون إلى الســـحر، ثم يســـتغفرون بالأسحار ويدعون.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حـــول ولا قوة إلا بـــالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

أخـــلاق الـــمتقيــــــن

بسم الله الرحمن الرحيم

{ وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَــاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّآءِ وَالضَّرَّآءِ وَالْكَــاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَــافِينَ عَنِ النَّــاسِ وَاللَّـــهُ يُحِـــبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَــاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُوْلَــئِكَ جَــزَآؤُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّــاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَــارُ خَــالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْــرُ الْعَــــامِلِينَ }

[آل عمران : ١٣٣ــ ١٣٦]

قوله تعالى : { وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ } معناه سارعوا إلى عمل يُوجب لكم المغفرة، فتقسّمت القلوب وتوهّمت أن ذلك أمرٌ شديد، فقال صلى الله عليه وسلّم : « الندم التوبــة » رواه الطبراني. وإنما توجب المغفرةَ التوبةُ لأن العاصي هو الذي يحتاج إلى الغفران. والنـــاس في المسارعة على أقسام : فالعابدون يسارعون بقَدَمِهم في الطاعات، والعارفون يسارعون بِهمَمِهم في القُرُبات، والعاصون يسارعون بندمهم بتجرّع الحسرات. فمن سارع بقَدَمِه وَجَدَ مثوبته، ومـــن سارع بهممه وَجَدَ قربته، ومن سارع بندمه وَجَدَ رحمته.

قوله تعالى : { وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَـاوَاتُ وَالأَرْضُ } تنبيهاً على اتساع طولها، وقيل : بل عرضها كطولها، لأنها قبة تحت العرش، والشيء المقبب والمستدير عرضه كطوله، وقد دلّ على ذلك ما ثبت. في الحديث الصحيح : « إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة، ومنه تفجر أنهار الجنة، وسقفها عرش الرحمن ». رواه البخاري والترمذي .

قوله تعالى : { أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى السَّرَّآءِ وَالضَّرَّآءِ } في حال الرخاء واليسر، وحال الضيقة والعسر، لا يخلون بأن ينفقوا في كلتا الحالتين ما قدروا عليه من كثير أو قليل. وافتتح بذكر الإنفاق لأنه أشقّ شيء على النفس وأَدَلُّه على الإخلاص، ولأنه كان في ذلك الوقت أعظم الأعمال للحاجة إليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال : « السخيّ قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنة، بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، بعيد من الجنة، قريب من النار، ولجاهل سخي أحب إلى الله تعالى من عابد بخيل » أخرجه الترمذي.

قوله تعالى : { وَالْكَـاظِمِينَ الْغَيْظَ } المراد : المتجرّعين للغيظ، الممسكين عليه عند امتلاء نفوسهم منه، فلا ينقمون ممن يُدخل الضرر عليهم، ولا يبدون له ما يكره، بل يصبرون على ذلك مع قدرتهم على الإنفاذ والانتقام، وهذا هو الممدوح. فقد أخرج عبد الرزاق وابن جرير عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه، ملأ الله تعالى قلبه أمناً وإيماناً ». وروي عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن خادمها غاظها فقالت : لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء.

قـــولـــه تعـــالى : { وَالْعَـــافِينَ عَنِ النَّاسِ } العفو عن الناس أجـــلُّ ضروب فعل الخـــير. ووردت في كظم الغيظ والعفو عن الناس وملك النفس عند الغضب أحاديث، وذلك من أعظم العبادة وجهاد النفس، فقال صلى الله عليه وسلّم : « ليس الشديد بالصرعة، ولكـــن الشـــديد الذي يملك نفسه عند الغضب » رواه البخاري ومسلم.

وفي ذكر هذين الوصفين - كما قال بعض المحققين - إشعار بكمال حسن موقع عفـــوه صلى الله عليه وسلّم عن الرمـــاة، وَتـــرْكِ مؤاخذهم بمـــا فعلوا من مخالفة أمره صـــلى الله عليـــه وسلّم، ونَدْبٌ له صلى الله عليه وسلّم إلى ترك ما عزم عليه من مجازاة المشركين بما فعلوا بحمـــزة رضي الله عنه، حتى قال حين رآه قد مُـــثِّلَ بـــه : « لأمثلنَّ بسبعين مكانك ». أخرجه البزار.

قـــوله تعالى : { وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } اعلم أن الإحسان إلى الغير إما أن يكون بإيصـــال النفع إليه، أو بدفع الضرر عنه. أما إيصال النفـــع إليـــه فهـــو المراد بقولـــه : { الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى السَّرَّآءِ وَالضَّرَّآءِ }. وأما دفع الضرر عن الغير فهو إما في الدنيا، وهو أن لا يشتغل بمقابلـــة تلك الإساءة بإساءة أخرى وهو المراد بكظم الغيظ. وإما في الآخرة وهو أن يبرئ ذمتـــه مـــن التَبِعات والمطالبات في الآخرة وهو المراد بقوله : { وَالْعَـــافِينَ عَنِ النَّاسِ }.

قوله تعالى : { وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِـــذُنُوبِهِمْ } ذكر الله تعالى في هذه الآية صنفاً، هم دون الصنف الأول فألحقهم به برحْمته ومنِّه، فهؤلاء هـــم التوّابون، فالاستغفار عظيمٌ، وثوابه جسيمٌ.

روى مكحول عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ما رأيتُ أكثرَ استغفاراً من رسول الله صلى الله عليه وسلّم. قال علماؤنا : الاستغفار المطلوب هو الذي يُحِلُّ عَقْدَ الإصرار، ويثبت معناه في الجَنَان، لا التلفظ باللسان. فأما من قال بلسانه : استغفر الله، وقلبه مصرٌ على معصيته فاستغفاره ذلك يحتاج إلى استغفار، وصغيرته لاحقةٌ بالكبائر.

قلت : هذا يقوله في زمانه، فكيف في زماننا هذا الذي يُرى فيه الإنسانُ مكباً على الظلم، حريصاً عليه لا يُقْلِعُ، والسبحة في يده زاعماً أنه يستغفر الله من ذنبه، وذلك استهزاء منه واستخفاف. وفي التتزيل قال تعالى : { وَلاَ تَتَّخِذُواْ آيَـاتِ اللَّهِ هُزُوًا }. [البقرة : ٢٣١]

قوله تعالى : { وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ } وصف لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة، وأن التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له، وأنه لا مفزع للمذنبين إلا فضله وكرمه. وفيه تطييب لنفوس العباد، وتنشيط للتوبة وبعث عليها، وردْع عن اليأس والقنوط، وأن الذنوب وإن جلّت فإن عفوه أجلّ، وكرمه أعظم.

قوله تعالى : { وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ } ولم يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين. وعن النبي صلى الله عليه وسلّم : « ما أصرّ من استغفر، وإن عاد في اليوم سبعين مرة ». رواه أبو داود والترمذي. وروي : « لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار ».

قوله تعالى : { وَهُمْ يَعْلَمُونَ } المعنى : وليسوا ممن يصرّون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها وبالوعيد عليها، لأنه قد يُعْذر من لا يعلم قبح القبيح.

قـــولـــه تعالى : { أُوْلَـــئِكَ جَزَآؤُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـــاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَـــارُ خَـــالِدِينَ فِيهَا } ولا يلزم من إعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم أن لا يدخلها المصرّون، كما لا يلزم من إعداد النار للكافرين جزاء لهم أن لا يدخلها غيرهم. فالواجب على طالب الحـــق أن يحفظ الأدب حتى يرتقي بذلك إلى أعلى الرتب، ألا ترى إلى رسول الله صلى الله عليـــه وســـلّم كيف كان يستغفر الله كل يوم سبعين مرة، مع أن ذنبه كان مغفوراً. وبكمال أدبه وصل إلى مـــا وصل، حتى صار اتباعه سبباً لمحبة الله تعالى كما قال تعالى : { قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَـــاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ } [آل عمران : ٣١] ومع ذلك كان خوفه وإجلاله في غاية الكمال، وهكذا ينبغي لمن اقتدى به.

ورتبة المحسن وإن كانت أولى، ولكن التدارك أحسن من الإصرار، فطوبى لمتدارِكٍ وصـــل إلى الإحسان، وأجير نال المحبوبية عند الله الرحمن.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حـــول ولا قوة إلا بـــالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

الــصبــــــر عـــلــــى الإبـــتـــــــلاء

بسم الله الرحمن الرحيم

{ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَــابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّـــذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيراً وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ } [آل عمران : ١٨٦].

قوله تعالى : { لَتُبْلَوُنَّ } أصل الابتلاء الاختبار.

قوله تعالى : { فِي أَمْوَالِكُمْ } بما يقع فيها من ضروب الآفات المؤدية إلى هلاكها.

قوله تعالى : { وَأَنفُسِكُمْ } بالقتل والجراح والأسر، والأمراض، وفقد الأقارب، وسائر ما يرد عليها من أصناف المتاعب والمخاوف والشدائد. وقدم الأموال على الأنفس للترقي إلى الأشرف.

قوله تعالى : { وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيراً } فالمراد منه أنواع الإيذاء الحاصلة من اليهود والنصارى والمشركين للمسلمين، وذلك لأنهم كانوا يقولون : عزير ابن الله، والمسيح ابن الله، وثالث ثلاثة، وكانوا يطعنون في الرسول صلى الله عليه وسلّم بكل ما يقدرون عليه.

وأما المشركون فهم كانوا يحرضون الناس على مخالفة الرسول صـــلى الله عليـــه وســـلّم، ويجمعون العساكر على محاربة الرسول صلى الله عليه وسلّم، ويثبطون المسلمين عـــن نصـــرته، فيجب أن يكون الكلام محمولاً على الكل، إذ ليس حمله على البعض أولى من حمله على الثاني.

فكل من قام بحق، أو أَمَرَ بمعروف، أو نهى عن منكر، فلا بد له أن يؤذى، فمـــا لـــه دواء إلا الصبر في الله، والاستعانة بالله، والرجوع إلى الله عز وجل.

قـــولـــه تعالـــى : { وَإِن تَصْبِرُواْ } الـــمـــراد مـــنـــه أمـــر الرســـول صلى الله عليـــه وسلّم بالمصابرة على الابتلاء في النفس والمال، والمصابرة على تحمل الأذى و تـــرك المعارضـــة و المقابلة. وإنما أوجب الله تعالى ذلك لأنه أقرب إلى دخول المخالف في الدين، كما قـــال تعـــالى : { فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى } [طه : ٤٤] وقال تعالى : { قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ } [الجاثية : ١٤] والمراد بهذا الغفران الصبر وترك الانتقام.

قـــولـــه تعالـــى : { وَتَتَّقُواْ } التقوى عبارة عن الاحتراز عما لا ينبغي، فقدم ذكر الصبر ثم ذكر عقبه التقوى، لأن الإنسان إنما يقدم على الصبر لأجل أنه يريد الاتقاء عما لا ينبغي. فـــأُمر بالصبر تقليلاً لمضار الدنيا، وأُمر بالتقوى تقليلاً لمضار الآخرة، فكانت الآية على هذا التأويـــل جامعة لآداب الدنيا والآخرة.

قوله تعالى : { فَإِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ } من معزوماتها التي يتنافس فيها المتنافسون، أي : مما يجب أن يعزم عليه كل أحد لما فيه من كمال المزية والشرف، أو مما عزم الله تعالى عليه وأمر بـــه وبالغ فيه، يعني أن ذلك عزمة من عزمات الله تعالى، فلا بد أن تصبروا وتتقوا.

فعلى العاقل أن يتخلق بأخلاق الأنبياء و الأولياء، ويتأدب بآدابهم، فإنهم كانوا يصبرون على الأذى و لا يقابلون السفيه بمثل مقابلته { وَإِذَا مَرُّواْ بِاللَّغْوِ مَـــرُّواْ كِرامـــاً } [الفرقـــان : ٧٢] وقد مدح الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلّم بقوله : { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِـــيمٍ } [القلـــم : ٤]

قالت عائشة رضي الله عنها : كان خلق النبي صلى الله عليه وسلّم القرآن، يعني: تأدب بـــآداب القرآن.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

صفـــــات أولـــي الألــبــــــاب

بسم الله الرحمن الرحيم

{ إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَـاتٍ لأُوْلِى الأَلْبَـابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَآ مَـا خَلَقْتَ هَذا بَـاطِلاً سُبْحَـانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَـهُ وَمَا لِلظَّـالِمِينَ مِنْ أَنْصَـارٍ (١٩٢) رَّبَّنَآ إِنَّنَآ سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِى لِلإِيمَـانِ أَنْ ءَامِنُواْ بِـرَبِّكُمْ فَـآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَـدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَـامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ } [آل عمران : ١٩٠ ــ ١٩٤].

قوله تعالى : { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَـاوَاتِ وَالأَرْضِ } اعلم أن المقصود من هذا الكتاب الكريم جذب القلوب والأرواح عن الاشتغال بالخلق إلى الاستغراق في معرفة الحق. قـال ابـن عمـر رضي الله عنهما : قلت لعائشة رضي الله عنها : أخبريني بأعجب ما رأيت من رسول الله صـلى الله عليه وسلّم. فبكت وأطالت، ثم قالت : كل أمره عجب، أتاني في ليلتي فدخل في لحافي حـتى ألصق جلده بجلدي، ثم قال لي : «يا عائشة هل لك أن تأذني لي الليلة في عبادة ربي؟.». فقلت : يا رسول الله إني لأحب قربك، وأحب مرادك، فقد أذنت لك. فقام إلى قِربة من ماء في البيـت، فتوضأ ولم يكثر من صب الماء، ثم قام يصلي، فقرأ من القرآن وجعل يبكي، ثم رفع يديه فجعـل يبكي حتى رأيت دموعه قد بلت الأرض، فأتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكي، فقال له : يا رسول الله أتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟!. فقال :« يا بلال أفلا أكـون عبـداً شـكوراً؟. ثم قـال : مـا لي لا أبكـي وقـد أنـزل الله في هـذه الليلـة :

{ إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَـاوَتِ وَالاْرْضِ } ثم قال : ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها ». أخرجه ابن مردويه.

قوله تعالى: { وَاخْتِلافِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ } أي : في تعاقبهما في وجه الأرض، وكون كل منهما خلفة للآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها، أو في تفاوتهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر وانتقاصه بازدياده.

قوله تعالى : { لاَيَـاتٍ لاُوْلِى الاْلْبَـابِ } لعبرات كثيرة لذوي العقل الخالص من شوائب الأوهام والخيالات.

فعلى هذا، السالك إلى الله لا بد له في أول الأمر من تكثير الدلائل، فإذا استنار القلب بنور معرفة الله صار اشتغاله بتلك الدلائل كالحجاب له عن استغراق القلب في معرفة الله. فالسالك في أول أمره كان طالباً لتكثير الدلائل، فعند وقوع هذا النور في القلب يصير طالباً لتقليل الدلائل، حتى إذا زالت الظلمة المتولدة من اشتغال القلب بغير الله كمل فيه تجلي أنوار معرفة الله.

قوله تعالى : { الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَـاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ } ذكراً دائباً على أي حال كانوا من قيام وقعود واضطجاع، لا يُخِلُّون بالذكر في أغلب أحوالهم .

وعن ابن عمر وعروة بن الزبير رضي الله عنهم وجماعة أنهم خرجوا يوم العيد إلى المصلى فجعلوا يذكرون الله فقال بعضهم : أما قال الله : { يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً } فقاموا يذكرون الله على أقدامهم. وقال أكثر المفسرين : المراد به المداومة على الذكر في غالب الأحوال، لأن الإنسان قل أن يخلو من إحدى هذه الثلاث حالات وهي القيام والقعود وكونه نائماً على جنبه.

أخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلّم يذكر الله عز وجل في كل أحيانه.

والذكر طريق الحق سبحانه، فما سلك المريدون طريقاً أصحّ وأوضح من طريق الذكر، وإن لم يكن فيه سوى قوله تعالى في الحديث القدسي : « أنا جليس من ذكرني » رواه الديلمي. لكـان ذلك كافياً. والذكر عنوان الولاية، وبيان الوصلة، وتحقيق الإرادة، وعلامـة صحـة البدايـة، ودلالـة صفاء النهايـة، فليس وراء الذكر شيء. و يع الخصال المحمودة راجعـة إلى الـذكر، ومنشأة عن الذكر.

قوله تعالى : { وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّمَـاوَاتِ وَالأَرْضِ } اعلم أنه تعالى رغّبَ في ذكـر الله، ولما آل الأمـر إلى الفكر لم يُـرَغِّبْ في الفكر في الله، بل رَغَّـبَ في الفكـر في أحـوال السموات والأرض، وعلى وفق هذه الآية قال صلى الله عليه وسلّم : « تفكروا في الخلـق ولا تتفكروا في الخالق » رواه أبو نعيم.

التفكر نعمة كل طالب، وثمرته الوصال بشرط العلم. فإذا سلم الذكر عن الشـوائب ورد صاحبه على مناهل التحقيق، وإذا حصل الشهود والحضور سما صاحبه عن الفكـر إلى حـدود الذكر، فالذكر سرمد. ثم فكر الزاهدين في فناء الدنيا وقلة وفائها لطلابها، فيزدادون بـالفكرة زهداً فيها. وفكر العابدين في جميل الثواب، فيزدادون نشاطاً عليه ورغبة فيه.وفكر العـارفين في الآلاء والنعم فيزدادون محبة للحق سبحانه.

قوله تعالى : { رَبَّنَآ مَا خَلَقْتَ هَذا بَــاطِلاً } والمعنى : ربنا ما خلقت هذا المخلوق، أو المتفَكَّرَ فيه العظيمَ الشأن عارياً عن الحكمة خالياً عن المصلحة، بل خلقته مشتملاً على حكــم جليلــة، منتظماً لمصالح عظيمة، تقف الأفكار حيرى دون الإحاطة بها، وتكل أقدام الأذهان دون الوقوف عليها بأسرها، ومن جملتها أن يكون مداراً لمعايش العباد، ومناراً يرشدهم إلى معرفة أحوال المبدأ والمعاد حسبما نطقت به كتبك وجاءت به رسلك.

قوله تعالى : { سُبْحَــانَكَ } أي : ننــزهك عما لا يليــق بك من الأمور التي من جملتــها خلق ما لا حكمــة فيه { فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } أي : من عذاب النار الذي هو جــزاء الــذين لا يعرفون ذلك، وفائدة الفاء هــي الدلالة علــى أن علمهم بما لأجله خلقــــت الســــماوات والأرض حملهم على الاستــعاذة، وفيــه إشارة إلى عظم ذكر الله وإشارة إلى ثلاث مراتــب : أولاها : الذكر باللسان.وثانيتها : التفكر بالقلب. وثالثتها : المعرفة بالروح.

لأن ذكر اللسان يوصل صاحبه إلى ذكر القلب، وهو التفكر في قدرة الله، وذكــر القلــب يوصل إلى مقام الروح، فيعرف في ذلك حقائق الأشياء، ويشاهد الحكم الإلهية في خلق الله فيقول بعد المشاهدة : { رَبَّنَآ مَا خَلَقْتَ هَذا بَــاطِلاً }.

فينبغي للمؤمن أن يلازم ذكر الله بلسانه في جميع الأحوال، حتى يصل بسبب الذكر باللسان إلى ذكر القلب، ثم إلى ذكر الروح ويحصل له اليقين والمعرفة ويخلص من ظلمة الجهل ويتنور بنور المعرفة.

قوله تعالى : { رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ } اعلم أنهم لما سألوا ربهم أن يقيهم عذاب النار أتبعوا ذلك بما يدل على عظم ذلك العقاب وشدته وهو الخزي، ليكون موقع السؤال أعظم.

واحتج حكماء الإسلام بهذه الآية على أن العذاب الروحاني أشد وأقوى من العذاب الجسماني.

قوله تعالى : { وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ } أراد بهم المدخَلين، ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة، لأن النصرة دفع بقهر، والشفاعة هي الدفع بطريق اللين والمسألة، فنفي أحدهما لا يدل على نفي الآخر، ولهذا لم يكن نفيهما معاً.

قوله تعالى : { رَّبَّنَآ إِنَّنَآ سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِى لِلإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَامَنَّا } في المنادي قولان : أحدهما : أنه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم وهو قول الأكثرين.

والثاني : أنه هو القرآن لأنه ليس كل أحد لقي النبي صلى الله عليه وسلّم، أما القرآن فكل أحد سمعه وفهمه.

قوله تعالى : { رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا } أي : استرها عن أعين الخلق. وقوله تعالى : { وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا } أي : غطها عنا فلا تؤاخذنا بها وامحها من الصحف، وهو ترقٍ عظيم في طلب المغفرة فهو من عطف الخاص على العام.

قوله تعالى : { وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ } أي : مخصوصين بصحبتهم مغتنمين بجوارهم، معدودين من زمرهم، فالمراد من المعية ليس المعية الزمانية، لأن ذلك محال ضرورةَ أن توفيهم إنما هو على سبيل التعاقب، بل المراد المعية في الاتصاف بصفة الأبرار حال التوفي. وفيه إشعار بأنهم كانوا يحبون لقاء الله، ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، فمن جعله الله ممن آمن بداعي الإيمان فقد أكرمه مع أوليائه في الجنان، فطوبى للذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وطوبى لمن اتعظ بالموعظة الحسنة.

قوله تعالى : { رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ } ههنا سؤال : وهو أن الخلف في وعد الله محال، فكيف طلبوا بالدعاء ما علموا أنه لا محالة واقع. والجواب : أنه ليس المقصود من الدعاء طلبَ الفعل بل المقصود منه إظهار الخضوع والذلة والعبودية، وقد أمرنا بالدعاء في أشياء نعلم قطعاً أنها توجد لا محالة، كقوله تعالى : { قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ } [الأنبياء : ١١٢]

ويقول العلامة الصاوي في تفسيره جواباً لهذا السؤال : وحاصل ذلك الجواب أن العاقبة مجهولة، ووعد الله لا يخلف إن حمدت عاقبته ومن أين لنا حسن العاقبة؟. ففائدة السؤال أن الله يحسن عاقبتهم، فإذا حسنت تحقق وعده تعالى.

قوله تعالى : { وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ } يعني ولا تهلكنا ولا تفضحنا ولا تهنا في ذلك اليوم.

قوله تعالى : { إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ } تعليل لتحقيق ما نظموا في سلك الدعاء. وهذه الدعوات وما في تضاعيفها من كمال الضراعة والابتهال، ليست لخوفهم من إخلاف الميعاد، بل

لخوفهم من أن لا يــكونــوا من جملــة الموعوديـــن بتغيـــر الحال، وســـوء الخاتمـــة والمـــآل، فمرجعهـــا إلى الدعـــاء بالتثبيت، أو للمبالغـــة فـــي التعبـــد والخشوع.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حـــول ولا قوة إلا بـــالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

طــاعــة الله ورســولـــه

بسم الله الرحمن الرحيم

{ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّـاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَـارُ خَـالِدِينَ فِيهَا وَذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَـالِداً فِيهَـا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ } [النساء : ١٣ ـــ ١٤]

قوله تعالى : { تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ } يعني الأحكام التي تقدم ذكرها في هذه السورة من مـال اليتامى والوصايا والأنكحة والمواريث، وإنما سماها حدوداً لأن الشـرائع كالحـدود المضـروبة للمكلفين، فلا يجوز لهم أن يتجاوزوها.

فحدوده أوامره ونواهيه، وما تعبّد به عباده. وأصل العبودية حفظ الحدود، وصون العهـود، ومن حفظ حدّه لم يُصبْه مكروه ولا آفة، وأصل كل بلاء مجاوزة الحدود.

قوله تعالى : { وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ } قال بعضهم : قوله تعالى : { وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ } وقوله تعالى : { وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ } مختص بمن أطاع أو عصى في هذه التكاليف المذكورة في هذه السورة. وقال المحققون : بل هو عام يدخل فيه هذا وغيره، وذلك لأن اللفظ عام فوجب أن يتناول الكل.

قوله تعالى : { يُدْخِلْهُ جَنَّـــاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا } أي : مـــن تحـــت أشـــجارها وأبنيتـــها { الأَنْهَـــارُ } أي : ماؤها { خَـــالِدِينَ فِيهَا وَذلِكَ } أي : دخول الجنات على الوجه المـــذكور { الْفَوْزُ } أي : الفلاح والظفر بالخير { الْعَظِيمُ } في نفسه.

قوله تعالى : { وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَـــالِداً فِيهَا } أي : لكونه غيّر ما حكم الله به وضاد الله في حكمه، وهذا إنما يصدر عن عدم الرضا بما قسم الله وحكم به، ولهذا يجازيه بالإهانة في العذاب الأليم المقيم. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رســـول الله صلى الله عليه وسلّم : « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة، فـــإذا أوصى حـــاف في وصيته فيختم بشر عمله فيدخل النار، وإن الرجـــل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة، فيعـــدل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنـــة ». قال : ثم يقـــول أبو هريرة رضـــي الله عنـــه : اقرؤوا إن شئتم { تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ }، إلى قوله، { عَذَابٌ مُّهِينٌ }. أخرجه الإمام أحمد.

قوله تعالى : { وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ } أي : وله غير عذاب الحريق الجسماني عذاب آخر لا يُعرَفُ كُنهه وهو العذاب الروحاني، كما يؤذن به وصفه. وأفرد خالداً في أهل النار وجمع في أهل الجنة، لأن في الانفراد وحشة وعذاباً للنفس، وذلك أنسب بحال أهل النار.

واعلم أن الإطاعة سبب لنيل المطالب الدنيوية والأخروية.

قال حاتم الأصم قدس سره : الزم خدمة مولاك تأتك الدنيا راغمة، والآخرة راغبـــة. ومـــن كلامه : من ادعى ثلاثاً بغير ثلاث فهو كذاب، من ادعى حب الجنة من غير إنفاق مالـــه فهـــو كذاب، ومن ادعى محبة الله من غير ورع عن محارم الله فهو كذاب، ومن ادعـــى محبـــة الـــنبي

عليه السلام من غير محبة الفقراء فهو كذاب. وكلما ازداد العبد في عبادة الله وطاعته، ازداد قرباً منه وبعداً من كيد الشيطان.

قال السري : سألت معروفاً الكرخي عن الطائعين لله بأي شيء قدروا على الطاعة؟ قـــال : بخروج الدنيا من قلوبهم، ولو كانت في قلوبهم ما صحت لهم سجدة. ومن أكرمـــه الله بمعرفـــة عظمته، اضطر إلى كمال طاعته.

فلا بد للمؤمن من العمل الصالح، ومن الصون عما يبطله من رؤيته وسائر الأمراض الفاسدة، ولذلك كان الكبار يختارون الوحدة. قال الإمام جعفر الصادق وكذا سفيان الثوري : هذا زمان السكوت وملازمة البيوت.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حـــول ولا قوة إلا بـــالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

الـــتـــوبـــــة مـــن قـــريـــــب

بسم الله الرحمن الرحيم

{ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَـئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً (١٧) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَـئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً } [النساء : ١٧ ــ ١٨].

قوله تعالى : { إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ } ليس المراد بالجهالة عدم العلم بأن ما عمله ذنب، لأن الذين يعملون السوء من غير أن يعلموا أنه ذنب لا يستحقون العقاب فلا حاجة لهم إلى التوبة، لأن الخطأ مرفوع عن هذه الأمة. بل المراد بالجهالة السفه وخفة العقل، سمي السفيه الذي يرتكب المعصية مع العلم بأنها معصية جاهلاً تنزيلاً له منزلة الجاهل، لأنه لو جرى على مقتضى علمه بالحساب والجزاء وإثابة المطيع وعقاب العاصي لما أقدم على المعصية، فلما ارتكبها لسفهه وخفة عقله صار كأنه لا علم له فسمي جاهلاً.

قوله تعالى : { ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ } من زمان قريب أي : قبل حضور الموت. وفيه إشارة إلى أنه ينبغي للإنسان أن يجدد التوبة في كل لحظة، لأن الموت متوقع في كل لمحة، ولذا قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : ما خرج مني نفَس وانتظرت عوده.

قال علماؤنا رحمهم الله : وإنما صحت التوبة منه في هذا الوقت؛ لأن الرجاء باقٍ، ويصح منه الندم والعزم على ترك الفعل. وقد روى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال : « إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ».

قوله تعالى: { فَأُوْلَـئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ } واعلم أنه تعالى لما ذكر هذين الشرطين قال تعالى: { فَأُوْلَـئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ } [البقرة : ١٦٠]. يعني: إنما الهداية إلى التوبة والإرشاد إليها والإعانة عليها على الله تعالى في حق من أتى بالذنب على سبيل الجهالة ثم تاب عنها عن قريب وترك الإصرار عليها وأتى بالاستغفار عنها. ثم قال تعالى : { فَأُوْلَـئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ } يعني: أن العبد الذي هذا شأنه إذا أتى بالتوبة قَبِلَها الله منه، ثم قال تعالى : { وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً } أي : كان الله عليماً بأنه إنما أتى بتلك المعصية لاستيلاء الشهوة والغضب والجهالة عليه، حكيماً بأن العبد لما كان من صفته ذلك، ثم إنه تاب عنها من قريب فإنه يجب في الكرم قبول توبته.

فعلى المؤمن أن يتدارك الزلة بالتوبة والاستغفار، ويسارع في الرجوع إلى الملك الغفار.

والتوبة فرض عين على المؤمنين ولها شروط أربعة : الندم بالقلب، وترك المعصية في الحال، والعزم على أن لا يعود إلى مثلها، وأن يكون ذلك حياء من الله تعالى وخوفاً منه لا من غيره.

قوله تعالى : { وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَـاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ } نفى سبحانه أن يدخل في حكم التائبين من حضره الموت وصار في حين اليأس؛ كما كان فرعون حين صار في غمرة الماء والغرق، فلم ينفعه ما أظهر من الإيمان؛ لأن التوبة في ذلك الوقت لا تنفع، لأنها حال زوال التكليف. وبهذا قال ابن عباس وابن زيد رضي الله عنهم، وجمهور من المفسرين. وقال المحققون : قرب الموت لا يمنع من قبول التوبة، بل المانع من قبولها مشاهدة الأحوال التي لا يمكن معها الرجوع إلى الدنيا بحال.

قوله تعالى : { وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ } يعني أن الكافر إذا مات على كفره وشركه لا ينفعه ندمه ولا توبته، ولا يقبل منه فدية ولو بملء الأرض.

قوله تعالى : { أُوْلَـئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً } أي : موجعاً شديداً مقيماً.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

أداء الأمــانــة والــعـــــدل

بسم الله الرحمن الرحيم

{ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّـالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَـارُ خَـالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِـلاًّ ظَلِيلاً (٥٧) إِنَّ اللَّـهَ يَـأْمُرُكُمْ أَن تُـؤَدُّواْ الاَمَـانَـاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِـهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً } [النساء : ٥٧ ـــ ٥٨].

قوله تعالى : { وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّـالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِـن تَحْتِهَـا الأَنْهَـارُ خَـالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِـلاًّ ظَلِيلاً } هذه الآية دالـة على أن الإيمان غير العمل، لأنه تعالى عطف العمل على الإيمان، والمعطوف مغاير للمعطوف عليه.

قوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ الاَمَـانَـاتِ إِلَى أَهْلِهَا } يتناول حكمهـا جميـع الأمانات. فإن معاملة الإنسان إما أن تكون مع ربه، أو مع عباده، أو مع نفسه، ولا بد من رعاية الأمانة في جميع هذه الأقسام الثلاثة.

أما رعاية الأمانة مع الرب سبحانه وتعالى فهي : بأن يفعل جميع المـأمورات ويتـرك جميـع المنهيات، فإن جميع ما كلف به الإنسان من الله تعالى أمانة عند المكلف يجب عليه أن يؤديهـا إلى صاحبها وهذا بحر لا ساحل له.

وأما رعاية الأمانة مع عباد الله من أولاده وزوجته ومماليكه وجيرانه وأصحابه وعامة الخلــق؛ فبأن يحفظ حقوقهم ولا يخونهم في شيء منها.

ورعايتها مع نفسه فبأن لا يختار لنفسه إلا ما هو الأصلح والأنفع لها في الدين والدنيا، وبــأن يحفظها عما يضرها في العقبى، فلهذا قال عليه الصلاة والسلام : « كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته ». فقوله تعالى : { يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأمَــانَــاتِ إِلَى أَهْلِهَا } يدخل فيها الكل. وقال صلى الله عليه وسلّم : « لا إيمان لمن لا أمانة له » رواه البيهقي والطبراني.

وأخرج البيهقي عن ميمون بن مهران : «ثلاث تؤدين إلى البر والفاجر، الرحم توصل بــرة كانت أو فاجرة، والأمانة تُؤدى إلى البر والفاجر، والعهد يُوفى به للبر والفاجر».

قوله تعالى : { وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ } يعني وإن الله يأمركم أن تحكموا بين الناس بالعدل، فيجب على الحاكم أن يأخذ الحق ممن وجب عليه لمن وجب له. وأصل العدل هو المساواة في الأشياء، فكل ما خرج عن الظلم والاعتداء سُمِّي عدلاً.

وقال الشافعي : ينبغي للقاضي أن يسوي بين الخصمين في خمسة أشياء : في الدخول عليــه، والجلوس بين يديه، والإقبال عليهما، والاستماع منهما، والحكم عليهما. قال : والمأخوذ عليــه التسوية بينهما في الأفعال دون القلب، فإن كان يميل قلبه إلى أحدهما، ويحب أن يغلب بحجته على الآخر فلا شيء عليه، لأنه لا يمكنه التحرز عنه.

قوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ } :أي : نِعْم الذي يعظكم به تأدية الأمانــة والحكــم بالعدل.

قوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً } أي : اعملوا بــأمر الله ووعظــه، فإنــه أعلــم بالمسموعات والمبصرات يجازيكم على ما يصدر منكم. وفيه دقيقة أخرى وهي : أنه تعالى لما أمر في هذه الآيات بالحكم على سبيل العدل وبأداء الأمانة ؛ قوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ كَــانَ سَــمِيعاً بَصِيراً } أي : إذا حكمت بالعدل فهو سميع لكل المسموعات يسمع ذلك الحكم، وإن أديــت الأمانة فهو بصير بكل المبصرات يبصر ذلك، ولا شك أن هذا أعظم أسباب الوعــد للمطيــع، وأعــظم أسباب الوعيــد للعاصــي، وإليــه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلّم : « اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ». رواه مسلم . وفيه دقيقة أخرى، وهي أنه كلما كــان احتياج العبد أشد كانت عناية الله أكمل.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حــول ولا قوة إلا بــالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

عـــاقبـــة طـــاعـــــة الله والـــرســـــول

بسم الله الرحمن الرحيم

{ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَـــارِكُمْ مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً (٦٦) وَإِذاً لأَتَيْنَـــاهُمْ مِّن لَّدُنَّـــآ أَجْـــراً عَظِيماً (٦٧) وَلَهَدَيْنَـــاهُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً (٦٨) وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـــئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّـــالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـــئِكَ رَفِيقـــاً (٦٩) ذلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيماً } [النساء: ٦٦ ــ ٧٠].

قوله تعالى: { وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَـــارِكُمْ } والمعنى: أنا لو شددنا التكليف على الناس نحو أن نأمرهم بأن يقتلوا أنفسهم بطريق التوبة كما أمرنـــا بـــني إسرائيل بذلك، أو بأن يخرجوا من ديارهم كما أمرنا بني إسرائيل بالخروج من مصر، وكتبنا على المنافقين أن يخرجوا من ديارهم لصعب ذلك عليهم؛ ولما فعله إلا الأقلون، وحينئذ يظهر كفرهم وعنادهم، فلم نفعل ذلك رحمة منا على عبادنا، وما كتبنا عليهم إلا طاعة الرسول صلى الله عليه وسلّم والرضا بحكمه وهو أمر سهل، فليقبلوه بالإخلاص وليتركوا التمرد والعناد حتى ينالوا خير الدارين.

واعلم أن قتـل النفس في الحقيقة قمع هواها التي هي حياتها وإفناء صفاتها، والخروج من الديار خروج من المقامات التي سكنت القلوب بها وألفتها، من الصبر والتوكل والرضا والتسليم وأمثالها، لكونها حاجبة عن التوحيد والفناء في الذات.

قوله تعالى : { مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ } وهم المخلصون من المؤمنين كأبي بكر رضي الله عنه. فقد أخرج ابن أبي حاتم عن عامر بن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال : لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله لو أمرتني أن أقتل نفسي لفعلت، فقال : « صدقت يا أبا بكر ».

قوله تعالى : { وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ } أنهم لو فعلوا ما كلفوا به وأمروا به، وإنما سمي هذا التكليف والأمر وعظاً، لأن تكاليف الله تعالى مقرونة بالوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، والثواب والعقاب، وما كان كذلك فإنه يسمى وعظاً، ثم إنه تعالى بيّن أنهم لو التزموا هذه التكاليف لحصلت لهم أنواع من المنافع. منها قوله تعالى : { لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ } المعنى : أنه يحصل لهم خير الدنيا والآخرة.

ومنها قوله تعالى :{ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً } لهم على الحق والصواب، وأمنع لهم من الضلال وأبعد من الشبهات، كما قال سبحانه : { وَالَّذِينَ اهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى } [محمد : ١٧].

ومنها قوله تعالى : { وَإِذاً لأتَيْنَـاهُمْ مِّن لَّدُنَّـآ أَجْراً عَظِيماً } اعلم أنه لما بيّن أن هذا الإخلاص في الإيمان خير مما يريدونه من النفاق وأكثر ثباتاً وبقاء، بيّن أنه كما أنه في نفسه خير فهو أيضاً مستعقب الخيرات العظيمة وهو الأجر العظيم والثواب العظيم. وكيف لا

يــكون عظيمــاً، وقد قال صلى الله عليه وسلّم : « فيها ما لا عيـــن رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ».

ومنها قوله تعالى : { وَلَهَدَيْنَـــاهُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً } قال ابن عباس رضي الله عنهما : معناه ولأرشدناهم إلى دين مستقيم يعني دين الإسلام. وقيل : معناه ولهديناهم إلى الأعمال الصالحة التي تؤدي إلى الصراط المستقيم، وهو الصراط الذي يمر عليه المؤمنون إلى الجنة، لأن الله تعالى ذكـــر الأجر العظيم أولاً، ثم ذكر الصراط المستقيم بعده لأنه هو المؤدي إلى الجنة.

فيا أيها العبد الذي لا يفعل ما يوعظ به، ولا يخاف من ربه، كيف تركت ما هو خير لـــك، وأعرضت عما ينفعك؟!. فليس لك الآن إلا التوبة عما يوقعك في المعاصي والمنهيات، والرجوع إلى الله بالطاعات والعبادات، والفناء عن الذات بالإصغاء إلى المرشد الرشيد الواصـــل إلى ســـر التفريد،وقَبول أمره وعِظته، وتسليم النفس إلى تربيته، ودوام المراقبة في الطريق، ومنَ الله التوفيق.

قوله تعالى : { وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ } كلام مستأنف فيه فضل ترغيب في الطاعة ومزيـــد تشويق إليها، ببيان أن نتيجتها أقصى ما ينتهي إليه همم الأمم وأرفع ما يمتد إليه أعناق عزائمهم، من مجاورة أعظم الخلائق مقداراً وأرفعهم مناراً. والمراد بالطاعة هو الانقياد التام والامتثال الكامل لجميع الأوامر والنواهي.

قوله تعالى : { فَأُوْلَـــئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم } حكى الثعلبي : أنها نزلت في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان شديدَ الحب له قليلَ الصبر عنه، فأتاه ذات يوم وقد تغيّر لونه ونحل جسمه، يعرف في وجهه الحزن. فقال له : « يا ثوبان ما غيّر لونك »؟ فقال يا رسول

الله ما بي من ضر ولا وجع، ير أني إذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت وَحشة شـديدة حـتى ألقاك، ثم ذكرت الآخرة وأخاف أن لا أراك هناك؛ لأني عرفت أنك ترفع مع النبـيين، وأني إذا دخلت الجنة كنت في منـزلة هي أدنى من منـزلتك، وإن لم أدخل فذلك حينٌ لا أراك أبـداً. فأنزل الله تعالى : { وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ ... } وفي طاعة الله طاعة رسوله صلى الله عليه وسلّم، ولكنه ذكره تشريفاً لقَدره وتنويهاً باسمه صـلى الله عليه وسلّم وعلى آله وصحبه.

قوله تعالى : { فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم } أي : هم معهم في دار واحدة ونعـيم واحد، يستمتعون برؤيتهم والحضور معهم، لا أنهم يساوونهم في الدرجة؛ فإنهم يتفاوتون لكنـهم يتزاورون للاتباع في الدنيا والإقتداء. وكل من فيها قد رُزق الرضا بحاله، وقد ذهب عنه اعتقاد أنه مفضول. قال الله تعالى : { وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ } [الأعراف :٤٣].

قوله تعالى : { مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّـالِحِينَ } قسمهم أربعة أقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل، وحثّ كافة الناس على أن لا يتأخروا عنهم وهم الأنبيـاء الفـائزون بكمال العلم والعمل، المتجاوزون حد الكمال إلى درجة التكميل. ثم الصديقون الذين صـعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج والآيات، وأخرى بمعارج التصـفية والرياضـات إلى أوج العرفان؛ حتى اطلعوا على الأشياء وأخبروا عنها على ما هي عليها. ثم الشهداء الذين أدى بهـم الحرص على الطاعة والجد في إظهار الحق حتى بذلوا مهجهم في إعلاء كلمة الله. ثم الصـالحون الذين صرفوا أعمارهم في طاعته، وأموالهم في مرضاته .

قوله تعالى : { وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً } يعني: المشار إليهم، وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون. والرفيق الصاحب، وسمي رفيقاً لارتفاقك به وبصحبته.

عن أنس رضي الله عنه قال : أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلّم عن الساعة فقال : متى الساعة؟. قال : « وما أعددت لها؟ ». قال : لاشيء إلا أني أحب الله ورسوله. فقال : « أنت مع من أحببت ». قال أنس رضي الله عنه : فما فرحنا بشيء أشد فرحاً بقول النبي صلى الله عليه وسلّم : « أنت مع من أحببت ». قال أنس رضي الله عنه : فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلّم وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بأعمالهم.

قوله تعالى : { ذلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ } يعني الذي أعطى الله المطيعين من الأجر العظيم.

قوله تعالى : { وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيماً } يعني بجزاء من أطاعه، وقيل : معناه وكفى بالله عليماً بعباده فهو يوفقهم لطاعته. وفيه دليل على أنهم لم ينالوا تلك الدرجة بطاعتهم، بل إنما نالوها بفضل الله تعالى ورحمته، ويدل عليه ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « لن يُدخل أحداً منكم عمله الجنة. قالوا : ولا أنت يا رسول الله؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة ». لفظ البخاري ، ولمسلم نحوه.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

أدب الــتحـــيــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

{ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُــلِّ شَــيْءٍ حَسِــيباً }

[النساء : ٨٦].

قوله تعالى : { وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ } تعليم لهم حسن العشرة وآداب الصحبة. وإن من حمّلك فضلاً صار ذلك في ذمتك له قرضاً، فإما زِدْتَ على فِعله وإلا فلا تنقص عن مثله.

روي أن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال : لما سمعت بقدوم الرسول صلى الله عليه وسلّم دخلت في غمار الناس، فأول ما سمعت منه : « يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعــام ، وصِلوا الأرحام ، وصلّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام ».

قوله تعالى : { فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ } رد الأحسن أن يزيد، وينبغي أن يكون السلام كله بلفظ الجماعة، وإن كان المُسلَّمُ عليه واحداً. روى الأعمش عن إبراهيم النخعي قــال : إذا سلمت على الواحد فقل : السلام عليكم، فإن معه الملائكة. وكذلك الجواب يكون بلفظ الجمع.

ومن السنة تسليم الراكب على الماشي، والقائم على القاعد، والقليل على الكثير؛ هكذا جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « يسلم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكــثير » فــذكره فبــــدأ

بالراكب لعلــوّ مرتبــته؛ ولأن ذلك أبعــد لــه من الزهو، وكذلك قيل في المــاشي مثلــه. وقيل : لما كان القاعد على حال وَقَــار وثبوت وسكــون فله مزيّــة بذلك علــى الماشي؛ لأن حالــه على العكس من ذلك. وأما تسليم القليــل على الكثير فمراعاة لشرفية جمع المســلمين وأكثريتهم. وقــد زاد البخاري في هــذا الحديث : « ويسلم الصغيــر على الكبيــر ». وأمــا تسليــم الكبيــر على الصغيــر، فقــد جاء فــي الصحيحين عن سيّار قال : كنت أمشي مع ثابت فمر على صبيان فسلّم عليهم، وذكر أنه كان يمشي مع أنس رضي الله عنه فمر بصبيان فسلم عليهم، وحدّث أنه كان يمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم فمر بصــبيان فســلم عليهم. لفظ مسلم. وهذا من خُلُقه العظيم صلى الله عليه وسلم، وفيه تدريب للصغير، وحــض على تعليم السنن، ورياضة لهم على آداب الشريعة،فيه. فلْتقْتدِ.

وأما الكافر فحكم الرد عليه أن يقال له : وعليكم. قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره : المراد بالآية { وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ } فإذا كانت من مؤمن { فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ } وإن كانت من كافر فردوا. على ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم أن يقال لهم : (وعليكم).

السنــة فــي السلام الجهــر، لأنــه أقوى فــي إدخال السرور إلــى القلب. الســنة في المصافحة عند السلام عادة الرسول صلى الله عليه وسلم، قــال صــلى الله عليــه وســلّم : « إذا تصافح المسلمان تحاتت ذنوبهما كما يتحات ورق الشجر ». قال أبو يوسف : من قــال لآخر : أقرأ فلاناً عني السلام وجب عليه أن يفعل.

إذا دخلت بيتاً خالياً فسلّم. وفيه وجوه : الأول : أنك تسلم من الله على نفسك. والثاني : أنك تسلم على من فيه من مؤمني الجن. والثالث : أنك تطلب السلامة ببركة السلام ممن في البيت من الشياطين والمؤذيات.

السنة أن يكون المبتدىء بالسلام على طهارة، وكذا المجيب. روي أن واحداً سلّم على الرسول الله صلى الله عليه وسلّم وهو كان في قضاء الحاجة، فقام وتيمم ثم رد السلام.

السنة إذا التقى إنسانان أن يبتدرا بالسلام إظهاراً للتواضع.

والمواضع التي لا يسلم فيها ثمانية:

الأول : روي أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال : « لا يُبدأ يهودي بالسلام ».

الثاني : إذا دخل الجمعة والإمام يخطب، فلا ينبغي أن يسلم لاشتغال الناس بالاجتماع.

الثالث : إذا دخل الحمام فرأى الناس متزرين يسلم عليهم، وإن لم يكونوا متزرين لا يسلم عليهم.

الرابع : الأولى ترك السلام على القاريء، لأنه إذا اشتغل بالجواب يقطع عليه التلاوة، وكذلك القول فيمن كان مشتغلاً برواية الحديث ومذاكرة العلم.

الخامس : لا يسلم على المشتغل بالأذان والإقامة للعلة التي ذكرناها.

السادس : لا يسلم على لاعب النرد، ولا على المغني.

السابع : لا يسلم على من كان مشتغلاً بقضاء الحاجة.

الثامن : إذا دخل الرجل بيته سلّم على امرأته، فإن حضرت أجنبية هناك لم يسلم عليهما.

قوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً } معناه: حفيظاً. روى النسائي عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلّم فجاء رجل فسلم، فقال : السلام عليكم. فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلّم وقال : « عشر ». ثم جلس، ثم جاء آخر فسلم فقال : السلام عليكم ورحمة الله؛ فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلّم وقال « عشرون ». ثم جلس وجاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ فرد عليه صلى الله عليه وسلّم وقال « ثلاثون ».

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

ذكــر الله تــعــالـــــــى

بسم الله الرحمن الرحيم

{ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ قِيَــاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَــاباً مَّوْقُوتاً } [النساء : ١٠٣].

قوله تعالى : { فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ قِيَــاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُــوبِكُمْ } ذهــب الجمهور إلى أن هذا الذكر المأمور به هو إثر صلاة الخوف؛ أي : إذا فرغتم من الصلاة فاذكروا الله بالقلب واللسان، على أي حال كنتم { قِيَــاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ } وأديمــوا ذكــره بالتكبير والتهليل والدعاء بالنصر لاسيما في حال القتال. ونظيره { إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [الأنفال : ٤٥].

فالوظائف الظاهرة موَقتة، وحضور القلب بالذكر مسرمد غير منقطع؛ أما بالرسوم فوقتاً دون وقت، وأما بالقلوب فإياكم والغيبة عن الحقيقة لحظة كيفما اختلفت بكم الأحوال، الذكر كيفما كنتم وكما كنتم، وأما الصلاة فإذا اطمأننتم.

قوله تعالى : { فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ } سكنت قلوبكم من الخوف وأمنتم بعدما تضع الحرب أوزارها، { فَأَقِيمُواْ الصَّلاةَ } أي : الصلاة التي دخل وقتها حينئذٍ، أي : أدوها بتعديل أركانها ومراعــاة شرائعها.

ومن حمل الذكر على ما يعم الذكر باللسان والصلاة من الحنفية فله أن يقول في تفسير الآية : فداوموا على ذكر الله في جميع الأحوال، وإذا أردتم أداء الصلاة فصلوها قائمين حال الصحة والقدرة على القيام، وقاعدين حال المرض والعجز عن القيام، ومضجعين على الجنوب حال العجز عن القعود.

قوله تعالى : { إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً } أي : فرضاً مؤقتاً، والمراد بالكتاب ههنا المكتوب، كأنه قيل : مكتوبة موقوتة.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

خـــيـــر الـــنـــجـــــــوى

بسم الله الرحمن الرحيم

{ لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذلِكَ إبْتَغَآءَ مَرْضَــاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً } [النساء : ١١٤].

قوله تعالى : { لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ } هذه إشارة إلى ما كانوا يتناجون فيـــه حـــين يبيتون ما لا يرضي من القول. والنجوى في اللغة : سر بين اثنين.

قوله تعالى : { إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ } أفضل الأعمال ما كانت بركاته تتعدى صاحبه إلى غيره؛ ففضيلة الصدقة يتعدى نفعها إلى من تصل إليه. والفُتُوة أن يكون سعيك لغيرك، ففـــي الخـــبر : « شر الناس من أكل وحده ».

قوله تعالى : { أَوْ مَعْرُوفٍ } وأما المعروف : فكل حسن في الشرع فهو معروف، ومن ذلـــك إنجاد المسلمين وإسعادهم فيما لهم قربة إلى الله، وزلفى عنده.

وقال صلى الله عليه وسلّم : «كل معروف صدقة وإن من المعروف أن تلقى أخـــاك بوجـــه طلق ». أخرجه الترمذي. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلّم أنه قال : « من فُتح عليه بـــاب من الخير فلينتهزه فإنه لا يدري متى يغلق عنه ». وقال العباس رضي الله عنه : لا يتم المعروف إلا بثلاث خصال : تعجيله وتصغيـــره وستـــره، فـــإذا عجـــلته هنأتـــه، وإذا صغرته عظمته، وإذا سترته أتممته.

قوله تعالى : { أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ } ولا يخفى ما فيه، والمراد من الإصلاح بين الناس التأليف بينهم بالمودة إذا تفاسدوا من غير أن يجاوز في ذلك حدود الشرع الشريف. نعم أبيح الكذب لذلك، فقد أخرج الشيخان وأبو داود عن أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول : « ليس الكذاب بالذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً ».

قوله تعالى : { وَمَن يَفْعَلْ ذلِكَ ابْتَغَآءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ } الإنسان إنما ينتفع بها إذا أتى بها لوجه الله ولطلب مرضاته، فأما إذا أتى بها للرياء والسمعة انقلبت القضية فصارت من أعظم المفاسد. وهذه الآية من أقوى الدلائل على أن المطلوب من الأعمال الظاهرة رعاية أحوال القلب في إخلاص النية، وتصفية الداعية عن الإلتفات إلى غرض سوى طلب رضوان الله تعالى، ونظيره قوله تعالى : { وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } [البينة : ٥]. وقوله تعالى : { وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى } [النجم : ٣٩]. وقوله صلى الله عليه وسلّم : « إنما الأعمال بالنيات ».

قوله تعالى : { فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً } يقصر عنه الوصف، ويُسْتَحْقَرُ دونه ما فات من أعراض الدنيا.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

إســـــلام الـــوجـــه لله تـــعـــالــــــى

بسم الله الرحمن الرحيم

{ وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَــذَ اللَّــهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً } [النساء : ١٢٥].

قــوله تعالــى : { وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله } في هذا الاستفهام تنبيه علـــى أن ذلك منتهى ما تبلغه القوة البشرية، وذلك لأن دين الإسلام مبني على أمرين : الاعتقاد والعمل. فالله تعالى أشـــار إلـــى الأول بقولـــه تعـــالـــى : { أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله } والوجه لكونه أحســـن أعضاء الإنسان عبّر به عن نفسه فكأنه قيل : ليس أحد أحسن ديناً ممن عرف ربه وأقر بربوبيته وأخلص نفسه في عبوديتها لربه؛ بأن لا ينقاد ولا يخضع لغيره، ولا يتعلق قلبه بشيء من الأشياء إلا ابتغاء لوجه ربه. وأشار إلى الثاني بقوله تعالى : { وَهُوَ مُحْسِنٌ } أي : في الانقياد لربه بـــأن يكون آتياً بجميع ما يكلفه به على وجه الإذلال والخشوع، كما قال صلى الله عليـــه وســـلّم : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ».

قـــولـــه تعالـــى : { وَهُوَ مُحْسِنٌ } أي : آتٍ بالحسنـــات، تـــارك للسيئات.

قـــولـــه تعـــالى : { واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ } الموافقـــة لديـــن الإسلام، المتفق على صـــحتها وقَبولها بين الأديان كلها، بخلاف ملة موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام.

قوله تعالى : { حَنِيفاً } الحنيف المائل، ومعناه أنه مائل عن الأديان كلها سوى الإسلام، لأن ما سواه باطل.

قــوله تعــالى : { وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً } تعلــق هــذه الآيــة بما قبلها، وفيه وجهان.

الأول : أن إبراهيم عليه السلام لما بلغ في علو الدرجة في الدين أنْ اتخذه الله خليلاً، كــان جديراً بأن يُتَّبَعَ خُلُقُهُ وطريقته.

والثاني : أنه لما ذكر ملة إبراهيم ووصفه بكونه حنيفاً ثم قال عقيبه : { وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْــرَاهِيمَ خَلِيلاً } أشعر هذا بأنه سبحانه إنما اتخذه خليلاً لأنه كان عالمًا بذلك الشرع، آتياً بتلك التكاليف، ومما يؤكد هذا قوله تعالى : { وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَــاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَــاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا } [البقرة : ١٢٤]. وهذا يدل على أنه سبحانه إنما جعله إماماً للخلق لأنه أتم تلك الكلمات.

وإذا ثبت هذا فنقول : لما دلّت الآية على أن إبراهيم عليه السلام إنما كان بهــذا المنصــب العالي، وهو كونه خليلاً لله تعالى بسبب أنه كان عاملاً بتلك الشريعة، كان هذا تنبيهاً على أن من عمل بهذا الشرع لا بد وأن يفوز بأعظم المناصب في الدين، وذلك يفيد الترغيب العظيم في هذا الدين.

وروي في سبب كون إبراهيم عليه السلام ملقباً بهذا اللقب الشريف؛ أنه هبط عليه ملك في صورة رجل وذكر اسم الله بصوت رخيم شجي، فقال إبراهيم عليه السلام : اذكره مرة أخرى . فقــال : لا أذكــره مجانــاً. فقال : لك مالي كلــه، فذكــره الملك بصوت أشجى من الأول. فقال : اذكره مرة ثالثة ولك أولادي. فقال الملك : أبشر فإني ملك لا أحتاج إلى مالك وولدك،

وإنما كان المقصود امتحانك. فلما بذل المال والأولاد على سماع ذكر الله تعالى لا جرم اتخذه الله خليلاً.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حـــول ولا قوة إلا بـــالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

عـــدم إتـــبـــــاع الـــهـــــوى

بسم الله الرحمن الرحيم

{ يَــأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَآءِ للَّهِ وَلَوْ عَلَــى أَنفُسِــكُمْ أَوِ الْوَالِــدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقَيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً } [النساء : ١٣٥].

قوله تعالى : { يَــأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ } أي : مواظبين على العدل في جميع الأمور، مجتهدين في ذلك كل الاجتهاد لا يصرفكم عنه صارف.

قوله تعالى : { شُهَدَآءِ للَّهِ } أي : كونوا قوامين بالعدل عند شهاداتكم. قوله تعالى : { للَّهِ } معناه لذات الله ولوجهه ولمرضاته وثوابه.

قوله تعالى : { وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ } أدب الله جل وعز المؤمنين بهذا؛ كما قال ابن عباس رضي الله عنهما : أمروا أن يقولوا الحق ولو على أنفسهم.

قوله تعالى : { أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ } أي : ولو كانت على والديكم وأقاربكم بأن تقــروا وتقولوا مثلاً : أشهد أن لفلان على والدي كذا، أو على أقــاربي. وفي هذا بيان على أن شهادة الابن على الوالدين لا تكون عقوقاً، ولا يحل للابن الامتناع عن الشهادة علـــى أبويـــه لأن في الشهادة عليهما بالحق منعاً لهما من الظلم.

قوله تعالى : { إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقَيراً فَاللَّهُ أَوْلَى } أي : فلا تمتنعوا عن الشهادة على الغـــني طلباً لرضاه، أو على الفقير شفقة عليه، لأن الله تعالى أولى بالجنسين وأنظر لهما من سائر الناس، ولولا أن حق الشهادة مصلحة لهما لما شرعها، فراعوا أمر الله تعالى فإنه أعلم بمصالح العباد منكم.

قوله تعالى : { فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ } أي : أن لا تعدلوا. تعليل للنهي لأن من اتبـــع الهوى فقد اتصف بالجور، ومن ترك إتباعه فلا يتصف به فيصير المعنى انتهوا عن إتبـــاع الهـــوى لأجل أن لا يحصل منكم جور.

قوله تعالى : { وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ } وإن تلووا ألسنتكم عن شهادة الحق أو حكومة العدل أو تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها.

قوله تعالى : { فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً } يعني: أنه تعالى يجـــازي المحســـن بإحســـانه والمسيء بإساءته فيجازيكم بأعمالكم.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حـــول ولا قوة إلا بـــالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

إخـــلاص الـــديــــن لله تــعـــالـــــــى

بسم الله الرحمن الرحيم

{ إِنَّ الْمُنَـــافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً (١٤٥) إِلاَّ الَّـــذِينَ تَـــابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَـــئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً (١٤٦) مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَـــاكِراً عَلِيماً (١٤٧) لاَّ يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً (١٤٨) إِن تُبْدُواْ خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً } [النساء: ١٤٩ ــ ١٤٥].

الحق سبحانه وتعالى أخبر في الآية أن المنافقين في الدرك الأسفل من النار حيث قـــال تعـــالى: { إِنَّ الْمُنَـــافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ }، وهي الطبقة التي في قعر جهنم، وإنما كان كذلك لأهم أخبث الكفرة لأهم ضموا إلى الكفر الاستهزاء بالإسلام وخداعاً للمسلمين، وأمـــا قولـــه صلى الله عليه وسلّم: « ثلاث من كنّ فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم مـــن إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أتمن خان » رواه النسائي، ونحوه فمن بـــاب التشـــديد والتغليظ.

قوله تعالى: { وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً } أي: مانعاً يمنع عنهم العذاب ويخرجهم مـــن الـــدرك الأسفل من النار، والخطاب لكل من يصلح له كائناً من كان.

قوله تعالى : { إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ للَّهِ } شَرَطَ في إزالة العقاب عن المنافقين أموراً أربعة :

الأول : التوبة عما ارتكبوه من القبائح.

والثاني : إصلاح العمل وإتيان ما حسنه الشرع من أفعال القلوب والجوارح.

والثالث : الاعتصام بالله بأن يكون الغرض من ترك القبائح وفعل الحسنات طلب مرضاة الله ورحمته.

والرابع : أن تكون تلك الأمور المذكورة خالصة لوجه الله، أي : لا يخطر بباله في شيء من ذلك غرض غير ابتغاء مرضاة الله، ولا يكون هذا الغرض ممزوجاً بغرض آخر.

ولم يشترط كل هذه الشرائط في رجوع أحد عن جرمه ما اشترط في رجوع المنافقين عن نفاقهم لصعوبة حالهم في كفرهم، وبعد تحصيلهم هذه الشروط. قال لهم : { فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ } ولم يقل من المؤمنين، وفي هذه إشارة أيضاً إلى نقصان رتبهم وإن تداركوا بإخلاصهم ما سبق من آفتهم.

قوله تعالى : { وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً } لا يقادر قدره فيساهمونهم فيه ويقاسمونهم.

قوله تعالى : { مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ } أي : أيتشفى به من الغـيظ؟ أم يدرك به الثأر؟. أم يستجلب به نفعاً؟. أم يستدفع به ضرراً كما هو شأن الملوك؟. أي : لا يفعل بعذاب المؤمن الشاكر شيئاً من ذلك لأن كل ذلك محال في حقه تعالى، لأنه تعالى غني بذاته عـن الحاجات، منـزه عن جلب المنفعة ودفع المضرة. وأما تعذيب من لم يؤمن أو آمـن ولم يشـكر فليس لمصلحة تعود إليه تعالى بل لاستدعاء حال المكلف ذلك، كاستدعاء سوء المزاج المـرض. والمقصود منه حمل المكلفين على الإيمان وفعل الطاعات والاحتراز عن القبيح وترك المنكـرات، فكأنه قيل إذا أتيتم الحسنات وتركتم المنكرات فكيف يليق بكرمه أن يعذبكم؟!. وتهذيبه عباده لا يزيد في ملكه، وتركه عقوبتهم على فعلهم القبيح لا ينقص من سلطانه.

قوله تعالى : { وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً } الشكر من العبد هو الاعتراف بالنعمـة الواصلـة إليـه مع ضروب من التعظيـم، ومن الله تعالـى الرضـا، أي : راضيـاً باليسيـر مـن طاعـة عبـاده، وإضعاف الثواب مقابلـة واحدة إلى عشـرة إلـى سبعمائـة إلـى ما شـاء مـن الأضعـاف.{ عَلِيماً } بحق شكركم وإيمانكم، فيستحيل ألا يوفيكم أجوركم. فينبغي لطالـب الحق أن يخضع له خضوعاً تاماً، ويشكره شكراً كثيراً.

هذه الآية من الآيات التي توجب حسن الرجاء وقوة الأمل، لأنه جعل من أمارات الأمان من العقوبات شيئين اثنين : الشكر والإيمان، وهما خصلتان يسيرتان خفيفتان.

قوله تعالى : { لاَّ يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ } قول المظلوم في ظالمـه، على وجه الإذن له، ليس بسوء في الحقيقة، لكنه يصح وقوع لفظة السوء عليه كقوله تعـالى :

{ وَجَزَآءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا } [الشورى : ٤٠]. والجزاء ليس بسيئة. ويقال : من علم أن مـــولاه يسمع، استحيا من النطق بكثير مما تدعوا نفسه إليه.

ويقال : من طالع الخلق بعين الإضافة إلى الحق بأهم عبيد الله لم يبسط فيهم لسان اللوم. يقول الرجل لصاحبه أنا أحتمل من خدمتك حرمةً لك ما لا احتمل من ولدي. فإذا كان مثـــل هـــذا معهوداً بين الخلق، فالعبد بمراعاة هذا الأدب، بينه وبين مولاه أولى.

قوله تعالى : { لاَّ يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ } مرتب على ما تقدم من ذكر أحوال المنـــافقين أي: فلا تتوهم أيها العاقل من تقبيح الله لبعض عبيده أنه يجوز لكل أحدٍ التقبيح لمن علم منه سوءاً أو ظنه فيه.

ولا يجوز الدعاء على الظالم بسوء الخاتمة على المعتمد ولو بلغ في الظلم مهما بلغ، ولا بخراب دياره أو هلاكه، وعدم الدعاء أجمل وهو مقام عظيم، ولذا أُمِرَ به صلى الله عليه وســـلّم بقولـــه تعالى : { فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ } [الشورى : ٨٥].

قوله تعالى : { وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً } سميعاً لأقوالكم، عليماً بعيوبكم، يعـــني لا تقولـــوا للأغيار ما تعلمون أنكم بمثابتهم.

ويقال : سميعاً لأقوالكم، عليماً ببراءة ساحة من تقولتّم عليه، فيكون فيه تهديد للقائل ،لبريء الساحة، بما يتقول عليه.

ويقال : سميعاً أيها الظالم، عليماً أيها المظلوم، تهديد لهؤلاء وتبشير لهؤلاء .

قوله تعالى : { إِن تُبْدُواْ خَيْراً أَوْ تُخْفُوهْ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوءٍ } أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُــوءٍ اعلــم أن معاقــد الخيرات على كثرتها محصورة في أمرين : صدق مع الحق، وخُلُــقٌ مع الخلــق. والذي يتعلــق بالخلــق محصــور فــي قسميــن : إيصال نفع إليهم، ودفع ضرر عنهم، فقوله تعالى : { إِن تُبْدُواْ خَيْراً أَوْ تُخْفُوهْ } إشارة إلى إيصال النفع إليهم، وقوله تعالى : { أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوءٍ } إشارة إلى دفع الضرر عنهم، فدخل في هاتين الكلمتين جميع أنواع الخير وأعمال البر.

ويقال : من أحسن إليك فأبدِ معه خيراً جهراً، ومن كفاك شره فأخلــص بالولاء والــدعاء لــه سراً، ومن أســاء إليك فاعفُ عنــه كرماً وفضلاً، تجدْ من الله عفوه عنك عما ارتكبــت، فإن ذنوبك أكثر، وهو قــادر على أن يعطيــك من الفضــل والإنعام ما لا تـــصل إليـــه بالانتصاف من خصمك، وما تجده بالانتقام.

قــولــه تعالى : { فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً } أي : إنــه تعــالــى يعفو عن الجــانين مع قدرتــه على الانتقــام، فعليكــم أن تقتــدوا بسنــة الله تعالى.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حــول ولا قوة إلا بــالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

الاعـــتصـــام بـــالله تـــعـــالـــــــى

بسم الله الرحمن الرحيم

{ يَـــأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً (١٧٤) فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُواْ بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً } [النساء : ١٧٤ ــ ١٧٥].

قـــوله تعـــالى : { يَـــأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُمْ بُرْهَانٌ } البرهان ما يبرهن به على المطلـــوب. والمراد به القرآن الدال على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلّم المثبت لما فيه من الأحكام التي من جملتها ما أشير إليه مما أثبتته الآيـــات الكريمـــة من حقيـــة الحق وبطـــلان الباطـــل، وروي عن ابـــن عباس رضي الله عنه : أنه النبي صلى الله عليه وسلّم عبر عنه به لما معه من المعجـــزات التي تشهد بصدقه.

قـــولـــه تعـــالى : { مِّن رَّبِّكُمْ } أي : كائـــن منـــه تعالى. والتعرض لعنوان الربوبية مـــع الإضافة إلى ضمير المخاطبين لإظهار اللطف بهم والإيذان بأن مجيئه إليهم لتربيتهم وتكميلهم.

قوله تعالى : { وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً } أريد به أيضاً القرآن الكريم، عبر عنه تارةً بالبرهان لما أشير إليه آنفاً، وأخرى بالنور النير بنفسه المنور لغيره إيذاناً بأنه بيّن بنفسه، مستغن في ثبـــوت حقيته، وكونه من عند الله تعالى بإعجازه غير محتاج إلى غيره، مبيّن لغيره من الأمور المـــذكورة،

وإشعاراً بهدايته للخلق وإخراجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وإسناد إنزاله إليـــه تعـــالى بطريق الإلتفات لكمال تشريفه.

قوله تعالى : { فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ } يعني صدقوا بوحدانية الله تعالى وبما أرسل من رسول وأنزل من كتاب، { وَاعْتَصَمُواْ بِهِ } يعني بالله في أن يثبتهم على الإيمان، ويصونهم عـــن زيـــغ الشيطان، وقيل في معنى { وَاعْتَصَمُواْ بِهِ } أي : وتمسكوا بالنور وهو القرآن الذي أنزله على نبيه محمدٍ صلى الله عليه وسلّم.

قوله تعالى : { فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ } قال ابن عباس رضي الله عنهما : الرحمـــة الجنة، والفضل ما يتفضل به عليهم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت { وَيَهْـــدِيهِمْ إِلَيْـــهِ صِـــرَاطاً مُّسْتَقِيماً } يريد ديناً مستقيماً.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

الــوسيلـــة والتوسل

بسم الله الرحمن الرحيم

{ يَــأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَــاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [المائدة : ٣٥].

قوله تعالى : { يَــأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ } يعني : واطلبــوا إليــه القرب بطاعته والعمل بما يرضى، وإنما قلنا ذلك لأن مجامع التكاليف محصورة في نوعين لا ثالث لهما.

أحد النوعين : ترك المنهيات، وإليه الإشارة بقوله تعالى : { اتَّقُواْ اللَّهَ }.

والثاني : التقرب إلى الله تعالى بالطاعات، وإليه الإشارة بقوله تعالى : { وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ }. وابتغاء الوسيلة ما يقربه إليه مطلقاً. ومن جملة ذلك محبة أنبياء الله وأوليائه، والصدقات، وزيارة أحباب الله، وكثرة الدعاء، وصلة الرحم، وكثرة الذكر، وغير ذلك. فالمعنى : كل ما يقربكم إلى الله فالزموه، واتركوا ما يبعدكم عنه. إذا علمت ذلك فمن الضلال البين والخسران الظاهر تكفير المسلمين بزيارة أولياء الله، زاعمين أن زيارتهم من عبادة غير الله، كلا بل هي من جملة المحبـــة في الله.

والوسيلة هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود. والوسيلة أيضاً عَلَمٌ على أعلى منزلـــة في الجنة، وهي منـــزلة رسول الله صلى الله عليه وسلّم وداره في الجنة، وهي أقرب أمكنة الجنة إلى العرش.

قوله تعالى : { وَجَـــاهِدُواْ فِى سَبِيلِهِ } والجهاد من أعظم الطاعات وهو قسمان : أصغر، وهو قتال المشركين. وأكبر، وهو الخروج عن الهوى والنفس والشيطان. وكان قتال المشركين جهاداً أصغر لأنه يحضر تارة ويغيب أخرى، وإذا قتلك الكافر كنت شهيداً، وإن قتلته صرت ســـعيداً، بخلاف النفس فلا تغيب عنك. وإذا قتلتك صرت من الأشقياء. نسأل الله السلامة.

قوله تعالى : { لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } بالوصول إلى الله تعالى والفوز بكرامته.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

عاقبـــة الـــصـــدق

بسم الله الرحمن الرحيم

{ قَالَ اللَّهُ هَـــذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّـــادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّـــاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَـــا الأَنْهَـــارُ خَـــالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً رَّضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [المائدة : ١١٩].

قوله تعالى : { قَالَ اللَّهُ هَـــذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّـــادِقِينَ صِدْقُهُمْ } أجمعوا على أن المراد بهذا اليوم يوم القيامة، والمعنى: أن صدقهم في الدنيا ينفعهم في القيامة. وإنما ينفعهم الصدق في ذلك اليوم، وإن كان نافعاً في كل الأيام لوقوع الجزاء فيه.

ومن تعجل ميراث صدقه في دنياه، من قبول حصل له من الناس، أو رياسة عقدت له، أو نفع وصل إليه من جاه أو مال. فلا شيء له في آجله من ثواب صدقه، لأن الحق سبحانه نصّ بأن يوم القيامة ينفع فيه الصادقين صدقهم.

قوله تعالى : { لَهُمْ جَنَّـــاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَـــارُ خَـــالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً رَّضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } اعلم أنه تعالى لما أخبر أن صدق الصادقين في الدنيا ينفعهم في القيامة، شرح كيفية ذلك النفع، وهو الثواب. وحقيقة الثواب أنها منفعة خالصة دائمة مقرونـــة بالتعظيم. فقوله تعالى : { لَهُمْ جَنَّـــاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَـــارُ } إشارة إلى المنفعة الخالصـــة عن الغموم والهموم، وقوله تعالى : { خَـــالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً } إشـــارة إلى الـــدوام. واعتبر هـــذه الدقيقـــة : فإنه أينما ذكر الثواب، قال : { خَـــالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً } وأينما ذكر عقاب الفساق من

أهل الإيمان، ذكر لفظ الخلود ولم يذكر معه التأبيد. وأما قوله تعالى : { رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } فهو إشارة إلى التعظيم. هذا ظاهر قول المتكلمين، وأما عند أصحاب الأرواح المشرقة بأنوار جلال الله تعالى، فتحت قوله تعالى : { رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ } أسرار عجيبة لا تسمح الأقلام بمثلها، جعلنا الله من أهلها. وقوله تعالى : { ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } الجمهور على أن قوله : { ذلِكَ } عائد إلى جملة ما تقدم من قوله تعالى : { لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً رَّضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ } وعندي أنه يحتمل أن يكون ذلك مختصاً بقوله تعالى : { رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ } فإنه ثبت عند أرباب الألباب أن جملة الجنة بما فيها بالنسبة إلى رضوان الله كالعدم بالنسبة إلى الوجود، وكيف والجنة مرغوب الشهوة، والرضوان صفة الحق ، وأي مناسبة بينهما؟!. وهذا الكلام يشمئز منه طبع المتكلم الظاهري، ولكن كل ميسر لما خلق له.

عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم فيه : « ثم يتجلى لهم الرب جل جلاله، فيقول : سلوني سلوني أعطكم، قال، فيسألونه الرضا فيقول : رضاي أحلَّكم داري، وأنالكَم كرامتي، فسلوني أعطكم، فيسألونه الرضا، قال، فيشهدهم أنه قد رضي عنهم سبحانه وتعالى ».

هذا هو الفوز الكبير الذي لا أعظم منه، كما قال تعالى : { لِمِثْلِ هَـذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ } [الصافات : ٦١]. وكما قال تعالى : { وَفِى ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ } [المطففين : ٢٦].

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

الـــحـــذر مـــن الـــدنـــيـــــــــا

بسم الله الرحمن الرحيم

{ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَآ إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْــرٌ لِّلَّــذِينَ يَتَّقُــونَ أَفَــلاَ تَعْقِلُــونَ }

[الأنعام : ٣٢]

قوله تعالى : { وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَآ إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ } اعلم أن المنكرين للبعث والقيامــة تعظــم رغبتهم في الدنيا وتحصيل لذاتها، فذكر الله تعالى هذه الآية تنبيهاً على خساستها وركاكتها.

واعلم أن نفس هذه الحياة لا يمكن ذمها، لأن هذه الحياة العاجلة لا يصح اكتساب السعادات الأخروية إلا فيها، هذا عام في حياة المؤمن والكافر. والمراد منه اللذات الحاصلة في هذه الحيـــاة، والطيبات المطلوبة في هذه الحياة، وإنما سماها باللعب واللهو، لأن الإنسان حال اشتغاله باللعــب واللهو يلتذ به، ثم عند انقراضه وانقضائه لا يبقى منه إلا الندامة، فكذلك هذه الحياة لا يبقى عند انقراضها إلا الحسرة والندامة.

ومعنى { لَعِبٌ وَلَهْوٌ } : باطل وغرور، كما قال تعالى: {وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَــاعُ الْغُرُورِ} [آل عمران : ١٨٥]. وليس من اللهو واللعب ما كان من أمور الآخرة، فإن حقيقة اللعب مـــا لا ينتفع به، واللهو ما يلتهى به، وما كان مراداً للآخرة خارج عنهما.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « الــدنيا ملعونةٌ، ملعونٌ ما فيها، إلا ما كان فيها من ذكر الله أو أدّى إلى ذكر الله، والعالم والمتعلم شريكان في الأجر، وسائر الناس همجٌ لا خير فيه » أخرجه الترمذي.

ويقــول الإمام القشيــري رحمــه الله : ما كــان للنــفس فيــه حــظٌّ ونصيبٌ اليوم فهو من الدنيا، وما كــان من الدنيا فإنه - لا محالة - يلهيــك عــن مــولاك، وما يشغــلك عــن الحــق ركونُــه فغيــرُ مبــاركٍ قربُهُ.

ولما كان معظم غواية الجهال المنكرين للبعث حبَّ الدنيا والاغترارَ بزخارفهــا والرغبــة في الالتذاذ بها، نبه الله تعالى على خساستها وانعدام منفعتها وأنه لا يميل إلى الالتــذاذ بطيباتهــا إلا الجهال بحقائق الأمور. وأما المحققون فيعلمون أن كل هذه الطيبات لا يزينها إلا النفس الأمــارة والطبيعة الشيطانية، وليس لها في نفس الأمر حقيقة معتبرة.

قــولــه تعــالــى : { وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ } وصف الآخرة بكونها خيراً، وهذه الخيرية إنما تحصل لمن كان من المتقين من المعاصي والكبائــر . فأما الكافــر والفاسق فــلا، لأن الدنيا بالنسبــة إليه خير من الآخرة على ما قال صلى الله عليه وسلّم : « الدنيا سجن المــؤمن وجنة الكافر ». رواه مسلم ومالك.

قــولــه تعــالــى : { أَفَلاَ تَعْقِلُونَ } أي : أتغفلــون فلا تعقلــــون أي الأمــريــــن خيــر؟!. وسميت الدنيــا بالدنيــا لدنــوهــا قبــل الآخرة أو لدناءتها. وإنما جعل الله الآخرة غائبة عن الأبصار لأنها لو كانت حاضــرة لما جحــدوها، و لارتفعت التكاليــف والمحــــن، فجعــل ما على الأرض زينة للابتلاء. وحقيقة الدنيا ما يشغلك عن ربك.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

الـــخــــوف مـــن الـــظلــــــم

بسم الله الرحمن الرحيم

{ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَـانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ } [الأنعام : ٨٢].

قوله تعالى : { الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَـانَهُمْ بِظُلْمٍ } أي : هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له، ولم يشركوا به شيئاً، هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية { الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَـانَهُمْ بِظُلْمٍ } شق ذلك على الناس، فقالوا : يا رسول الله أينا لم يظلم نفسه؟. قال : « إنه ليس الذي تعنون ، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح : { يَابُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ }، إنما هو الشرك » أخرجه البخاري.

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فلما برزنا من المدينة، إذا راكب يوضِع نحونا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « كأن هذا الراكب إياكم يريد »، فانتهى إلينا الرجل، فسلم فرددنا عليه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلّم : « من أين أقبلت؟ » قال : من أهلي وولدي وعشيرتي. قال : « فأين تريد؟. » قال : أريد رسول الله صلى الله عليه وسلّم. قال : « قد أصبته ». قال : يا رسول الله علمني ما الإيمان؟. « قال : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت ». قال : قد أقررت . قال : ثم إن بعيره دخلت يده

في جحر جرذان، فهوى بعيره وهوى الرجل، فوقع على هامته فمات، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « علي بالرجل ». فوثب إليه عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهم ، فأقعداه فقالا : يا رسول الله قبض الرجل قال : فأعرض عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلّم، ثم قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « أما رأيتما إعراضي عن الرجل؟. فإني رأيت ملكين يسدان في فيه من ثمار الجنة، فعلمت أنه مات جائعاً ». ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : هذا من الذين قال الله عز وجل فيهم : { الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ } ثم قال : « دونكم أخاكم ». فاحتملناه إلى الماء، فغسلناه وحنطناه وكفناه، وحملناه إلى القبر، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلّم حتى جلس على شفير القبر، فقال : « الحدوا ولا تشقوا، فإن اللحد لنا، والشق لغيرنا » رواه أحمد.

قوله تعالى: { أُوْلَـئِكَ } عنى: الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم. { لَهُمُ الأمْنُ } يوم القيامة من عذاب النار. { وَهُمْ مُّهْتَدُونَ } يعني : الى سبيل الرشاد.

عن عبد الله بن سخبرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « من أُعطي فشكر، ومُنع فصبر، وظَلم فاستغفر، وظُلم فغفر ». وسكت، قال : فقالوا يا رسول الله ما له؟. قال : { أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ } أخرجه ابن مردويه.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

تـــرك الإثـــم ظـــاهـــــراً وبـــاطنـــــــاً

بسم الله الرحمن الرحيم

{ وَذَرُواْ ظَـــاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَـــا كَـــانُواْ يَقْتَرِفُـــونَ } [الأنعام : ١٢٠].

قـــولـــه تعـــالى : { وَذَرُواْ ظَـــاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ } أي : اتركوا أيها المؤمنون الإثم الظاهر والإثم الباطن. والمراد بالإثم ما يوجب الإثم وهو المعاصي كلها، لأنها لا تخلو من هذين الوجهين. فيدخل فيه ما يُعلَنُ وما يُسَرُّ سواء كان من أعمال القلوب أو الجوارح. فأعمال الجوارح ظاهرة كالأقوال والأفعال، وأعمال القلوب باطنة كالعقائد الفاسدة والعزائم الباطلة. وحقيقة ظاهر الإثم طلب نعم الدنيا، وباطنه الميل إلى نعم العقبى، لأن كلاً منهما يصير سبباً للبعد عن حضرة المولى. والإشارة أن الله تعالى كما خلق للإنسان ظاهراً هو بدن جسماني، وباطناً هو قلـــب روحـــاني، فكذلك جعل للإثم ظاهراً هو كل قول وفعل موافق للطبع مخالف للشرع، وباطناً هو كل خلـــق حيواني وسَبُعي وشيطاني جبلت النفس عليه { وَذَرُواْ ظَـــاهِرَ الإِثْـــمِ وَبَاطِنَـــهُ } أي : اتركـــوا الأعمال الطبيعية باستعمـــال الأعمال الشرعية، واتركوا الأخلاق الذميمة النفسانية بـــالتخلق بالأخلاق الملكية الروحانية. ويقال : ظاهر الإثم ما للأغيار عليـــه اطلاع، وباطن الإثم هو ســـر بينك وبين الله، لا وقوف لمخلوق عليه.

ويقال : أسبغت عليكم النِّعم ظاهراً وباطناً، فذروا الإثم ظاهراً وباطناً، فإن من شرط الشكر تركَ استعمال النعمة فيما يكون إثماً ومخالفــة. وهـــذه المرتبــة لا يبلغها إلا مـــن اتــــقى وأحسن، كما قال تعالى : { ثُمَّ اتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } [المائدة : ٩٣].

قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ } يعـــني : إن الـــذين يعملون بما نهاهم الله عنه، ويرتكبون ما حرم عليهم من المعاصي وغيرها، سيجزون في الآخرة بما كانوا يكسبون في الدنيا من الآثام. وظاهر هذا النص يدل على عقاب المذنب وأنه مخصوص بمن لم يتب، لأن المسلمين أجمعوا على أنه إذا تاب العبد من الذنب توبة صحيحة لم يعاقب. وزاد أهـــل السنة في ذلك فقالوا : المذنب إذا لم يتب فهو في خطر المشيئة، إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنـــه بفضله وكرمه.

فاعلم أن العصاة كلهم في خطر المشيئة بل الطائعون لا يدرون بماذا يختم لهم. فيـــا أيهـــــا العاصي لا تغتر فإن العناية لا تحصل لكل عاص ولا تدري أنك ممن أراد الله تعالى عفوه.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

الاخـــتبـــار فـــي الـــنـــعـــــــم

بسم الله الرحمن الرحيم

{ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـــاتٍ لِّيَبْلُـوَكُمْ فِـي مَآ ءَاتَـــاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ } [الأنعام : ١٦٥].

قوله تعالى : { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـــاتٍ } يعني: أنه تعالى خالف بين أحوال عباده فجعل بعضهم فوق بعض في الخلق والـــرزق والشـــرف والعقل والقوة والفضل، فجعل منهم الحسن والقبيح، والغني والفقير، والشريف والوضيع، والعالم والجاهل، والقوي والضعيف. وهذا التفاوت بين الخلق في الدرجات ليس لأجل العجز أو ا هل أو البخل، فإن الله سبحانه وتعالى متره عن صفات النقص، وإنما هو لأجل الابتلاء والامتحان.

قوله تعالى : { لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَـــاكُمْ } أي : ليختبركم في الذي أنعم به عليكم، وامتحنكم به، ليختبر الغني في غناه ويسأله عن شكره، والفقير في فقره ويسأله عن صبره. وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وســـلّم : « إن الـــدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر ماذا تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء ».

ثم إن المكلف إما أن يكون مقصراً فيما كلف به، وإما أن يكون موفراً فيه، فإن كـــان الأولَ كان نصيبه من التخويف والترهيب هو قوله تعالى : { إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ }. ووصفَ العقاب بالسرعة لأن ما هو آتٍ قريب. وإن كان الثاني، وهو أن يكون موفراً في تلك الطاعـــات كـــان نصيبه من التشريف والترغيب، هو قوله تعالى : { وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ } أي : يغفر الذنوب ويستر العيوب في الدنيا بستر فضلـــه وكرمـــه ورحمتـــه. وفي الآخـــرة بأن يفيض عليه أنواع نعمه. وهذا الكلام بلغ في شرح الإعذار والإنذار والترغيب والترهيب إلى حيث - ولـــه الحكمـــة في ذلك، كقوله تعالى : { نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْـــضٍ دَرَجَـــاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً } [الزخرف : ٣٢]. - لا يمكن الزيادة عليه.

وكثيراً ما يقرن الله تعالى في القرآن بين هاتين الصفتين، كقوله تعالى : { وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ } [الرعد : ٦]. وقوله تعالى : { نَبِّىءْ عِبَادِى أَنِّى أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ } [الحجر : ٥٠]. إلى غير ذلك من الآيـــات المشتملة على الترغيب والترهيب.

فتارة يدعو عباده إليه بالرغبة وصفة الجنة والترغيب فيما لديه، وتارة يدعوهم إليه بالرهبـــة، وذكر النار، وأنكالها وعذابها، والقيامة وأهوالها، وتارة بهما لينجع في كل بحسبه، جعلنا الله ممـــن أطاعوا فيما أمر، وترك ما عنه نهى وزجر، وصدقه فيما أخبر، إنه قريب مجيب سميع الدعاء جواد كريم وهاب.

عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال : « لـــو يعلـــم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قـــنط أحد من الجنة. خلق الله مائة رحمة فوضع واحدة بين خلقه يتراحمون بها وعند الله تسعة وتسعون » رواه الترمذي ومسلم.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

تــحـــــريم الــفــواحـــــش

بسم الله الرحمن الرحيم

{ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْــرِكُواْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَـــاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ } [الأعراف : ٣٣].

قوله تعالى : { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ } الفاحشـــة اســـم للكبيرة، والإثم اسم لمطلق الذنب، سواء كان كبيراً أو صغيراً.

والفائدة فيه : أنه تعالى لما حرم الكبيرة، أردفها بتحريم مطلق الذنب، لئلا يتوهم أن التحريم مقصور على الكبيرة.

قـــولـــه تعالـــى : { مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ } أي : جهـــرَها وسرَّهـــا، والمراد بـــالجهر : المعاصي الظاهرية، كالقتل وشرب الخمر. وبالسر : المعاصي الباطنية القلبية كالعجـــب والكـــبر والرياء. عن عبد الله ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « لا أحد أغير من الله، فلذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه المدح من الله » أخرجاه في الصحيحين.

قولــه تعالــى : { وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ } البغــي هــو الظــلم والكبــر والاستطالة علــى الناس، ومجاوزة الحد في ذلك كله. ومعنى البغي بغيــر الــحق : هو أن يطلب ما ليس لــه بحق، فــإذا طلب ما لــه بحق خرج من أن يكون بغياً.

قوله تعالى : { وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَــاناً } أي : وحرم أن تشركوا بــالله، وهذا فيه تهكم بالمشركين والكفار، لأنه لا يجوز أن ينــزل حجة وبرهاناً بأن يشرك به غيره.

قوله تعالى : { وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ } بالإلحاد في صــفاته والافتــراء عليــه، كقولهم: { وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا } [الأعراف : ٢٨]. ولا يخفى ما في توجيه التحريم إلى قــولهم عليــه سبحانه ما لا يعلمون وقوعه؛ دون ما يعلمون عدم وقوعه.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

مـــن أخـــلاق الـــنبـــــي صلى الله عليه وسلّم

بسم الله الرحمن الرحيم

{ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِض عَنِ الْجَــاهِلِينَ (١٩٩) وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَـــانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠) إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَـــائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَـــانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ } [الأعراف : ١٩٩ ــ ٢٠١].

قوله تعالى : { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِض عَنِ الْجَــاهِلِينَ } هذه الآية مـــن ثـــلاث كلمات، تضمنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيات. فقوله تعالى : { خُذِ الْعَفْوَ } دخل فيه صلة القاطعين، والعفو عن المذنبيـــن، والرفـــق بالمؤمنيـــن، وغير ذلك من أخـــلاق المطـــيعين. ودخل في قوله تعالى : { وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ } صلة الأرحام، وتقوى الله في الحلال والحرام، وغـــض الأبصار، والاستعداد لدار القرار. وفي قوله تعالى : { وَأَعْرِض عَنِ الْجَــاهِلِينَ } الحـــض علـــى التعلق بالعلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتنـــزه عن منازعة الســـفهاء، ومســـاواة الجهلـــة الأغبياء، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة. روى سفيان بن عيينة عن الشـــعبي أنه قال : إن جبريل نزل على النبي صلى الله عليه وسلّم، فقال له النبي صلى الله عليه وســـلّم : « ما هذا يا جبريـــل؟ » فقـــال : لا أدري حتى أســـأل العالـــم، - وفي روايـــــة - لا أدري حتى أسأل ربي. فذهب فمكث ساعة ثم رجع، فقال : « إن الله تعالى يأمرك أن تعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك ». رواه ابن جرير وابن أبي حاتم.

فمن خصائص سنة الله في الكرم أنه أمر نبيه صلى الله عليه وسلّم بالأخذ به، إذ الخبر ورد بأن المؤمن أخذ من الله خلقاً حسناً. وكلما كان الجُرْمُ أكبر كان العفو عنه أجل وأكمل، وعلى قدر عظم رتبة العبد في الكرم يتوقف العفو عن الأصاغر والخدم. قال النبي صلى الله عليه وسلّم في الجراحات التي أصابته في حرب أحد : « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ».

قوله تعالى : { خُذِ الْعَفْوَ } قال أهل اللغة : العفو الفضل وما أتى من غير كلفة. ويدخل فيه ترك التشدد في كل ما يتعلق بالحقوق المالية، ويدخل فيه أيضاً التخلق مع الناس بالخلق الطيب، وترك الغلظة والفظاظة.

قوله تعالى : { وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ } والمعروف هو كل أمر عرف أنه لا بد من الإتيان به، وأن وجوده خير من عدمه. وإذا أمر بالعرف ورغب فيه ونهى عن المنكر ونفر عنه، فربما أقدم بعض الجاهلين على السفاهة والإيذاء، فلهذا السبب قال تعالى في آخر الآية : { وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ }.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قدم عيينة بن حصن بن حذيفة، فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر رضي الله عنه ومشاورته، كهولاً كانوا أو شباباً، فقال عيينة لابن أخيه : يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه. قال : سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس رضي الله عنهما : فاستأذن الحر لعيينة، فأذن له عمر رضي الله عنه، فلما دخل عليه قال : هي يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا

الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر رضي الله عنه حتى هم أن يوقع به، فقال له الحر : يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلّم : { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ } وإن هذا من الجاهلين. والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب الله عز وجل. أخرجه البخاري.

قوله تعالى : { وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ } اعلم أن نزغ الشيطان عبارة عن وساوسه ونخسه في القلب، بما يسول للإنسان من المعاصي، وأكثر ما يكون عند الغضب. والاستعاذة بالله عند هذه الحالة أن يتذكر المرء عظيم نعم الله عليه وشديد عقابه، فيدعوه كل واحد من هذين الأمرين إلى الإعراض عن مقتضى الطبع، والإقبال على أمر الشرع.

وهذا الخطاب وإن كان للنبي صلى الله عليه وسلّم إلا أن المراد أمته، وتشريع الاستعاذة لهم. يقول الفقير حفظه الله القدير : يعضده ما قاله بعض الأولياء من أمته، وهو أبو سليمان الداراني قدس سره : ما خلق الله خلقاً أهون عليّ من إبليس، لولا أن الله أمرني أن أتعوذ منه ما تعوذت منه أبداً. وما قال البعض الآخر حين قيل له : كيف مجاهدتك للشيطان؟. قال : وما الشيطان؟. نحن قوم صرفنا هممنا إلى الله، فكفانا مَنْ دونه. فإذا كان هذا حال الولي فما ظنك بحال النبي؟.

واعلم أن الغضب لغير الله من نزغات الشيطان، وأنه بالاستعاذة يسكن. روي أنه صلى الله عليه وسلّم رأى رجلاً يخاصم أخاه قد احمر وجهه وانتفخت أوداجه من الغضب، فقال صلى الله عليه وسلّم : « إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال : أعوذ بالله من الشيطان، لذهب عنه ما يجده » رواه البخاري ومسلم. فإن سنح في باطنك من الوساوس أثرٌ، فاستعذ بالله يدركك بحسن التوفيق. وإن هجس في صدرك من الحظوظ خاطر، فاستعذ بالله يدركك بإزالة كل

نصيب، وإن لَحِقَتْكَ في بذل الجهد فترة، فاستعذ بالله يدركك بإدامة آلائــه، وإن اعترتــك في الترقي إلى محل الوصول وقفةٌ، فاستعذ بالله يدركك بإدامة التحقيق، وإن تقاصر عنك شيء مــن خصائص القرب، صيانة لك عن شهود المحل، فاستعذ بالله يُثْبِتْك له بدلاً من لك بك؟.

قوله تعالى : { إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } يدل على أن الاستعاذة باللسان لا تفيــد إلا إذا حضــر في القلب العلم بمعنى الاستعاذة، فكأنه تعالى قال : اذكر لفظ الاستعاذة بلســانك فــإني سميــع، واستحضر معاني الاستعاذة بعقلك وقلبك فإني عليم بما في ضميرك، وفي الحقيقة القول اللســاني بدون المعارف القلبية عديم الفائدة والأثر.

قــولــه تعــالــى : { إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَــائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَــانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ } إنما يمس المتقين طيف الشيطان في ساعات غفلتهم عن ذكر الله، ولو أهم اســتداموا ذكر الله بقلوبهم لما مسهم طائف الشيطان، فإن الشيطان لا يقرب قلباً في حال شهوده الله، لأنه ينخنس عند ذلك. ولكن لكل صارم نبوة، ولكل عالم هفوة، ولكل عابد شدة، ولكــل قاصــد فترة، ولكل سائر وقفة، ولكل عارف حجبة.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

آداب اســـتمـــاع الـــقـــــرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

{ وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤) وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِـــكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُنْ مِّنَ الْغَـــافِلِينَ (٢٠٥) إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ } [الأعراف : ٢٠٤ ــ ٢٠٦].

قـــوله تعالـــى : { وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ } لما ذكر الله سبحانه وتعـــالى عظم شأن القرآن بقوله تعالى : { هَـــذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَـــةً لِّقَـــوْمٍ يُؤْمِنُـــونَ } [الأعراف : ٢٠٣]. أتبعه بما يجب من تعظيم شأنه عنـــد قراءتـــه، فقـــال ســـبحانه وتعـــالى : { وَإِذَا قُرِىءَ } عليكم أيها المؤمنون { الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ } يعني: أصغوا إليـــه بأسمـــاعكم، لتفهموا معانيه وتتدبروا مواعظه، وأنصتوا يعني: عند قراءته، والإنصات السكوت للاســـتماع. فقوله جل ذكره : { فَاسْتَمِعُواْ لَهُ } استمعوا بسمع الإيمان والتصديق، وأنصتوا بصون الخواطر عن معارضات الاعتراض، ومطالبات الاستكشاف. ومن باشر التحقيقَ سرُّه لازم التصديقَ قلبُه. والإنصات في الظاهر من آداب أهل الباب، والإنصات بالسرائر من آداب أهل البساط.

قوله تعالى : { لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } يعني : لكي يرحمكم ربكم باتباعكم ما أمركم به من أوامره ونواهيه، وانتفاع الإنسان بالذكر إنما يكمل بهذه الصفة.

قــولــه تعالــى : { وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ } أردف ذلك الأمر بأن أمره في هذه الآية بأن يذكر ربه في نفسه، وأن يذكره عارفاً بمعاني الأذكار التي يقولها بلسانه مستحضراً لصفات الجلال والعز والعظمة والكبرياء، وذلك لأن الذكر باللسان إذا كان عارياً عن الذكر بالقلب كان عديم الفائدة، ألا ترى أن الفقهاء أجمعوا على أن الرجل إذا قال : بعت واشتريت، مع أنه لا يعــرف معاني هذه الألفاظ، ولا يفهم منها شيئاً، فإنه لا ينعقد البيع والشراء. فكذا ههنا.

وكمال حال الإنسان لما توقف على انكشاف عزة الربوبية وذلة العبودية، أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلّم بأن يذكر ربه في نفسه متضرعاً. لأن المقصود الأول إنما يتم بقوله تعــالى : { وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ } والمقصود الثاني إنما يتم بقوله تعالى : { تَضَرُّعًا وَخِيفَةً } لســكونها وانكسار ما قبلها، وهذا الخوف يتناول خوف التقصير في الأعمال وخوف الخاتمــة، وخــوف السابقة، فإن ما يظهر في الخاتمة ليس إلا ما سبق له الحكم في الفاتحة.

قوله تعالى : { تَضَرُّعًا وَخِيفَةً } أي : متضرعاً ومتــذللاً. والضــراعة الخضــوع والــذل والاستكانة، يقال تضرع إلى الله أي : ابتهل وتذلل، والابتهال الاجتهاد في الدعاء وإخلاصه. قال بعض العارفين بالله : الصلاة أفضل الحركات، والصوم أفضل السكنات، والتضرع في هياكــل العبادات يحل ما عقدته الأفلاك الدائرات.

قــولــه تعالــى : { وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ } أي : ومتكلماً كلاماً هو دون الجهر، فإنــه أقرب إلى حسن التفكر. ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلّم عمر يقرأ رافعاً صوته فســأله، فقال : أوقظ الوسنان، وأطرد الشيطان. قــال صــلى الله عليــه وســلّم : « اخفــض مــن صوتك قليلاً ». وأتى أبا بكر رضي الله عنه فوجده يقرأ خافضاً صوته، فسأله، فقال : قد أسمعت

من ناجيت . فقال : « ارفع من صوتك قليلاً ». وقد جمع النووي بين الأحاديث الواردة في استحباب الجهر بالذكر، والواردة في استحباب الإسرار به بأن الإخفاء أفضل حيث خاف الرياء، أو تأذى المصلون أو النائمون، والجهر أفضل في غير ذلك، لأن العمل فيه أكثر، ولأن فائدته تتعدى إلى السامعين، ولأنه يوقظ قلب الذاكر، ويجمع همه إلى الفكر، ويصرف سمعه إليه، ويطرد النوم، ويزيد في النشاط.

قوله تعالى : { بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ } خص الغدو والآصال بهذا الذكر، والحكمة فيه أن عند الغدوة انقلب الإنسان من النوم الذي هو كالموت إلى اليقظة التي هي كالحياة، والعالم انقلب من الظلمة التي هي طبيعة عدمية إلى النور الذي هو طبيعة وجودية. وأما عند الآصال فالأمر بالضد، لأن الإنسان ينقلب فيه من الحياة إلى الموت، والعالم ينقلب فيه من النور الخالص إلى الظلمة الخالصة، وفي هذين الوقتين يحصل هذان النوعان من التغيير العجيب القوي القاهر، ولا يقدر على مثل هذا التغيير إلا الإله الموصوف بالحكمة الباهرة والقدرة الغير المتناهية، فلهذه الحكمة العجيبة خص الله تعالى هذين الوقتين بالأمر بالذكر.

قوله تعالى : { وَلاَ تَكُنْ مِّنَ الْغَافِلِينَ } والمعنى : أن قوله تعالى : { بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ } دل على أنه يجب أن يكون الذكر حاصلاً في كل الأوقات، وقوله تعالى : { وَلاَ تَكُنْ مِّنَ الْغَافِلِينَ } يدل على أن الذكر القلبي يجب أن يكون دائماً، وأن لا يغفل الإنسان لحظة واحدة عن استحضار جلال الله وكبريائه بقدر الطاقة البشرية والقوة الإنسانية، واعلم أن قوله تعالى : { وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ } وإن كان ظاهره خطاباً مع النبي صلى الله عليه وسلّم، إلا أنه عام في حق كل

المكلفين، ولكل أحد درجة مخصوصة ومرتبة معينة بحسب استعداد جوهر نفسه الناطقة، كما قال في صفة الملائكة : { وَمَا مِنَّآ إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ } [الصافات : ١٦٤].

وقد سبق من شارح الكشاف أن الشيخ المرشد قد يأمر المبتدىء برفع الصوت لتنقلع من قلبه الخواطر الراسخة فيه.

وفي الحديث : « ألا أنبئكم بما هو خير لكم، وأفضل من أن تلقوا عدوكم فتضربوا رقـــابهم ويضربوا رقابكم؟ ذكر الله » أي : ما هو خير لكم مما ذكر : ذكر الله سبحانه، لأن ثواب الغزو والشهادة في سبيل الله حصول الجنة، والذاكر جليس الحق تعالى، كما قال : « أنا جليس مـــن ذكرني » والجليس لا بد أن يكون مشهوداً، فالحق مشهود الذاكر، وشهود الحق أفضـــل مـــن حصول الجنة، ولذلك كانت الرؤية بعد حصول الجنة وكمال تلك النعمة.

والذكر المطلوب من العبد أن يذكر الله باللسان، ويكون حاضراً بقلبه وروحه وجميع قـــواه، بحيث يكون بالكلية متوجهاً إلى ربه، فتنتفي الخواطر وتنقطع أحاديث النفس عنـــه. ثم إذا داوم عليه ينتقل الذكر من لسانه إلى قلبه، ولا يزال يذكر بذلك حتى يتجلى له الحق من وراء أســـتار غيوبه.

قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ } لمـــا رغب الله رسوله صلى الله عليه وسلّم في الذكر وفي المواظبة عليه، ذكر عقيبه ما يقوي دواعيه في ذلك، فقال : { إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ } والمعنى : أن الملائكة مع نهايـــة شرفهم وغاية طهارتهم وعصمتهم وبراءتهم عن بواعث الشهوة والغضـــب، وحـــوادث الحقـــد

والحسد، لما كانوا مواظبين على العبودية والسجود و الخضوع والخشوع، فالإنسان مع كونه مبتلى بظلمات عالم الجسمانيات، ومستعداً للذات البشرية والبواعث الإنسانية، أولى بالمواظبة على الطاعة، ولهذا السبب قال سيدنا عيسى عليه السلام : { وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً } [مريم : ٣١]. وقال تعالى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم : { وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ } [الحجر : ٩٩]. ولما ذكر من طاعاتهم أولاً كونهم يسبحون، وقد عرفت أن التسبيح عبارة عن تنزيه الله تعالى من كل سوء، أردفه بذكر السجود، وذلك يرجع إلى أعمال الجوارح، وهذا الترتيب يدل على أن الأصل في الطاعة والعبودية أعمال القلوب، ويتفرع عليها أعمال الجوارح. وأيضاً قوله تعالى : { وَلَهُ يَسْجُدُونَ } يفيد الحصر، ومعناه : أنهم لا يسجدون لغير الله.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

صفـــات كُــمَّـــل الـــمـــؤمـــنيـــــن

بسم الله الرحمن الرحيم

{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَـــاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـــاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُوْلَـــئِكَ هُـــمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُمْ دَرَجَـــاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ } [الأنفال : ٢ ــ ٤].

قوله تعالى : { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ } المراد به قطعاً الكاملون في الإيمان، وإلا لم يصح الحصر.

قوله تعالى : { الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ } المراد أن المؤمن إنما يكون مؤمناً إذا كان خائفاً من الله، ونظيره قوله تعالى : { تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ } [الزمر : ٢٣]. وقال أصحاب الحقائق : الخوف على قسمين : خوف العقاب، وخوف العظمة والجلال. أما خـــوف العقاب فهو للعصاة. وأما خوف الجلال والعظمة فهو لا يزول عن قلب أحد من المخلوقين، سواء كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلاً. وأين من يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينـــزع عنها خوفاً مـــن عقابه، ممن ينـــزع بمجرد ذكره من غير أن يذكر هناك ما يوجب النـــزع من صفاته وأفعالـــه، اســـتعظاماً لشـــأنه الجليـــل، وتهيبـــاً منـــه؟ فـــإن قيـــل : إنـــه تعـــالى قـــال ههنـــا : { وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ } وقال في آية أخرى : { الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَـــئِنُّ قُلُـــوبُهُمْ بِـــذِكْرِ اللَّـــهِ } [الرعد : ٢٨]. فكيف الجمع بينهما؟. وأيضاً قال في آية أخرى : { ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ } [الزمـــر : ٢٣]. قلنا : الاطمئنان إنما يكون عن ثلج اليقين، وشرح الصـــدر بمعرفـــة

التوحيد، والوجل إنما يكون من خوف العقوبة، ولا منافاة بين هاتين الحالتين، بل نقول : هـذان الوصفان اجتمعا في آية واحدة،و هي قوله تعالى : { تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ } [الزمر : ٢٣]. والمعنى : تقشعر الجلود من خوف عذاب الله، ثم تلين جلودهم وقلوبهم عند رجاء ثواب الله.

قوله تعالى : { وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً } ازدادوا بها يقيناً وطمأنينة نفس. وعن أبي هريرة رضي الله عنه : الإيمان بضع وسبعون شعبة : أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان. وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : إن للإيمان سنناً وفرائض وشرائع، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان. وقد استدل البخاري وغيره من الأئمة بهذه الآية وأشباهها على زيادة الإيمان وتفاضله في القلوب، كما هو مذهب جمهور الأمة.

قوله تعالى : { وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } أي : لا يرجون سواه ولا يقصدون إلا إياه ولا يلوذون إلا بجنابه، ولا يطلبون الحوائج إلا منه، ولا يرغبون إلا إليه، ويعلمون أنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في الملك، وحده لا شريك له، ولا معقب لحكمه، وهو سريع الحساب. ولهذا قال سعيد بن جبير : التوكل على الله جماع الإيمان.

واعلم أن المؤمن إذا كان واثقاً بوعد الله ووعيده كان من المتوكلين عليه لا على غيره، وهي درجة عالية ومرتبة شريفة، لأن الإنسان يصير بحيث لا يبقى له اعتماد في شيء من أموره إلا على الله عز وجل. واعلم أن هذه المراتب الثلاث أعني: الوجل عند ذكر الله وزيادة

الإيمان عند تلاوة القرآن والتوكل على الله من أعمال القلوب .ولما ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الصفات الثلاث أتبعها بصفتين من أعمال الجوارح.

قوله تعالى : { الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ } يعني: يقيمون الصلاة المفروضة بحدودها، وأركانها في أوقاتها، وينفقون أموالهم فيما أمرهم الله به من الإنفاق فيه. ويدخل فيه النفقة في الزكاة والحج والجهاد وغير ذلك من الإنفاق في أنواع البر والقربات .

ولا شك أن هذه الأخلاق والأعمال القلبية والقالبية لها تأثيرات في تصفية القلب، وفي تنويره بالمعارف الإلهية ونيله الكرامات الربانية، والمنازل العلية الروحانية، وأن المؤثر كلما كان أقوى وأكمل كانت الآثار أقوى وأكمل، وكلما كان المؤثر أضعف كانت الآثار أضعف وأدنى. ولما كانت هذه الأخلاق والأعمال لها درجات ومراتب مختلفة، كانت الآثار المترتبة عليها من المعارف والكرامات والمنازل الروحانية متفاوتة أيضاً، وذلك هو المراد بقوله تعالى : { لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ } والثواب الحاصل في الجنة أيضاً مقدر بمقدار هذه الأحوال. فثبت أن مراتب السعادات الروحانية قبل الموت وبعد الموت، ومراتب السعادات الحاصلة في الجنة كثيرة مختلفة، فلهذا قال تعالى : { لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ } فإن قيل : أليس أن المفضول إذا علم حصول الدرجات العالية للفاضل وحرمانه منها فإنه يتألم قلبه وينغص عيشه، وذلك يخل بكون الثواب رزقاً كريماً ؟ فالجواب: أن استغراق كل أحد في سعاداته الخاصة به يمنعه من حصول الحقد والحسد. وبالجملة فأحوال الآخرة لا تناسب أحوال الدنيا إلا بالاسم.

قوله تعالى : { أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً } أي : المتصفون بهذه الصفات هم المؤمنون حق الإيمان. وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : عن الحارث بن مالك الأنصاري، أنه مر برسول

الله صلى الله عليه وسلّم فقال له : « كيف أصبحت يا حارث؟. » قال : أصبحت مؤمناً حقــاً، قال : « انظر ما تقول، فإن لكل شيء حقيقة،فما حقيقة إيمانك؟ ». فقال : عزفت نفسي عـــن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها. فقال : « يا حارث عرفت فالزم » ثلاثاً.

وعن الحسن أن رجـــلاً ســـألـــه أمؤمـــن أنت؟. قال : الإيمـــان إيمانان. فإن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن، وإن كنت تسألني عن قوله تعالى : { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ } فوالله لا أدري أمنهم أنا أم لا؟.

قوله تعالى : { لَّهُمْ دَرَجَـــاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ } أي : منازل ومقامات ودرجات في الجنات .

قوله تعالى : { وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ } المراد من المغفرة: أن يتجاوز الله عن ســـيئاتهم. ومـــن الرزق الكريم: نعيم الجنة. قال المتكلمون : أما كونه رزقاً كريماً، فهو إشارة إلى كون تلك المنافع خالصة دائمة مقرونة بالإكرام والتعظيم، ومجموع ذلك هو حد الثواب. وقال العارفون : المـــراد من المغفرة إزالة الظلمات الحاصلة بسبب الاشتغال بغير الله، ومن الرزق الكريم الأنوار الحاصلة بسبب الاستغراق في معرفة الله ومحبته.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

الـــحـــذر مـــن الـــفتنـــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

{ وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُــواْ أَنَّ اللَّـــهَ شَـــدِيدُ الْعِقَـــابِ } [الأنفال : ٢٥].

قوله تعالى : { وَاتَّقُواْ فِتْنَةً } اعلم أنه تعالى كما حذر الإنسان أن يحال بينه وبين قلبه بقولـــه تعالى : { وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ } [الأنفال : ٢٤]. فكذلك حذره من الفـــتن. والمعنى واحذروا فتنة إن نزلت بكم لم تقتصر على الظالمين خاصة، بل تتعدى إليكم جميعاً، وتصل إلى الصالح والطالح. وقال ابن عباس رضي الله عنهما : أمر الله المؤمنين ألا يُقِروا المنكـــر بـــين أظهرهم فيعمهم العذاب.

قوله تعالى : { لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً } فالمعنى : إن أصابتكم لا تصب الظالمين منكم خاصة، ولكنها تعمكم. وفي صحيح مسلم عن زينب بنت جحش أنها سألت رســـول الله صلى الله عليه وسلّم، فقالت له : يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟. قال : « نعم إذا كثـــر الخبث ». وفي صحيح الترمذي « إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يده أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده ». وفي صحيح البخاري والترمذي عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استَهَمُوا - اقترعـــوا - على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا مِن المـــاء

مروا على مَن فوقهم، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ مَن فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً ». ففي هذا الحديث تعذيب العامة بذنوب الخاصة. وفيه استحقاق العقوبة بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال علماؤنا : فالفتنة إذا عُملت هلك الكل. وذلك عند ظهور المعاصي وانتشار المنكر وعدم التغيير، وإذا لم تغير وجب على المؤمنين المنكرين لها بقلوبهم هجران تلك البلدة والهرب منها. وبهذا قال السلف رضي الله عنهم. فإن قيل : فقد قال الله تعالى : { وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى } [الأنعام : ١٦٤]. { كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ } [المدثر : ٣٨]. { لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ } [البقرة : ٢٦٨]. وهذا يوجب ألا يؤخذ أحد بذنب أحد، وإنما تتعلق العقوبة بصاحب الذنب. فالجواب : أن الناس إذا تظاهروا بالمنكر فمن الفرض على كل من رآه أن يغيره، فإذا سُكِتَ عليه فكلهم عاص، هذا بفعله وهذا برضاه. وقد جعل الله في حكمه وحكمته الراضي بمنزلة العامل، فانتظم في العقوبة.

قوله تعالى : { وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } لمن خالف أمره، وكذا مَن أقر مَن انتهك محارمه.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

عــمــارة الــمســاجــــد

بسم الله الرحمن الرحيم

{ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَــاجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَءاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَى أُوْلَــئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ } [التوبة : ١٨].

قوله تعالى : { إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَــاجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ } بين في هذه الآية من هو المســتحق لعمارة المساجد، وهو من آمن بالله. فإن الإيمان بالله شرط فيمن يعمر المسجد، لأن المسجد عبارة عن الموضع الذي يعبد الله فيه، فمن لم يكن مؤمناً بالله امتنع أن يعمر موضــعاً يعبــد الله فيــه. { وَالْيَوْمِ الآخِرِ } يعني : وآمن باليوم الآخر وأنه حق كائن، لأن عمارة المسجد لأجل عبادة الله، وجزاء أجره إنما يكون في الآخرة، فمن أنكر الآخرة لم يعبد الله ولم يعمر له مسجداً، فإن قلت : لِمَ لَمْ يذكر الإيمان برسول الله مع أن الإيمان به شرط في صحة الإيمان ؟. قلت : إن الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلّم داخل في الإيمان بالله، فإن من آمن بالله واليوم الآخر فقد آمن برســول الله صلى الله عليه وسلّم، لأن من جهته عرف الإيمان بالله واليوم الآخر، لأنه هــو الــداعي إلى ذلك.

وفيه دليل على أن الشهادة لعُمار المساجد بالإيمان صحيحة، لأن الله سبحانه ربطه بها وأخبر عنه بملازمتها. وقد قال بعض السلف : إذا رأيتم الرجل يعمر المسجد فحسِّنوا به الظن. وروى

الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قـــال : « إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان ».

وعمارة المساجد قسمان : إما بلزومها وكثرة إتيانها. يقال : فلان يعمر مجلس فلان إذا كثـــر غشيانه إياه، وإما بالعمارة المعروفة في البناء.

قوله تعالى : { وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَءاتَى الزَّكَاةَ } واعلم أن الاعتبار بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة في عمارة المساجد، أن الإنسان إذا عمر المسجد أقام الصلاة وآتى الزكاة، لأن عمارة المسجد إنمـــا تلزم لإقامة الصلاة فيه، ولا يشتغل بعمارة المسجد إلا إذا كان مؤدياً للزكاة لأن الزكاة واجبة، وعمارة المسجد نافلة، ولا يشتغل الإنسان بالنافلة إلا بعد إكمال الفريضة الواجبة عليه.

قوله تعالى : { وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ } وهذا جواب عما يقال : كيف قيـــل ولم يخـــش إلا الله، والحال أن المؤمن يخشى مما يؤذيه ويضره كالظلمة والسباع المهلكة ونحوها، ولا يتمالك أن يخشى شيئاً منها؟. وتقرير الجواب : أن المعنى ــ والله أعلم ــ أن الله تعالى إذا كلف العبد بشيء مـــن الأمور المتعلقة بالدين، كالحج والجهاد ونحوهما، وعرض له ما يمنعه من إقامة ذلك الأمـــر بـــأن يضره، ويفوت عليه شيئاً من حقوق نفسه على تقدير إقامة ذلك الأمر الذي كلف به، ينبغي ألا يخاف مما يفوت عليه حق نفسه، بل يجتهد في إقامة حق الله تعالى خوفاً من غضبه وعقابه، ولا يختار على رضا الله رضا غيره خوفاً من ذلك الغير، كما قال تعـــالى : { أَتَخْشَـــوْنَهُمْ فَاللَّـــهُ أَحَـــقُّ أَن تَخْشَوْهُ } وقال : { فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ } فإن الخوف من المضار النفسانية أمر جِبلِّـــيٌ لا محذور فيه، إنما المحذور ترجيح حـــق نفســـه على حـــق الله تعالـــى، وأن يجعـــــل فَـــــوات حـــظ نفـــســـه كعذاب الله.

قــولــه تعالــى : { فَعَسَى أُوْلَـئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ } تبعيــد للمشركين عــن مواقف الاهتداء، وحسم لأطماعهم من الانتفاع بأعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها وأملــوا عاقبتها، بأن الذين آمنوا وضموا إلى إيمانهم العمل بالشرائع مع استشــعار الخشــية والتقــوى، اهتداؤهم دائر بين عسى ولعل، فما بال المشركين يقطعون أنهم مهتدون ونائلون عند الله الحسنى؟ وفي هذا الكلام ونحوه لطف للمؤمنين في ترجيح الخشية على الرجاء، ورفض الاغترار بالله تعالى.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

مـــن صفـــات الـــمـــؤمـــنيـــــن

بسم الله الرحمن الرحيم

{ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَــاتِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَــوْنَ عَــنِ الْمُنْكَــرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـــئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّــهَ عَزِيـــزٌ حَكِيمٌ (٧١) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَــاتِ جَنَّــاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَــارُ خَـــالِدِينَ فِيهَا وَمَسَــاكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِـكَ هُــوَ الْفَــوْزُ الْعَظِــيمُ } [التوبة : ٧١ ـــ ٧٢].

قوله تعالى : { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَــاتِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ } أي : يتناصرون ويتعاضدون، كما جاء في الصحيح : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً. وشبك بين أصابعه ». وفي الصحيح أيضاً : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ». فيعين بعضهم بعضاً على الطاعات، ويتواصون بينـــهم بترك المحظورات، فتحابُّـــهم في الله، وقيامهم بحق الله، وصحبتهم لله، وعداوتهم لأجل الله، تركوا حظوظهم لحق الله، وآثروا على هواهم رضاء الله. أولئك الذين عصمهم الله في الحال، وسيرحمهم في المآل.

واعلم أنه تعالى لما وصف المؤمنين بكون بعضهم أولياء بعض، ذكر بعده ما يجري مجرى التفسير والشرح له فقال : { يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ } فذكر هذه الأمور الخمسة التي بها يتميز المؤمن من المنافق.

قوله تعالى : { أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ } أي : يفيض عليهم آثار رحمته من التأييد والنصرة البتة، وينجيهم من العذاب الأليم، سواء كان عذاب النار، أو عذاب البعد من الملك الجبار، بالإدخال إلى الجنة والإيصال إلى القربة والوصلة. وعن بعض أهل الإشارة { سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ } في خمسة مواضع :

أولاً : عند الموت وسكراته، يهون عليهم سكرات الموت، ويحفظ إيمانهم من الشيطان. ثانياً : وفي القبر وظلماته، ينور قبورهم ويحفظهم من عذاب القبر. ثالثاً : وعند قراءة الكتاب وحسراته، يؤتيهم كتابهم بيمينهم، ويمحو سيآتهم من كتابهم، كي لا يتحسروا على سيآتهم. رابعاً : وعند الميزان وندماته، يثقل موازينهم. خامساً : وعند الوقوف بين يدي الله وسؤالاته، يسهل عليهم جوابهم ولا يؤاخذهم بعيوبهم.

قوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ } أي : قوي قادر على إعزاز أوليائه وقهر أعدائه، ذو النعمة لمن يطيعه. { حَكِيمٌ } بنى أحكامه على أساس الحكمة الداعية إلى إيصال الحقوق من النعمة والنقمة إلى مستحقيها من أهل الطاعة وأهل المعصية. حَكَمَ للمؤمنين بالجنة في مقابلة تصديقهم وإقرارهم، وللمحسنين بالوصلة في مقابلة طلبهم في جميع الحال رضا الله، وتركهم ما سواه. وحكم للكافرين والمنافقين بالنار لإنكارهم وتكذيبهم الأنبياء، وعبادتهم للأوثان والأصنام.

قوله تعالى : { وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَـاتِ جَنَّـاتٍ تَجْـرِي مِـن تَحْتِهَـا الأَنْهَـارُ خَـالِدِينَ فِيهَا وَمَسَـاكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّاتِ عَدْنٍ } وعدهم جميعاً الجنة، ومساكن طيبة، ولا يطيب المسكن إلا برؤية المحبوب، وكل محب يطيب مسكنه برؤية محبوبه. كما جاء في الصحيحين مـن حديث أبي عمران ا و عن أبي بكر بن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ».

قوله تعالى : { وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ } أي : رضا الله عنهم أكبر وأجل وأعظم مما هم فيه من النعيم.

قوله تعالى : { ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } إشارة إلى ما تقدم ذكره من نعيم الجنة والرضوان .

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

اتبـــاع الســـلــف الــصـــالـــح

بسم الله الرحمن الرحيم

{ وَالسَّـــابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَـــاجِرِينَ وَالأَنْصَـــارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِـــيَ اللَّـــهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـــاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَـــرُ خَـــالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً ذَلِـــكَ الْفَـــوْزُ الْعَظِيمُ } [التوبة : ١٠٠].

قوله تعالى : { وَالسَّـــابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَـــاجِرِينَ وَالأَنْصَـــارِ } يخبر الله تعالى عن رضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، ورضاهم عنه، بما أعد لهم من جنات النعيم والنعيم المقيم. فياويل من أبغضهم أو سبهم أو أبغض أو سب بعضهم، ولا ســـيما ســـيد الصحابة بعد الرسول صلى الله عليه وسلّم وخيرهم وأفضلهم، أعني: الصديقَ الأكبر والخليفـــة الأعظم أبا بكر بنَ أبي قحافة رضي الله عنه، فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضـــل الصحابة، ويبغضونهم ويسبونهم ـــ عياذاً بالله من ذلك ـــ وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة، وقلوبهم منكوسة. فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن إذ يسبون من رضي الله عنهم؟. وأما أهل السنة فإنهم يترضون عمن رضي الله عنه، ويوالون من يوالي الله، ويعادون من يعادي الله، وهم متبعون لا مبتدعون، ويقتدون ولا يبتدون. ولهذا هم حزب الله المفلحون وعباده المؤمنون.

روي عن حميد بن زياد أنه قال : قلت يوماً لمحمد بن كعب القرظي : ألا تخبرني عن أصـــحاب رسول الله فيما كان بينهم من الفتن ؟. فقال لي : إن الله تعالى قد غفر لجميعهم، وأوجب لهم الجنة في كتابه محسِنهم ومسيئِهم. فقلت له : في أي موضع أوجب لهم الجنة؟. فقال : ســبحان الله ألا تقرأ قوله تعالى : { وَالسَّـــابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَـــاجِرِينَ وَالأَنْصَـــارِ }. الآية فتعلم أنه تعالى أوجب لجميع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلّم الجنة والرضوان وشرط على التابعين شـــرطاً. قلت : وما ذلك الشرط؟. قال : شرط عليهم أن يتبعوهم بإحسان. وهـــو أن يقتـــدوا بهـــم في أعمالهم الحسنة. أو يقال : هو أن يتبعوهم بإحسان في القول، وأن لا يقولوا فيهم سوءاً، وأن لا يوجهوا الطعن فيما أقدموا عليه. قال حميد بن زياد : فكأني ما قرأت هذه الآية قط.

قوله تعالى : { وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ } هم الذين سلكوا سبيل المهـــاجرين والأنصـــار في الإيمان والهجرة والنصرة إلى يوم القيامة. وقال عطاء : هم الذين يذكرون المهاجرين والأنصـــار، فيترحمون عليهم، ويدعون لهم، ويذكرون محاسنهم. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قـــال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « لا تسبوا أصحابي فلو أن أحداً ــ وفي رواية أحدكم ــ أنفق مثل أُحُدٍ ذهباً، ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه ». رواه البخاري ومسلم.

قوله تعالى : { رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ } أي : قبل أعمالهم وأثابهم عليها، وأعطاهم ما لم يعط أحد من خلقه، وقبلوا ما أعطاهم الله. لما في الحديث : ما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك؟. فيقول : « أنا أعطيكم أفضل من ذلك ». فيقولون : وأي شيء أفضل مـــن هذا؟. فيقول : « أحل عليكم رضواني فلا أسخط بعده أبداً ». رواه مالك. ويقال : رضاهم عن الله قضية رضاء الله عنهم، فلولا أنه رضي عنهم في آزاله فمتى وصلوا إلى رضاهم عنه!.

قوله تعالى : { وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـــاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَـــارُ } أي : هيأ لهم ذلك في الآخـــرة. {خَـــالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً } من غير انتهاء { ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } أي : الذي لا فـــوز وراءه.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

صـــفـــاتٌ جـــامـــعــــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

{ التَّـــائِبُونَ الْعَـــابِدُونَ الْحَـــامِدُونَ السَّـــائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّـــاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَـــافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ } [التوبة : ١١٢].

قوله تعالى : { التَّـــائِبُونَ } اعلم أنه تعالى لما ذكر في الآية الأولى أنه { اشْتَرَى مِنَ الْمُـــؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الّجَنَّةَ } [التوبـــة : ١١١]. بين في هذه الآية أن أولئك المـــؤمنين هـــم الموصوفون بهذه الصفات التسعة.

فالصفة الأولى : قوله تعالى : { التَّـــائِبُونَ } التائبون من كل معصية، واعلم أن التوبة إنمـــا تحصل عند حصول أمور أربعة :

أولها : احتراق القلب في الحال، على صدور تلك المعصية عنه. وثانيها : ندمه على ما مضى. وثالثها : عزمه على الترك في المستقبل. ورابعها: أن يكون الحامل له على هذه الأمـــور الثلاثـــة طلبَ رضوان الله تعالى وعبوديتَه. فإن كان غرضه منها دفع مذمة النـــاس، وتحصيـــلَ مدحهـــم أو سائـــرَ الأغـــراض، فهـــو ليـــس مـــن التائبين. وهي واجبة على الفور. ويتقدمها معرفـــة الذنب المرجوع عنه، أنه ذنب. وعلامة قبولها أربعة أشياء : أن ينقطع عن الفاســـقين، ويتصـــل بالصالحين، بالتردد إلى مجالسهم الشريفة أينما كانوا. وأن يقبل على جميع الطاعات، إذ الرجوع إذا صح من القلب ترى الأعضاء تنقاد لما خلقت له، كالشجرة إذا صلح أصلها أثمر فرعها. وأن

يذهب عنه فرح الدنيا، إذ المقبل على الله لا يفرح بشيء مما سواه. وليحذر التائب مـــن نقـــض العهد والرجوع إلى المعصية.

قال القشيري قدس سره : التائبون أصناف : فمن راجع يرجع عن زلته إلى طاعته. ومن راجع يرجع عن شهود نفسه إلى شهود لطفه. ومن راجع يرجع عن الإحسان بنفسه وأبناء جنســه إلى الاستغراق بحقائق ربه.

والصفة الثانية : قوله تعالى : { الْعَـــابِدُونَ } فهم الخاضعون بكل وجه، الذين لا تَســـتَرِقُّهم كرائم الدنيا، ولاتستعبدهم عظائم العُقَبى. ولا يكون العبد عبداً لله ـــ على الحقيقة ـــ إلا بعـــد تجرده عن كل شيء حادث. وكل أحد فهو له عبد من حيث الحلقة. قال تعالى : { إِن كُلُّ مَـــن فِى السَّمَـــاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلاَّ آتِى الرَّحْمَـــنِ عَبْداً } [مريم : ٩٣]. ولكن صاحب العبودية خاص وهو عزيز.

والصفة الثالثة : قوله تعالى : { الْحَـــامِدُونَ } أي : المثنون عليه بآلائه، الشاكرون له علـــى نعمائه، المادحون له بصفاته وأسمائه.

وعمم بعضهم الحمد فأوجبه على النعم الدينية والدنيوية، وكذا على الشدائد والمصائب في الدنيا في أهل أو نفس أو مال، لأنها نعم بالحقيقة، بدليل أنها تعرض العبد لمثوبات جزيلة. حتى ما يقاسيه الأطفال عند الموت من الكرب الشديد، ترجع فائدته إلى الولي الصابر. وأنت تعلـــم أن الحمد في كل حال أولى، وفيه تأس برسول الله صلى الله عليه وسلّم. فقد أخرج ابن مردوديـــه والبيهقي في الشعب عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليـــه

وسلّم : « أول من يدعى إلى الجنة الحمادون الذين يحمدون على السراء والضراء ». وجاء عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلّم إذا أتاه الأمر يَسُرُّهُ قال : « الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ». وإذا أتاه الأمر يكرهه قال : « الحمد لله على كل حال ».

والصفة الرابعة : قوله تعالى : { السَّائِحُونَ } الصائمون ولكن عن شهود غير الله، الممتنعون عن خدمة غير الله، المكتفون من الله بالله. ويقال: السائحون الذين يسيحون في الأرض على جهة الاعتبار طلباً للاستبصار، ويسيحون بقلوبهم في مشارق الأرض ومغاربها بالتفكر في جوانبها ومناكبها، والاستدلال بتغيرها على مُنشئِها، والتحقق بحكمة خالقها بما يرون من الآيات فيها، ويسيحون بأسرارهم في الملكوت فيجدون روح الوصال، ويعيشون بنسيم الأنس بالتحقق بشهود الحق.

وقال عكرمة : هم طلاب العلم ينتقلون من بلد إلى بلد. ورحل جابر رضي الله عنه من المدينة إلى مصر لحديث واحد. ولذا لا يعد أحد كاملاً إلا بعد رحلته، ولا يصل إلى مقصوده إلا بعد هجرته. وقالوا : كل من لم يكن له أستاذ يصله بسلسلة الاتباع، ويكشف عن قلبه القناع، فهو في هذا الشأن سبط لا أب له، دَعِيٌّ لا نسب له.

والصفة الخامسة والسادسة : قوله تعالى : { الرَاكِعُونَ السَّاجِدونَ } في الصلاة. وإنما كنى بالركوع والسجود عن الصلاة لكون جهة العبادة أظهر فيهما بالنسبة إلى باقي أركان الصلاة، فإن هيئتي القيام والقعود قد يؤتى بهما على وفق العادة، بخلاف الركوع والسجود فإنهما

ليسا من الهيآت الطبيعية الموافقة للعادة، فلا يؤتى بهما إلا على سبيل العبادة، فكان لهما مزيـــد اختصاص بالصلاة.

الصفـــة السابعة والثامنـــة : قولـــه تعـــالى : { الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ } هم الذين يدعون الخلق إلى الله، ويحذرونهم من غير الله. يتواصون بالإقبـــال علـــى الله وتـــرك الاشتغال بغير الله. يأمرون أنفسهم بالتزام الطاعات بحملهم إياها على سنن الاستقامة، وينـــهون أنفسهم عن اتباع المنى والشهوات، بترك التعريج في أوطان الغفلة، وما تعودوه مـــن المســـاكنة والاستنامة.

والصفـــة التاسعـــة : قـــوله تعالى : { وَالْحَـــافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ } أي : فيما بَـــيَّـــنَـــــهُ وعَيَّـــنَـــهُ من الحقـــائق والشرائـــع، عمـــلاً وحمـــلاً للناس عليه. وقـــال القشـــيري : هـــم الواقفون حيث وقفهم الله، الذين يتحركـــون إذا حركهـــم، ويسكنون إذا سكنهم، ويحفظـــون مع الله أنفاسهم.

ثم إنه لما كانت التكاليف الشرعية غير منحصرة فيما ذكر، بل لها أصناف وأقسام كـــثيرة لا يمكن تفصيلها وتبيينها إلا في مجلدات، ذكر الله تعالى سائر أقسام التكاليف على سبيل الإجمـــال بقوله تعالى : { وَالْحَـــافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ } والفقهاء ظنوا أن الذي ذكروه في بيان التكـــاليف وافٍ، وليس كذلك. لأن أفعال المكلفين قسمان : أفعال الجوارح، وأفعال القلوب. وكتب الفقه مشتملة على شرح أقسام التكاليف المتعلقة بأعمال الجوارح، وأما التكاليف المتعلقـــة بأعمـــال القلوب فليس في كتبهم منها إلا قليل نادر. وبعض مباحثها مدون في الكتب الكلامية، والبعض

الآخر منها فصله الإمام الغزالي وأمثاله في علم الأخلاق، ومجموعها منـــدرج في قولـــه تعـــالى : { وَالْحَـــافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ }.

قوله تعالى : { وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ } يعني: هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل. وحذف المبشر بـــه للتعظيم، كأنه قيل : وبشرهم بما يجل عن إحاطة الأفهام وتعبير الكلام، وأعلى ذلك رؤيـــة الله تعالى في دار السلام، وفقنا الله وإياكم إلى أسباب مرضاته.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

الإيمـــان والعمـــل الصـــالح

بسم الله الرحمن الرحيم

{ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّـــالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَـــارُ فِي جَنَّـــاتِ النَّعِيمِ (٩) دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَـــانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَءَاخِـــرُ دَعْـــوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [يونس : ٩ — ١٠].

قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّـــالِحَاتِ } فهم شغلوا قلوبهم وأرواحهم بتحصيل المعرفة، وشغلوا جوارحهم بالخدمة، فعينهم مشغولة بالاعتبار، كما قال تعالى : { فَاعْتَبِرُواْ يأُوْلِى الأَبْصَـــارِ } [الحشر : ٢]. وأذنهم مشغولة بسماع كلام الله تعالى كما قال : { وَإِذَا سَمِعُواْ مَـــآ أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ } [المائـــدة : ٨٣]. ولسانهم مشغول بذكر الله كما قال تعالى : { يأَيُّهَا الَّـــذِينَ ءَامَنُواْ اذْكُرُواْ اللَّهَ } [الأحزاب : ٤١]. وجوارحهم مشـــغولة بنـــور طاعـــة الله كمـــا قـــال : { أَلاَّ يَسْجُدُواْ لِلَّهِ الَّذِى يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِى السَّمَـــاوَاتِ وَالأَرْضِ } [النمل : ٢٥]. واعلم أنـــه تعالى لما وصفهم بالإيمان والأعمال الصالحة ذكر بعد ذلك درجات كراماتهم ومراتب ســـعاداتهم وهي أربعة.

فالمرتبـــة الأولـــى : قـــولـــه تعـــالـــى : { يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ } الإنسان إذا آمن بالله فقد أشرق روحه بنور هذه المعرفة، ثم إذا واظب على الأعمال الصالحة حصلت له ملكة مستقرة في التوجه إلى الآخرة، وفي الإعراض عن الدنيا، وكلما كانت هذه الأحوال أكمل كان استعداد

النفس لتحصيل سائر المعارف أشد، وكلما كان الاستعداد أقوى وأكمل، كانت معارج المعارف أكثر، وإشراقها ولمعانها أقوى، ولما كان لا نهاية لمراتب المعارف والأنوار العقلية، لا جرم لا نهاية لمراتب هذه الهداية المشار إليها بقوله تعالى : { يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ }. أي : يوصلهم لدار السعادة بسبب تصديقهم بالله ورسوله وبسبب أعمالهم الصالحة أيضاً، فالإيمان والأعمال الصالحة سببان موصلان لدار السعادة.

قوله تعالى : { تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ } أي : بساتين التنعم. وهذا الاسم يطلق على جميع الجنات. والمعنى أن المؤمنين العاملين للصالحات يوصلهم رهم لدار كرامته ومحل سعادته، تجري الأنهار بجانب قصورهم ينظرون إليها من أعلى أماكنهم.

المرتبة الثانية : قوله تعالى : { دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ } والمراد أن أهل الجنة يشتغلون بتقديس الله تعالى وتمجيده والثناء عليه، فينطقون به تلذذاً وابتهاجاً وسروراً به، بناء على أن كمال حالهم لا يحصل إلا منه، فإن سعادة السعداء ، وناية درجة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والأولياء استسعادهم بمراتب معارف الجلال والارتقاء فيها أبداً. ولما كان غاية سعادة السعداء معرفته تعالى بصفات الجلال والإكرام، ذكر الله تعالى كون أهل الجنة مواظبين على هذا الذكر المقدس، الذي كانت الملائكة المقربون مشتغلين به قبل أن يخلق آدم عليه السلام. ألا يُرى أنهم قالوا : ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، فلذلك ألهم السعداء من أولاد آدم عليه السلام، حتى أتوا بهذا التسبيح في أول صلاتهم، بأن قالوا عند تكبير الافتتاح : سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك، ولا إله غيرك، وأتوا بهذا الذكر بعينه بعد انقراض العالم في دار الكرامة.

المرتبة الثالثة : قوله تعالى : { وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ } قال المفسرون : تحية بعضهم لبعض تكون بالسلام، وتحية الملائكة لهم بالسلام، كما قال تعالى : { وَالْمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلاَمٌ عَلَيْكُم } [الرعد : ٢٣]. وتحية الله تعالى لهم أيضاً بالسلام كما قال تعالى : { سَلاَمٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ } [يس : ٥٨].

المرتبة الرابعة : قوله تعالى : { وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } هذا فيه دلالة على أنه تعالى هو المحمود أبداً، المعبود على طول المدى، وأنه المحمود في الأولى والآخرة، في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وفي جميع الأحوال، ولهذا جاء في الحديث : « إن أهل الجنة يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس ». وإنما يكون ذلك كذلك لما يرون من تزايد نعم الله عليهم، فتكرر وتعاد وتزداد، فليس لها انقضاء ولا أمد، فلا إله إلا هو، ولا رب سواه.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

صـــفـــات الأولـــيـــــــــــاء

بسم الله الرحمن الرحيم

{ أَلآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ ءامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِى الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذلِكَ هُـــوَ الْفَـــوْزُ الْعَظِـــيمُ } [يونس : ٦٢ ــ ٦٤].

قوله تعالى : { أَلآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ } أي : أحبـــاء الله وأعـــداء نفوسهم، فإن الولايـــة هـــي معرفة الله ومعرفة نفوسهم، فمعرفة الله رؤيته بنظر المحبة، ومعرفة النفس رؤيتها بنظر العداوة عند كشف غطاء أحوالها وأوصافها، فإذا عرفتها حق المعرفة، وعلمت أنها عدوة لله ولك، وعالجتـــها بالمعاندة والمكابدة أمنت مكرها وكيدها، وما نظرت إليها بنظر الشفقة.

قوله تعالى : { لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ } في الدارين من لحوق مكروه. والخوف إنما يكون من حدوث شيء من المكاره في المستقبل. والحزن إنما يكون من تحقق شيء مما كرهـــه في الماضي، أو من فوات شيء أحبه.

والمستغرق في نور جلال الله غافل عن كل ما سوى الله تعالى، فيمتنع أن يكون له خـــوف أو حزن. وهذه درجة عالية، ومن لم يذقها لم يعرفها. ثم إن صاحب هذه الحالة قد تزول عنه الحالة، وحينئذ يحصل له الخوف والحزن والرجاء والرغبة والرهبة بسبب الأحوال الجسمانية.

قوله تعالى : { الَّذِينَ ءامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ } المعنى أن أولياء الله هم الذين اتصفوا بالإيمـــان، وهو الاعتقاد الصحيح المبني على الدلائل القطعية، والتقوى وهي امتثال المـــأمورات واجتنـــاب المنهيات على طِبْقِ الشرع، ولذا قال القشيري : شرط الولي أن يكون محفوظاً، كما أن من شرط النبي صلى الله عليه وسلّم أن يكون معصوماً. فكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغـــرور مخادع، وقال الإمام الشافعي وأبو حنيفة رحمهما الله تعالى : إذا لم تكن العلماء أولياء الله فليس لله ولي، وذلك في العالم العامل بعلمه.

والفرق بين المحفوظ والمعصوم أن المعصوم لا يلم بذنب البتة، والمحفوظ قد تحصل منه هنات، وقد يكون له ــ في الندرة ــ زلات، ولكن لا يكون له إصرار : { ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ }. وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « إن من عباد الله عباداً يغبطهم الأنبيـــاء والشهداء » قيل : من هم يا رسول الله لعلنا نحبهم؟. قال : « هم قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب، وجوههم نور، على منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس ». ثم قرأ { أَلآَ إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ } أخرجه البزار.

قال شيخنا العلامة أبقاه الله بالسلامة : وكانوا يتقون الله تعالى من صدور سيئات الأعمـــال والأخلاق في مرتبة الشريعة والطريقة، ومن ظهور الغفلات والتلوينات في مرتبة المعرفة والحقيقة، لأنهم يصلحون طبائعهم بالشريعة، وأنفسهم بالطريقة، وقلوبهم بالمعرفة، وأرواحهم وأســـرارهم بالحقيقة، فلا جرم أنهم يتقون من جميع ما سوى الله.

قوله تعالى : { لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } روي : أن عبادة بن الصامت رضي الله عنـــه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلّم ما هذه البشـــرى الـــذي ذكرهـــا الله تعـــالى بقولـــه :

{ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } فقال صلى الله عليه وسلّم : « الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له » رواه أحمد والترمذي.

قال الإمام : إذا حملنا قوله تعالى : { لَهُمُ الْبُشْرَى } على الرؤيا الصادقة فظاهر هذا النص يقتضي أنه لا تحصل هذه الحالة إلا لأولياء الله تعالى، والفعل أيضاً يدل عليه، وذلك لأن ولي الله هو الذي يكون مستغرق القلب والروح بذكر الله تعالى، ومن كان كذلك فإنه عند النوم لا يبقى في روحه إلا معرفة الله تعالى، ومن المعلوم أن معرفة الله تعالى ونور جلال الله لا يفيد إلا الحق والصدق، وأما من يكون متوزع الخاطر على أحوال هذا العالم المكدر المظلم فإنه إذا نام كذلك فلا يبقى إلا جرم خال من ذلك النور، فإنه لا اعتماد على رؤياه.

قوله تعالى : { وَفِى الآخِرَةِ } وأما البشرى في الآخرة فتلقي الملائكة إياهم مُسَلِّمِينَ مبشرين بالفوز والكرامة، وما يرونه من بياض وجوههم، وإعطاء الصحائف بأيمانهم، وما يقرؤن منها، وسلام الله تعالى عليهم كما قال تعالى : { سَلاَمٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ } [يس : ٥٨]. وغير ذلك من المبشرات بما بشر الله تعالى به عباده المتقين، في كتابه وعلى ألسنة أنبيائه من جنته وكريم ثوابه.

قوله تعالى : { لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ } أي : لمواعيدهم الواردة في حقهم، إذ لا خلف لمواعيده أصلاً.

قوله تعالى : { ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } الذي لا يصل إلى كنهه العقول، وكيف لا وفيه سعادة الدارين؟.

واعلم أن الولاية على قسمين : عامة وهي مشتركة بين جميع المؤمنين كما قـال الله تعـالى : { اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَـاتِ إِلَى النُّورِ } [البقرة : ٢٥٧]. وخاصـة وهـي مختصة بالواصلين إلى الله من أهل السلوك. والولاية عبارة عن فناء العبد في الحق والبقاء به، ولا يشترط في الولاية الكرامات الكونية، فإنها توجد في غير الملة الإسلامية، لكـن يشـترط فيهـا الكرامات القلبية، كالعلوم الإلهية والمعارف الربانية، فهاتان الكرامتان قد تجتمعان كما اجتمعتا في الشيخ عبد القادر الكيلاني والشيخ أبي مدين المغربي قـدس الله سرهمـا، فإنـه لم يـأت مـن أهـل الشـرق مثـل عبد القادر في الخوارق، ومن أهل الغرب مثل أبي مدين، مع مالهما مـن العلوم والمعارف الكلية. وقد تفترقان فتوجد الثانية دون الأولى، كما في أكثر الكمل من أهـل الفناء، وأما الكرامات الكونية كالمشي على الماء، والطيران في الهواء، وقطع المسافة البعيـدة في المدة القليلة، وغيرها فقد صدرت من الرهبانية والمتفلسفة الذين استدرجهم الحق بالخذلان مـن حيث لا يعلمون.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

الاعــتمــــــــاد عــلـــى الله

بسم الله الرحمن الرحيم

{ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } [يونس : ١٠٧].

قوله تعالى : { وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ } اعلم أن جميـــع الممكنـــات مستندة إليه، وجميع الكائنات محتاجة إليه، والعقول والهة فيه، والرحمة والجود والوجود فائض منه. والآية دالة على أن الضر والخير واقعان بقدرة الله تعالى وبقضائه، فبين سبحانه وتعالى أنه إن قضى لأحد شراً فلا كاشف له إلا هو، وإن قضى لأحد خيراً فلا راد لفضله البتة. وكما تفرد بإبداع الضر واختراعه فلا شريك يعضده، كذلك توحّد بكشف الضر وصرفه، فلا نصـــير ينجـــده. ويقال: هون على المؤمن الضر بقوله تعالى : { وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ } ولم يقل وإن يردك بضر ــ وإن كان ذلك الضر صادراً عن إرادته ــ وفي ذلك من حيث اللفظ دقة.

قولـــه تعالـــى : { وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ } فلا دافع لما أرادك به من الخير كائناً من كان. وفيه إيذان بأن فيضان الخير منه تعالى بطريق التفضل من غير استحقاق عليه سبحانه وعبر في جانب الخير بالإرادة دون المس إشارة إلى أن الخير لا يتوقف إثباته على سبب وهميؤ من العبد، بخلاف الضر، فلا بد من تقدم سببه، قال تعالى: {وَمَآ أَصَابَكُمْ مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ } [الشورى : ٣٠].

قوله تعالى : { يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ } إظهاراً لكمال العناية بجانب الخير، كما ينبيء عنه ترك الاستثناء فيه أن يصيب بفضله الواسع المنتظر لما أرادك به من الخير، وجعل الفضل عبارة عن ذلك الخير بعينه، على أن يكون من باب وضع المُظْهَرِ في موضع المضمر، وقوله عز قـــائلاً : { وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } تذييل لقوله تعالى : { يُصَيبُ بِهِ } الخ مقرر لمضمونه. روى الحافظ ابن عساكر عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال : « اطلبوا الخير دهركم كله، وتعرضوا لنفحات ربكم، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده، واسألوه أن يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم ».

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

الــصبــــــر فـــي الاتــبـــــــــاع

بسم الله الرحمن الرحيم

{ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَــاكِمِينَ } [يونس : ١٠٩].

قوله تعالى : { وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ } والمعنى أنه تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلّم باتباع الوحي والتنـــزيل، فإن وصل إليه بسبب ذلك الاتباع مكروه فليصبر عليه.

قوله تعالى : { حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ } قضي لك بالنصر وإظهار دينك { وَهُوَ خَيْرُ الْحَــاكِمِينَ } إذ لا يمكن الخطأ في حكمه، لاطلاعِه على السرائر اطلاعَه على الضمائر. قـــال في التـــأويلات النجمية : { وَهُوَ خَيْرُ الْحَـــاكِمِينَ } فيمن حكم بقبول الدعوة والقرآن والأحكام، والعمل بها لمن سبقت له العناية الأزلية، وبرد الدعوة والقرآن والأحكام والعمل بها لمن أدركتــه الشــقاوة الأزلية.

ومما وقع له من الأذية ما حدث به عبد الله بن مسعود قال : كنا مع رسول الله في المســـجد وهو يصلي، وقد نُحِرَ جزورٌ وبقي فرثه أي : روثه في كرشه، فقال أبو جهل : أيكم يقوم إلى هذا القذر ويلقيه على محمد صلى الله عليه وسلّم، فقام عقبة بن أبي معيط وجاء بذلك الفرث فألقاه على النبي صلى الله عليه وسلّم وهو ساجد، فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض مـــن شدة الضحك، فهممنا أي : خففنا أن نلقيه عنه حتى جاءت فاطمة رضي الله عنها فألقته عنـــه وأقبلت عليهم تشتمهم. وكان بجواره صلى الله عليه وسلّم جماعة منهم أبو لهب والحكـــم بـــن

العاص ابن أمية وعقبة بن أبي معيط، وكانوا يطرحون عليه الأذى، فإذا طرحوه عليه أخذه وخرج به ووقف على بابه، ويقول : يا بني عبد مناف أي : جوار هذا؟!. ثم يلقيه في الطريق. وقال صلى الله عليه وسلّم : مرة فيمن التزم أذية له من رؤساء قريش مخاطباً لأصحابه : « أبشروا فإن الله تعالى مظهر دينه، ومتمم كلمته، وناصر نبيه، إن هؤلاء الذين ترون مما يذبح على أيديكم عاجلاً » فوقع كما قال صلى الله عليه وسلّم، حيث ذبحهم الأصحاب بأيديهم يوم بدر. وهذه الأذية لا يظن ظان أنها منقصة له، بل هي رفعة له، ودليل على فخامة قدره، وعلو مرتبته، وعظيم رفعته ومكانته عند ربه، لكثرة صبره وحلمه واحتماله، مع علمه باستجابة دعائه، ونفوذ كلمته عند الله تعالى وقد قال : « أشد الناس بلاء الأنبياء » عليهم السلام فالأنبياء كالذهب، والشدائد التي تصيبهم كالنار التي يعرض عليها الذهب، فإن ذلك لا يزيد الذهب إلا حسناً. فكذا الشدائد لا تزيد الأنبياء إلا رفعة. نسأل الله تعالى أن يثبتنا على الحق المبين، ويحكم لنا بالنصر على نفوسنا، وهو خير الحاكمين.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

عـــاقبـــة الإيـــمـــان والـــعمـــل الـــصالـــــح

بسم الله الرحمن الرحيم

{ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّـــالِحَاتِ وَأَخْبَتُواْ إِلَى رَبِّهِمْ أُوْلَـــئِكَ أَصْحَـــابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَـــالِدُونَ } [هود : ٢٣].

قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ } أي : بكل ما يجب أن يؤمن به، فيندرج تحته ما نحن بصدده من الإيمان بالقرآن، وإنما يحصل ذلك باستماع الوحي والتدبر فيه، ومشاهدة ما يؤدي إلى ذلك في الأنفس والآفاق.

قوله تعالى : { وَعَمِلُواْ الصَّـــالِحَاتِ وَأَخْبَتُواْ إِلَى رَبِّهِمْ } أي : اطمأنوا إليـــه وانقطعـــوا إلى عبادته بالخضوع والتواضع. والإخبات هو الخشوع والخضوع، وهو مأخوذ من الخبـــت وهـــو الأرض المطمئنة، فقوله : { وَأَخْبَتُواْ } إشارة إلى أن هذه الأعمال لا تنفع في الآخـــرة إلا مـــع الأحوال القلبية، ثم إن فسرنا الإخبات بالطمأنينة ،كان المراد أنهم يعبدون الله، وكانت قلـــوبهم عند أداء العبادات مطمئنة بذكر الله، فارغة عن الالتفات إلى ما سوى الله تعالى. أو يقال : إنمـــا قلوبهم صارت مطمئنة إلى صدق الله بكل ما وعدهم من الثواب والعقـــاب. وأمـــا إن فســـرنا الإخبات بالخشوع، كان معناه أنهم يأتون بالأعمال الصالحة خائفين وجلين من أن يكونوا أتوا بها مع وجود الإخلال والتقصير.

قوله تعالى : { أُوْلَـــئِكَ أَصْحَـــابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَـــالِدُونَ } من حصل له هذه الصـــفات الثلاثة فهم أصحاب الجنة، ويحصل لهم الخلود في الجنة. وبهذا ورثوا الجنات المشتملة على الغرف العاليات، والسرر المصفوفات، والقطوف الدانيات، والفرش المرتفعات والحســـان الخـــيرات، والفواكه المتنوعات، والمآكل المشتهيات، والمشارب المســـتلذات، والنظـــر إلى خـــالق الأرض والسماوات، وهم في ذلك خالدون، لا يموتون ولا يهرمون ولا يمرضون ولا ينامون ولا يتغوطون ولا يبصقـــون ولا يتمخطون، إن هو إلا رشح مســـك يعرقـــون، والتعبـــير بـــ (أصـــحاب) إشارة إلى أن أهل الجنة مالكون لمنازلها ملكاً لا يحول ولا يزول.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

الـــخـــوف مـــن يـــوم الـــقيـــامــــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

{ يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَـــالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَـــاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَآءَ رَبُّـــكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَـــالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَـــاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ } [هود : ١٠٥ ــ ١٠٨].

قولـــه تعالـــى : { يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ } أي : يوم يأتي يوم القيامة لا يتكلم أحد إلا بإذن الله. وفي الصحيحين من حديث الشفاعة : « ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم ». فجميع الخلائق يسكتون في ذلك اليوم، فلا يتكلم أحد فيه إلا بإذن الله تعالى.

قوله تعالى : { فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ } الشقاوة خلاف السعادة، والسعادة هي معاونة الأمـــور الإلهية للإنسان، ومساعدته على فعل الخير والصلاح، وتيسيره لها.

ثم السعادة على ضربين : سعادة دنيوية، وسعادة أخروية وهي السعادة القصوى، لأن نهايتها الجنة. وكذلك الشقاوة على ضربين أيضاً : شقاوة دنيوية، وشقاوة أخرويـــة وهـــي الشـــقاوة القصوى، لأن نهايتها النار. فالشقي من سبقت له الشقاوة في الأزل، والسعيد من ســـبقت لـــه السعادة في الأزل. عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا

رسول الله صلى الله عليه وسلّم فقعد، وقعدنا حوله، ومعه مِخْصَرة، فنكس وجعل ينكت بمخصرته، ثم قال : « ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة، ومقعده من النار ». فقالوا: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا ؟. فقال : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فسيصير لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فسيصير لعمل أهل الشقاوة »، ثم قرأ : { فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى } [الليل : ٥ - ٧]. رواه البخاري ومسلم. وتقديم الشقي على السعيد لأن المقام مقام التحذير والإنذار.

وعلامة الشقاوة خمسة أشياء : قساوة القلب، وجمود العين، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل، وقلة الحياء. وعلامة السعادة خمسة أشياء : لين القلب، وكثرة البكاء، والزهد في الدنيا، وقصر الأمل، وكثرة الحياء.

وقيل : علامة الشقاء: الإعراض عن الحق وطلبه، والإصرار على المعاصي من غير ندم عليها، والحرص على الدنيا حلالها وحرامها، واتباع الهوى، والتقليد والبدعة. وعلامة السعادة : الإقبال على الله وطلبه، والاستغفار من المعاصي، والتوبة إلى الله، والقناعة باليسير من الدنيا، وطلب الحلال منها، واتباع السنة، واجتناب البدعة، ومخالفة الهوى.

قوله تعالى : { فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِى النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ } الزفير إخراج النَفَس بقوة وشدة، والشهيق رده. واستعمالهما في أول ما ينهق الحمار وآخر ما يفرغ من نهيقه. وفيه استعارة تصريحية، فإن المراد تشبيه صراخهم بأصوات الحمير، فكما أن الحمير لها أصوات منكرة، كذلك

لهم أصوات منكرة في جهنم، كما يشاهد ذلك في أهل الابتلاء في الدنيا، لا سيما عند الصلب أو الخنق أو ضرب العنق.

قوله تعالى : { خَـــالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَـــاوَاتُ وَالأَرْضُ } فيه وجهان:

أحدهما : أن تراد سماوات الآخرة وأرضها، وهي دائمة مخلوقة للأبد. والدليل علـــى أن لهـــا سماوات وأرضاً قوله تعالى : { يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَـــاوَاتُ } [إبـــراهيم : ٤٨]. وقوله تعالى : { وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ }. [الزمـــر : ٧٤]. لأنه لا بد لأهـــل الآخرة مما يقلهم ويظلهم، إما سماء يخلقها الله أو يظلهم العرش، وكل ما أظلك فهو سماء.

والثاني: أن يكون عبارة عن التأبيد ونفي الانقطاع.

قوله تعالى : { إِلاَّ مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ } استثناء من الخلـــود في النـــار، لأن بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها، وذلك كافٍ في صحة الاستثناء. عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن رضي الله عنه أيضاً، أن الاستثناء عائد على العصاة من أهل التوحيـــد، ممـــن يخرجهم الله من النار بشفاعة الشافعين، من الملائكة والنبيين والمؤمنين، حتى يشفعون في أصحاب الكبائر، ثم تأتي رحمة أرحم الراحمين، فتخرج من النار من لم يعمل خيراً قط وقال يوماً من الدهر: لا إله إلا الله. كما وردت بذلك الأخبار الصحيحة المستفيضة عن رسول الله بمضمون ذلك، من حديث أنس وجابر وأبي سعيد وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم. ولا يبقى بعـــد ذلك في النار إلا من وجب عليه الخلود فيها ولا محيد له عنها. وهذا الذي عليه كثير من العلماء قديماً وحديثاً في تفسير هذه الآية الكريمة.

قوله تعالى : { وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى الْجَنَّةِ خَـالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَـاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَآءَ رَبُّكَ } المراد بالسماوات سقف الجنة والنار وأرضهما. ويحتمل الاستثناء في جانب أهل الشقاوة على عصاة الأمة. فيكون المعنى : خالدين فيها أبداً، إلا عصاة المؤمنين الذين نفذ فيهم الوعيد، فلا يخلدون أبداً، بل يخرجون بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلّم. والاستثناء حينئذ إما منقطع، لعدم دخول هؤلاء في الأشقياء، أو متصل بجعل هؤلاء أشقياء باعتبار وسعداء باعتبار آخر، وفي جانب أهل السعادة على عصاة المؤمنين أيضاً، لكن باعتبار تعذيبهم أولاً، فيتأخرون في الدخول مع السابقين، فتحصل أن الاستثناء في كل محمول على العصاة، لكن في جانب أهل الشقاوة مستثنون من الخروج، وفي جانب أهل السعادة مستثنون من المبدأ. كأنه قال : فأما الذين سعدوا ففي الجنة من أول الأمر، إلاَّ ما شاء ربك من العصاة فليسوا في الجنة من أول الأمر، بل هم في النار يعذبون ثم يخرجون.

قوله تعالى : { عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ } أي :غير مقطوع. وهنا طيب القلوب وثبت المقصود بقوله : { عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ } وقد جاء في الصححين : « يؤتى بالموت في صورة كبش أملح، فيذبح بين الجنة والنار، ثم يقال : يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت ». وفي الصحيح أيضاً : « فيقال يا أهل الجنة إن لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً ».

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

الاستقـــامــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

{ فَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢) وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ (١١٣) وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَـــاتِ يُذْهِبْنَ السَّـــيِّئَاتِ ذلِكَ ذِكْرَى لِلـــذَّاكِرِينَ (١١٤) وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } [هود : ١١٢ ــ ١١٥].

قوله تعالى : { فَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ } أمر رسول الله صلى الله عليه وسلّم بالاستقامة، كما أمر به في العقائد والأعمال المشتركة بينه وبين سائر المؤمنين، ولا سيما الأعمال الخاصة به صلى الله عليه وسلّم من تبليغ الأحكام الشرعية، والقيام بوظائف النبوة، وتحمل أعباء الرسالة. وبالجملة فهذا الأمر منتظم لجميع محاسن الأحكام الأصلية والفرعية، والكمـــالات النظريـــة والعمليـــة. والخروج من عهدته في غاية ما يكون من الصعوبة، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « شيبتني سورة هود » أخرجه الترمذي.

قال أبو علي الجرجاني : كن طالب الاستقامة لا طالب الكرامة، فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة، ويطلب منك الاستقامة، فالكرامة الكبرى الاستقامة في خدمـــة الخـــالق، لا بإظهـــار الخوارق.

وقال حضرة الشيخ الشهير بالهدائي قدس سره في نفائس المجالس: لا تتيسر الاستقامة إلا بإيفاء حق كل مرتبة من الشريعة والطريقة والمعرفة والحقيقة. فمن رعاية حق الشريعة العدالة في الأحكام، فالاستقامة في مرتبة الطبيعة برعاية الشريعة. وفي مرتبة النفس برعاية الطريقة. وفي مرتبة الروح برعاية المعرفة. وفي مرتبة السر برعاية المعرفة والحقيقة. فمراعاة تلك الأمور في غاية الصعوبة.

وفي صحيح مسلم عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال : قلت : يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك . قال : « قل: آمنت بالله ثم استقم ». وروي عن أبي عبد الرحمن السلمي قال : سمعت أبا علي السري يقول : رأيت النبي صلى الله عليه وسلّم في المنام فقلت : يا رسول الله! روي عنك أنك قلت : شيبتني هود. فقال : نعم. فقلت له : ما الذي شيبك منها، قصص الأنبياء وهلاك الأمم؟ . فقال : لا، ولكن قوله : { فَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ }.

قوله تعالى : { وَمَن تَابَ مَعَكَ } أي : ومن تاب من الشرك والكفر وشاركك في الإيمان، هو المعني بالمعية. وإلا فليس لهم مصاحبة له في التوبة عما ذكر، إذ الأنبياء معصومون. لكن الظاهر أن الاشتراك في نفس التوبة يكفي في الاصطحاب، ولا يلزم الاشتراك في المتوب عنه، وقد كان يستغفر الله كل يوم أكثر من سبعين مرة على ما ورد في الحديث. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ منه روغان الثعلب.

قوله تعالى : { وَلاَ تَطْغَوْاْ } أي : لا تنحرفوا عما حُدَّ لكم، بإفراط أو تفريط، فإن كلا طرفي قصد الأمور ذميم.

قوله تعالى : { إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } فيجازيكم على ذلك، وهو تعليـــل للأمـــر والنـــهي السابقين.

قوله تعالى : { وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ } الركون هو الميل اليسير. وقوله : { إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ } أي : إلى الذين وجد منهم الظلم، ولم يقل: إلى الظالمين. وحكي : أن الموفق صلى خلف الإمام، فقرأ بهذه الآية، فغشي عليه. فلما أفاق قيل له، فقال : هذا فيمن ركن إلى من ظلم، فكيف بالظالم؟!. وعن ا سن رحمه الله : جعل الله الدين بين لاءين ولا تطغوا ولا تركنوا.

ويقول الإمام القشيري رحمه الله : لا تعملـــوا أعمالهم، ولا ترضوا بأعمالهم، ولا تمـــدحوهم على أعمالهم، ولا تتركوا الأمـــر بالمعـــروف لهـــم، ولا تأخذوا شيئـــاً مـــن حرام أموالهـــم، ولا تساكنوهم بقلوبـــكم، ولا تخالطوهم ولا تعاشروهم. كل هذا يحتمله الأمر، ويدخل تحـــت الخطاب.

وإذا كان حال الميل في الجملة إلى من وجد منه ظلم ما، في الإفضاء إلى مساس النار هكـــذا، فما ظنك بمن يميل إلى الراسخين في الظلم والعدوان ميلاً عظيماً، ويتهالك علـــى مصـــاحبتهم ومنادمتهم، ويلقي شراشره على مؤانستهم ومعاشرتهم، ويبتهج بالتزيي بزيهم، ويمد عينيـــه إلى زهرتهم الفانية، ويغبطهم بما أوتوا من القطوف الدانية؟. والآية أبلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه.

قوله تعالى : { وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ } يعني: أعواناً وأنصاراً يمنعونكم من عذابـــه { ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ } يعني: ثم لا تجدون لكم من ينصركم ويخلصكم من عقاب الله غداً في القيامة.

ففيه وعيد لمن ركن إلى الظلمة، أو رضي بأعمالهم أو أحبهم، فكيف حال الظلمة في أنفسهم!.

نعوذ بالله من الظلم.

قوله تعالى : { وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ الَّيْلِ } في الأمر بأفعال الخير جاء موحداً موجهاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم في الظاهر، وإن كان المأمور به من حيث المعنى عاماً، وفي النهي عن المحظورات موجهاً إلى غير الرسول صلى الله عليه وسلّم مخاطباً به أمته، فهذا من جليل البلاغة القرآنية.

والمراد بإقامة الصلاة أداؤها. وإنما عبر عنه بها إشارة إلى أن الصلاة عماد الدين، وفسر بعضهم طرفي النهار بالصبح والمغرب، وزلف الليل بالعشاء.

ويقول الإمام القشيري رحمه الله :أي : استغرق جميع الأوقات بالعبادات، فإن إخلالك لحظة من الزمان بفرض تؤديه، أو نفل تأتيه، حسرة عظيمة وخسران مبين.

قوله تعالى : { إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ } أي : يكفرن الصغائر. يعني: لا إنها تذهب السيآت نفسها، إذ هي قد وجدت، بل ما كان يترتب عليها. وفي الحديث : « الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن إذا اجتنب الكبائر ». رواه مسلم . ويمنعن من اقترافها كقوله تعالى : { إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنْكَرِ }. وأحسن الحسنات وأفضل الطاعات العلم بالله. وطريقه التوحيد، وخلاف هوى النفس. فبذكر الله يتخلص العبد من الذنوب، وبه يحصل تزكية النفوس وتصفية القلوب، وبه يتقوى العبد على طاعة الرحمن، ويتخلص من كيد الشيطان. قالوا : يا رسول الله، لا إله إلا الله

من الحسنات ؟. قال : « هي أحسن الحسنات ». وفي الآية إشارة إلى إدامة الـذكر والطاعـة والعبادة في الليل والنهار، إلا أن يكون له ضرورة من الحاجات الإنسانية، فيصرف بعض الأوقات إليه، كطلب المعاش في النهار، والاستراحة في الليل، فإنه يحصل للقوى البشرية والحواس كلال، فيلزم دفعه بالمنام ليقوم في أثناء الليل نشيطاً للذكر والطاعة.

قوله تعالى : { ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّكِرِينَ } أي : موعظة للمتعظين. فمن امتثل أمـر الله تعـالى فاستقام، وأقام، فقد تحقق بحقيقة الحال والمقام.

قال بعض الحكماء : علامة الذي استقام أن يكون مثله كمثل الجبل. لأن الجبل لـه أربـع علامات. أحدها : أن لا يذيبه الحر. والثانية : أن لا يجمده البرد. والثالثة : أن لا تحركه الريح. والرابعة : أن لا يذهب به السيل. فكذا المستقيم له أربعة أحوال. الأول : إذا أحسن إليه إنسان لا يحمله إحسانه على أن يميل إليه بغير الحق. والثاني : إذا أساء إليه إنسان لا يحمله ذلك على أن يقول بغير الحق. والثالث : أن هوى نفسه لا يحوله عن أمر الله تعالى. والرابع : أن حطام الدنيا لا يشغله عن طاعة الله.

قوله تعالى : { وَاصْبِرْ } أي : واصبر يا رسول الله صلى الله عليه وسلّم على مشاق الأوامر. ويدخل فيه الأمة بالتبعية. وقد كانت العادة القرآنية على إجراء أكثر خطابات الأوامر على النبي صلى الله عليه وسلّم، وأكثر خطابات النهي على الأمة، اعتباراً للأصالة في الاتصاف والتنـزه والاجتناب فافهم. { فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } [يوسف : ٩٠]. في أعمالهم صلاة كانت أو صبراً أو غيرهما من فرائض الإسلام، ومندوبات الأعمال، ومكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم. أي : يوفيهم أجور أعمالهم من غير بخس أصلاً، وفيه إيماء إلى أن الصبر من باب الإحسان، وهو

أن تعبد الله كأنك تراه، لأنه إذا قدر المرء على هذه المشاهدة هان عليه الصبر وغيره مـــن مـــر الأحكام، ولا يكون هذا الإحسان إلا بالإخلاص وإخلاص السريرة.

وكان أهل الخير يكتب بعضهم إلى بعض بثلاث كلمات : من عمل لآخرته كفـــاه الله أمـــر دنياه، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيتـــه، ومن أصلـــح فيما بينـــه وبيـــن الله أصلـــح الله ما بينـــه وبيـــن الناس.

وعن أبي بكر الوراق قال : طلبنا أربعة أشياء سنين، فوجدناها في أربعة. طلبنا رضى الله تعالى، فوجدناه في طاعته. وطلبنا السعة في المعيشة، فوجدناها في صلاة الضحى. وطلبنا سلامة الدين، فوجدناها في حفظ اللسان. وطلبنا نور القبر، فوجدناه في صلاة الليل. فعلى العاقل الســـعي في طريق الطاعات، وتنوير القلب بنور العبادات.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

تـغييـر صفـات الـنفـس إلـى الـكمـال

بسم الله الرحمن الرحيم

{ لَهُ مُعَقِّبَـاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَـوْمٍ حَتَّـى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَآ أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَـا لَهُـمْ مِّـن دُونِـهِ مِـن وَالٍ } [الرعد : ١١].

قوله تعالى : { لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ } أي : أن الله وكل بكل واحد منهم معقبات، وهم الملائكة الذين يعقب بعضهم بعضاً بالليل والنهار، يحفظون هـذا المكلف. وذاك من أمر الله، أي : من البلاء الذي يقدره الله. يحفظونهم بأمر الله من أمر الله، وذلك أن الله سبحانه وكل لكل واحد من الخلق ملائكة يدفعون عنهم البلاء إذا ناموا وغفلـوا، أو إذا انتبهوا وقاموا ومشوا. وفي جميع أحوالهم.

روي عن عمر بن جندب قال : كنا جلوساً عند سعيد بن قيس بصفين، فأقبل علي رضي الله عنه يتوكأ على عَنَزَة له بعد ما اختلط الظلام، فقال سعيد : أمير المؤمنين؟. قال : نعم. قال : أما تخاف أن يغتالك أحد؟. قال : إنه ليس من أحد إلا ومعه من الله حفظة من أن يتردى في بئر، أو يخر من جبل، أو يصيبه حجر، أو تصيبه دابة، فإذا جاء القدر خلوا بينه وبين القدر.

قوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ } إذا غـيروا مـا هـم إلى الطاعات، غير الله ما هم منه من الإحسان والنعمة، وإذا كانوا في نعمة فغيروا ما هم من الشكر

لله، تغير عليهم ما منَّ به من الإنعام، فيسلبهم ما وهبهم من ذلك، وإذا كانوا في شدة لا يغير ما بهم من البلاء حتى يغيروا ما بأنفسهم، وإذا أخذوا في التضرع، وأظهروا العجز غَيَّـــرَ ما بهم من المحنة بالتبديل والتحويل. فجرت عادة الله أنه لا يقطع نعمة عن قوم إلا إذا بدلوا أحوالهم الجميلة بأحوال قبيحة. وبمعنى هذه الآية قوله تعالى : { ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ }.

قوله تعالـــى : { وَإِذَآ أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ } لسوء اختيارهم، واتحقاقهم لذلك.

قوله تعالى : { وَمَا لَهُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ } يلي أمرهم، ويدفع عنهم السوء الـــذي أراده الله بهم، بما قدمت أيديهم من تغيير ما بهم. وفيه دلالة على أن تخلف مراده تعالى محال، وإيذان بأنهم بما باشروه من إنكار البعث، واستعجال السيئة، واقتراح الآية، قد غيروا ما بأنفسهم من الفطرة، واستحقوا لذلك حلول غضب الله تعالى وعذابه.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

مــن هــم أولــوا الألــبـــاب

بسم الله الرحمن الرحيم

{ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَــابِ (١٩) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلاَ يِنقُضُونَ الْمِيثَــاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَــلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّــلاةَ وَأَنْفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَـئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الــدَّارِ (٢٢) جَنَّــاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ } [الرعد : ١٩ ــ ٢٤].

قوله تعالى : { أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى } الهمزة للاستفهام الإنكاري، أي : هل يستوي من آمن وصدق بما نزل عليك يا محمد صلى الله عليه وسلّم، ومــن بقي يتخبط في ظلمات الجهل والضلال لا لب له كالأعمى؟!. والمراد به عمى البصيرة.

قوله تعالى : { إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَــابِ } أي : إنما يتعظ بآيات الله ويعتبر بها ذوو العقول السليمة. ثم عدد تعالى صفاتهم.

الصفــة الأولى : قوله تعالى : { الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ } قال ابن عباس رضي الله عنهما : يريد الذي عاهدهم عليه حين كانوا في صلب آدم، وأشهدهم على أنفسهم { أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى } [الأعــراف : ١٧٢]. أو كل عهد أخذ عليهم كان للخالق أو للمخلوق ولو كافراً، فيجب

الوفاء بالعهد، ولا تجوز الخيانة. ولما كانت الأوصاف الآتية لازمة للموفي بالعهد، قـدم عليها وجعل ما بعده تفصيلاً له، وحينئذ فالمراد بالوفاء بالعهد امتثال المأمورات على حسب الطاقة واجتناب المنهيات.

الصفة الثانية : قوله تعالى : { وَلاَ يِنقُضُونَ الْمِيثَـاقَ } الميثاق ما وثقه المكلف على نفسه فقوله تعالى : { الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ } إشارة إلى ما كلف اللهُ العبدَ به ابتداءً. وقوله : { وَلاَ يِنقُضُونَ الْمِيثَـاقَ } إشارة إلى ما التزمه العبد من أنواع الطاعات، بحسب اختيار نفسه كالنذر بالطاعات والخيرات.

واعلم أن الوفاء بالعهد أمر مستحسن في العقول والشرائع. قال صلى الله عليه وسلّم : « من عاهد الله فغدر، كانت فيه خصلة من النفاق ». وعنه صلى الله عليه وسلّم: « ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، ومن كنت خصمَه خصمته : رجل أعطى عهداً ثم غدر، ورجل استأجر أجيراً استوفى عمله وظلمه أجره، ورجل باع حراً فاسترق الحر وأكل ثمنه ».

الصفة الثالثة : قوله تعالى : { وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ } من الأرحام والقرابات. ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلّم وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الإيمان { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ } بالإحسان إليهم على حسب الطاقة، ونصرتهم والذب عنهم، والشفقة عليهم، والنصيحة لهم، وطرح التفرقة بين أنفسهم وبينهم، وإفشاء السلام عليهم، وعيادة مرضاهم، وشهود جنائزهم.

ومنه مراعاة حق الأصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر، وكل ما تعلق منهم بسبب حتى الهرة والدجاجة. وعن الفضيل بن عياض رحمه الله : أن جماعة دخلوا عليه بمكة فقال : من أين أنتم؟. قالوا : من أهل خراسان. قال : اتقوا الله، وكونوا من حيث شئتم، واعلموا أن العبد لو أحسن الإحسان كله وكانت له دجاجة فأساء إليها لم يكن من المحسنين.

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « الرحم معلقة بالعرش، تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله » رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال : « من سره أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه ». رواه البخاري. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول : « ليس الواصل بالمكافيء، الواصل من إذا قطعت رحمه وصلها ». رواه البخاري.

الصفة الرابعة : قوله تعالى : { وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ } الخشية لجام يوقف المؤمن عن الركض في ميادين الهوى، وزمام يجره إلى استدامة حكم التقوى.

الصفة الخامسة : قوله تعالى : { وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ } هو أن يبدو من الله ما لم يكونوا يحتسبون.

الصفة السادسة : قوله تعالى : { وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ } الصبر على جميع النوائب والمأمورات، من سائر العبادات والطاعات، وجميع أعمال البر، وترك جميع المنهيات. فيدخل فيه ترك جميع المعاصي من الحسد والحقد والغيبة، وغير ذلك من المنهيات، ويدخل فيه الصبر عن

المباحات، مثل جميع الشهوات، والصبر على ما نزل به من الأمراض والمصائب. وإنما قيد الصبر بقوله تعالى : { ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ } لأن الصبر ينقسم إلى نوعين:

النوع الأول : الصبر المذموم. وهو أن الإنسان قد يصبر ليقال : ما أكمل صبره وأشد قوته على ما تحمل من النوازل! وقد يصبر لئلا يعاب على الجزع، وقد يصبر لئلا تشمت به الأعداء، وكل هذه الأمور وإن كان ظاهرها الصبر، فليس ذلك داخلاً تحت قوله : { ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ } لأنها لغير الله تعالى.

النوع الثاني : الصبر المحمود. وهو أن يكون الإنسان صابراً لله تعالى، راضياً بما نزل به من الله، طالباً في ذلك الصبر ثوابَ الله، محتسباً أجره على الله، فهذا هو الصبر الداخل تحت قوله : { ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ } يعني: صبروا على ما نزل بهم تعظيماً لله وطلب رضوانه.

الصفة السابعة : قوله تعالى: { وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ } واعلم أن الصلاة والزكاة وإن كانتا داخلتين في الجملة الأولى إلا أنه تعالى أفردها بالذكر تنبيهاً على كونها أشرف من سائر العبادات.

الصفة الثامنة : قوله تعالى : { وَأَنْفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً } قال الحسن : المراد الزكاة المفروضة، فإن لم يتهم بترك أداء الزكاة فالأولى أداؤها سراً، وإن اتهم بترك الزكاة فالأولى أداؤها في العلانية.

الصفة التاسعة : قوله تعالى : { وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ } وفيه وجهان :

الأول : أنهم إذا أتوا بمعصية درءوها ودفعوها بالتوبة كما روي أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه : « يا معاذ أتبع السيئة الحسنة تمحها ».

والثاني : أن المراد أنهم لا يقابلون الشر بالشر، بل يقابلون الشر بالخير، كما قال تعالى : { وَإِذَا مَرُّواْ بِاللَّغْوِ مَرُّواْ كِراماً } [الفرقان : ٧٢].

قوله تعالى : { أُوْلَـئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ } أي : عاقبة الآخرة وهي الجنة بدل النار. والدار غداً داران : الجنة للمطيع، والنار للعاصي، فلما ذكر وصف المطيعين فدارهم الجنة لا محالة.

قوله تعالى : { جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا } أي : لهم جنات عدن، وهي وسط الجنة وقصبتها، وسقفها عرش الرحمن، وفي صحيح البخاري : « إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تَفَجَّرُ أنهار الجنة ».

قوله تعالى : { وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ } والمعنى: أنه يلحق بهم من صلح من أهلهم، وإن لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعاً لهم تعظيماً لشأنهم، وهو دليل على أن الدرجة تعلو بالشفاعة، وأن الموصوف بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة، والوصلة في دخول الجنة زيادة في أنسهم، وفي التقييد بالصلاح قطع للأطماع الفارغة لمن يتمسك بمجرد حبل الأنساب. فيتم النعمة عليهم بأن يجمع بينهم وبين من يحبون صحبتهم من أقاربهم وأزواجهم، وقد ورد في الخبر : « المرء مع من أحب » فمن كان محبوبه أمثاله وأقاربه حشر معهم، ومن كان اليوم بقلبه مع الله، فهو غداً مع الله.

قوله تعالى : { وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِّن كُلِّ بَابٍ } يعني: من أبواب الجنة { سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ } يعني يقولون لهم : سلمكم الله من الآفات التي كنتم تخافونها في الدنيا، وأدخلكم بما

صبرتم في دار الدنيا على الطاعات وترك المحرمات الجنة، { فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ } يعني: فنعم العقبى عقبى الدار.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

طمـــأنـــينـــــة الـــقـــلـــــب

بسم الله الرحمن الرحيم

{ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) الَّذِينَ آمَنُــواْ وَعَمِلُواْ الصَّــالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَــآبٍ } [الرعد : ٢٨ ــ ٢٩].

قوله تعالى : { الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ } ومَنْ ذَكَرَ الله تعالى، وأيقن بكونــه مستجمعاً لجميع صفات الكمال، منزهاً عن جميع صفات النقصان أحبه، ومن أحبــه لا جــرم يستأنس به، ويطمئن قلبه أي : يسكن إليه، ويترك القلق والاضطراب. وأيضاً يتيقن بكون علمه محيطاً بجميع أحواله، وبكمال قدرته، وسعة فضله ورحمته، فلا جرم لا يعتمد إلا عليه، ولا يرجو إلا منه. وإذا ذكر عظمة الله تعالى، وعلو شأنه، وعز سلطانه لا جرم يغلب عليه الخوف والخشية. قال تعالى : { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَــاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَــاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } [الأنفال : ٢]. والوجل ضد الاطمئنان. ثم إذا ذكر سعة رحمتــه، وفيضان بحار فضله، وإحسانه على جميع خلقه سكن قلبه، وزال وجله واضطرابه.

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : خرج رسول الله يوماً على حلقة من أصحابه رضي الله عنهم فقال : « ما أجلسكم؟. » فقالوا : جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام. قال : « آلله ما أجلسكم إلا ذلك؟. » - قوله آلله بالجر والمد على القسم، أي : بالله ما أجلســكم إلا

ذلك؟. - قالوا : بالله ما أجلسنا إلا ذاك. قال : « أما إني لم أستحلفكم تهمة، ولكن أتاني جبرائيل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة ». رواه مسلم و الترمذي.

ومن شرط الذكر أن يأخذه الذاكر بالتلقين من أهل الذكر، كما أخذه الصحابة بالتلقين من رسول الله صلى الله عليه وسلّم، ولقن الصحابة التابعين، والتابعون المشايخ شيخاً بعد شيخ إلى عصرنا هذا، وإلى أن تقوم القيامة، كذا في ترويح القلوب بلطائف الغيوب للشيخ عبد الرحمن البسطامي قدس سره.

قوله تعالى : { أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } قوم اطمأنت قلوبهم بذكرهم الله، وفي الذكر وجدوا سلوتهم، وبالذكر وصلوا إلى صفوتهم. وقوم اطمأنت قلوبهم بذكر الله فذكرهم الله سبحانه بلطفه، وأثبت الطمأنينة في قلوبهم على وجه التخصيص لهم. ويقال : إذا ذكروا أن الله ذكرهم استروحت قلوبهم، واستبشرت أرواحهم، واستأنست أسرارهم، قال تعالى : { أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } لما نالت بذكره من الحياة. وإذا كان العبد لا يطمئن قلبه بذكر الله فذلك لخلل في قلبه، فليس قلبه بين القلوب الصحيحة.

قوله تعالى : { الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ } الذين جمعوا بين الإيمان بالقلب والعمل الصالح بالجوارح.

قوله تعالى : { طُوبَى لَهُمْ } عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله صـــلى الله عليه وسلّم أن رجلاً قال : يا رسول الله طوبى لمن رآك وآمن بك، قال : « طوبى لمن رآني وآمن بي، وطوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني ». قال له رجل : وما طوبى. قال : « شجرة في الجنة مسيرتها مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها » رواه أحمد.

قوله تعالى : { وَحُسْنُ مَـآبٍ } أي : مرجع، يعني ولهم حسن منقلب ومرجـــع، ينقلبـــون ويرجعون إليه في الآخرة وهو الجنة، قال الحريري : طوبى لمن طاب قلبه مع الله لحظة في عمـــره، ورجع إلى ربه بقلبه في وقت من الأوقات.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

الــوفــاء بــعهــد الله تــعــالــــى

بسم الله الرحمن الرحيم

{ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإْحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَــرِ وَالْبَغْــى يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠) وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَــاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَــانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ } [النحل : ٩٠ ــ ٩١].

قوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ } هذه الآية من ثمرات قوله : { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَــــابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ } [النحــل : ٨٩]. حتى قال العلماء : إن لم يكن في القرآن غير هذه الآية لكفت في البيان والهدى والرحمة، لأنها آمرة بكل خير، ناهية عن كل شر.

العدل هو الإنصاف في كل الأمور، فالإنصاف في التوحيد اعتقاد أن الله متصف بكل كمال ومنزه عن كل نقص. والإنصاف في الاعتقاد نسبة الأفعال كلها لله ونسبة الكســب للعبيــد. والإنصاف في العبادات عدم التفريط والإفراط فيها بل يكون بين ذلك قوامــاً. والإنصـــاف في النفقات أن لا يسرف ولا يقتر، قال تعالى : { وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ } [الإسراء : ٢٩]. والإنصاف بين عباد الله يقسم لزوجاته، وينصر المظلوم على الظــالم، ويعامل الخلق باللطف والرفق وغير ذلك. فأمر الله الإنسان بالعدل فيما بينه وبين نفسه، وفيمــا بينه وبين ربه، وفيما بينه وبين الخلق، فالعدل الذي بينه وبين نفسه منعها عما فيه هلاكها قــال تعالى : { وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى } [النازعات : ٤٠]. وكمال عدله مع نفسه كيُّ عروق طمعه.

والعدل الذي بينه وبين ربه إيثار حقه تعالى على حظ نفسه، وتقديم رضا مولاه على ما سواه، والتجرد عن جميع المزاجر، وملازمة جميع الأوامر. والعدل الذي بينه وبين الخلق يكون ببذل النصيحة،وترك الخيانة فيما قل أو كثر. وإذا كان نصيب العوام بذل الإنصاف وكف الأذى، فإن صفة الخواص ترك الانتصاف، وإسداء الإنعام، وترك الانتقام، والصبر على تحمل ما يصيبك من البلوى.

قوله تعالى : { وَالْإِحْسَانِ } أي : مع الله ومع عباده. فالإحسان مع الله أداء فرائضه على الوجه الأكمل، والإحسان مع عباده أن تعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك، كما في الحديث فقد سأل جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلّم عن الإحسان. فقال له : « أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » رواه البخاري. والمعنى أن تعبد الله ملاحظاً لجلاله كأنك تراه ببصرك، وهذا مقام المشاهدة. فإن لم تصل هذه المرتبة فلاحظ أنه يراك وأنك في حضرته، وهذا مقام المراقبة. فَمَثَلُ المشاهد البصير الجالس في حضرة الملك فأدبه من جهتين : كونه رائياً الملك وكون الملك رائياً له ومثل المراقب كمثل الأعمى الجالس في حضرة الملك فأدبه من جهة ملاحظته كون الملك رائياً له.

قوله تعالى : { وَإِيتَآءِ ذِى الْقُرْبَى } يعني: ويأمر بصلة الرحم وهم القرابة الأدنون والأبعدون منك، فيستحب أن تصلهم من فضل ما رزقك الله، فإن لم يكن لك فضل فدعاء حسن وتودد.

والرحم عام في كل رحم محرماً كان أو غير محرم، وارثاً كان أو غير وارث، من أولاد الأعمام والعمات والأخوال والخالات وغير ذلك، وقطع الرحم حرام موجب لسخط الله وانقطاع ملائكة الرحمة عن بيت القاطع، والصلة واجبة باعثة على كثرة الرزق وزيادة العمر سريعة التأثير.

ومعناها التفقد بالزيارة والإهداء والإعانة بالقول والفعل وعدم النسيان، وأقلــه التســليم. ولا توقيت فيها في الشرع بل العبرة بالعرف والعادة.

قوله تعالى : { وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ } عن الذنوب المفرطة في الـــقبح قـــولاً وفعـــلاً، كالكـــذب والبهتـــان، والاستهانة بالشريعـــة، والزنى واللواطة ونحوها. وفي التأويلات هي ما يحجبك عن الله، ويقطعك عنه أياً ما كان، من مال أو ولد أو نحوهما فإنه لا أقبح من الانقطاع عن الله { وَالْمُنْكَرِ } وعما تنكره النفوس الزاكية السليمة ولا ترتضيه، أو مما لا يعـــرف في شريعـــة ولا سنـــة، أو الإصرار على الذنب، أو ما أسخط الله تعالى. { وَالْبَغْى } والظلم والاستيلاء على النـــاس، والتطاول عليهم بلا سبب، وتجسس عيوبهـــم، وغيبتهـــم، والطعن عليهم، والتجـــاوز من الحـــق إلى الباطل ونحو ذلك. وفي التأويلات : هو ما ثار من سَوْرَة صفات نفسك فيصـــيب الخلق منك ما يضرهم ويؤذيهم.

وقال ابن عيينة في هذه الآية : العدل استواء السر والعلانية، والإحسان أن تكون ســـريرته أحسن من علانيته، والفحشاء والمنكر والبغي أن تكون علانيته أحسن من سريرته.

قوله تعالى : { يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } يعني إنما أمركم بما أمركم به، ونهاكم عما نهاكم عنه لكي تتعظوا وتتذكروا، فتعملوا بما فيه رضى الله تعالى.

وروى عكرمة أن النبي قرأ على الوليد بن المغيرة : إن الله يأمر بالعدل إلى آخر الآية. فقال له: يا ابن أخي أعد علي فأعادها عليه، فقال له الوليد : والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وما هو بقول البشر.

قوله تعالى : { وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَـــاهَدتُّمْ } المراد منه كل عهد يلتزمه الإنسان باختياره قال ابن عباس رضي الله عنهما : والوعد من العهد. وقال ميمون بن مهران : من عاهدتـــه وفِّ بعهده مسلماً كان أو كافراً فإنما العهد لله تعالى.

فيفرض على كافة المسلمين الوفاء بعهد الله في قبول الإسلام والإيمان، فتجب عليهم استدامة الإيمان. ثم لكل قوم منهم عهد مخصوص عاهدوا الله عليه، فهم مطالبون بالوفاء به، فالزاهد عهده ألا يرجع إلى الدنيا، فإذا رجع إلى ما تركه منها فقد نقض عهده ولم يفِ به. والعابد عهده في ترك الهوى. والمريد عهده في ترك العادة. والعارف عهده التجرد له، وإنكار ما سواه. والمحب عهـــده ترك نفسه معه بكل وجه.

قوله تعالى : { وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَـــانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا } أي : توثيقها بذكر الله وتشديدها باسمه { وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً } شاهداً رقيباً، فإن الكفيل من يراعي لحال المكفول به محافظـــة عليه { إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ } من نقض الأيمان والعهود فيجازيكم على ذلك.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

ثمــرات الــصبــر والــعمــل الــصــالــح

بسم الله الرحمن الرحيم

{ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُــونَ (٩٦) مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَــةً وَلَنَجْــزِيَنَّهُمْ أَجْــرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } [النحل : ٩٦ ــ ٩٧].

قوله تعالى : { مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَــا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } اعلم أن المؤمن إذا آمن بالله فقد التزم شرائع الإسلام والإيمان، وحينئذ يجــب عليه أمران. أحدهما : أن يصبر على ذلك الالتزام، وأن لا يرجع عنه، وأن لا ينقضه بعد ثبوته. والثاني : أن يأتي بكل ما هو من شرائع الإسلام ولوازمه. وجزاء الصبر الفوز بالطِّلبة، والظفــر بالبغية. ومآلهم في الطلبات يختلف، فمن صبر على مقاساة مشقة في الله، فعوضه وثوابــه عظــيم من قبل الله. قال تعالى : { إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّــابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ } [الزمر : ١٠]. ومن صبر عن اتباع شهوة لأجل الله، وعن ارتكاب هفوة مخافة لله فجزاؤه كما قال تعــالى : { أُوْلَــــئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَاماً }. [الفرقان : ٧٥]. ومن صبر تحت جريــان حكم الله، متحققاً بأنه بمرآة من الله فقد قال تعالى : { إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّــابِرِينَ }. [الأنفال : ٤٦]. فقد عُلِمَ من الآيات أن للوفاء بالعهد، والثبات على الإيمان، والصبر على المشاق ثمرات دنيويــة

وأخروية. فعلى العاقل أن لا ينقض المعاهدة التي بينه وبين الله، وكذا بين العلماء العاملين والصلحاء الكاملين.

قوله تعالى : { مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى } أي : حال كون ذلك العامل من رجل أو امرأة بَيَّنَه بالنوعين ليعمهما الوعد الآتي. ولا يتوهم التخصيص بالذكور بناء على كثرة استعمال لفظ مَنْ فيهم، وأن الإناث لا يدخلن في أكثر الأحكام والمحاورات إلا بطريق التغليب أو التبعية { وَهُوَ } أي : والحال أن ذلك العامل { مُؤْمِنٌ } قيده به إذ لا اعتداد بأعمال الكفرة في استحقاق الثواب.

قوله تعالى : { فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً } يعني في الدنيا، وهو الظاهر لقوله تعالى : { وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ } وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله تعالى : {فَـآتَـاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الأْخِرَةِ} [آل عمران : ١٤٨] وذلك أن المؤمن مع العمل الصالح - موسراً كان أو معسراً - يعيش عيشاً طيباً إن كان موسراً فلا مقال فيه، وإن كان معسراً فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله، وأما الفاجر فأمره على العكس، إن كان معسراً فلا إشكال في أمره، وإن كان موسراً فالحرص لا يدعه أن يتهنأ بعيشه.

ويقول الإمام القشيري رحمه الله تعالى : قوله تعالى : { فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً } الفاء للتعقيب، { وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ }.. الواو للعطف ففي الأولى معجل، وفي الثانية مؤجل.

قوله تعالى : { وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } أي : ولنعطينهم في الآخرة أجرهم الخاص بهم بما كانوا يعملون من الصالحات، وإنما أضيف إليه الأحسن للإشعار بكمال

حسنه. ثم اعلم أن صلاحية أعمال العباد إنما تكون على قدر صدقهم في المعـــاملات، وحســـن استعدادهم في قبول الفيض الإلهي، فيكون طيب حياتهم بإحياء الله إياهم بحسب ذلك. ولنجزينهم في الآخرة أجر كل طائفة منهم بأوفر ما كانوا يظنون أن يجازيهم الله على أعمالهم.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد لاْ وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

الــوقــوف عنــد حــدود الله تــعالـــى

بسم الله الرحمن الرحيم

{ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَــذَا حَلالٌ وَهَــذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ (١١٦) مَتَاعٌ قَلِيــلٌ وَلَهُــمْ عَــذَابٌ أَلِــيمٌ } [النحل : ١١٦/١١٧].

قوله تعالى : { وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَــذَا حَلالٌ وَهَــذَا حَرَامٌ } أي : لا تقولوا في شأن ما تصفه ألسنتكم من الكذب : هذا حلال وهذا حرام من غير دليل ولا برهان.

قوله تعالى : { لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ } المعنى : أهم كانوا ينسبون ذلك التحريم والتحليل إلى الله تعالى ويقولون : إنه أمرنا بذلك. ويدخل في هذا كل من ابتدع بدعة ليس له فيها مستند شرعي، أو حلل شيئاً مما حرم الله، أو حرم شيئاً مما أباح الله بمجرد رأيه وتشهيه.

قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ } في الدنيا ولا في الآخرة. أما في الدنيا فمتاع قليل، وأما في الآخرة فلهم عذاب أليم.

الصدق في كل شيء أولى من الكذب، وكثير من أقوالهم في الاعتــراض عينـــات مـــن الــكذب. والصِّدِّيــقُ لا يــكذب صريحــاً، ولا يتداول أقوال كاذب مهيــــن. وصـــاحب الكذب تظهر عليه المذلة لما هو فيه من الزلة، وله في الآخرة عذاب أليم.

قولـــه تعالى : { مَتَـــاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } أي : منفعتهم فيما هم عليه مـــن أفعـــال الجاهلية منفعة قليلة تنقطع عن قريب { وَلَهُمْ } في الآخرة { عَذَابٌ أَلِيمٌ } لا يكتنه كنهه.

ويقول الإمام البيضاوي في تفسيره: { مَتَـــاعٌ قَلِيلٌ } أي: ما يفترون لأجله، أو ما هم فيـــه منفعة قليلة تنقطع عن قريب.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

مـــن ثـــمـــرات الـــتـــوبـــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

{ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ السُّوءَ بِجَهَـــالَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ } [النحل : ١١٩].

قوله تعالى : { ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ } اعلم أن المقصود بيان أن الافتراء على الله ومخالفة أمر الله لا يمنعهم من التوبة وحصول المغفرة والرحمة. فكأنه قال تعالى : إنا قد بالغنا في تهديد أولئك الكفار الذين يحللون ويحرمون بمقتضى الشـــهوة والفرية على الله تعالى، ثم إنا بعد ذلك نقول : إن ربك في حق الذين عملـــوا الســـوء بســـبب الجهالة. ثم تابوا من بعد ذلك، أي : من بعد تلك السيئة، وقيل : من بعد تلك الجهالة، ثم إنهـــم بعد التوبة عن تلك السيئات أصلحوا، أي : آمنوا وأطاعوا الله. ثم أعاد قوله : { إِنَّ رَبَّكَ مِـــن بَعْدِهَا } على سبيل التأكيد. ثم قال : { لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ } والمعنى : أنه لغفور رحيم لذلك الســـوء الذي صدر عنهم بسبب الجهالة. وحاصل الكلام أن الإنسان وإن كان قد أقدم علـــى الكفـــر والمعاصي دهراً دهيراً وأمداً مديداً، فإذا تاب عنه وآمن وأتى بالأعمال الصالحة فإن الله غفـــور رحيم، يقبل توبته ويخلصه من العذاب. والمقصود من هذه الآية بيان فضل الله وكرمـــه وســـعة مغفرته ورحمته.

قوله تعالى : { بِجَهَـالَةٍ } أي : بسبب جهل العواقب وجلال الله، إذ لا يقع الذنب إلا من جاهل بالعواقب، أو جاهل بجلال الله. ولو علم قدر العقاب المدخر للعاصي ما أقدم على معصية قط.

قوله تعالى : { ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ } يعني من بعد عمل ذلك السوء أصلحوا العمل في المستقبل. وقيل : معنى الإصلاح الاستقامة على التوبة.

قوله تعالى : { إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ } إذا ندموا على قبيح ما قدموا، وأسفوا على كثير مما أسلفوا وفيه أسرفوا، ومحا صدق عبرهم آثار عثرتهم، نظر الله إليهم بالرحمة، فتاب عليهم إذا أصلحوا، ونجاهم إذا تضرعوا. فعلى العاقل أن يرجع عن الإعراض عن الله ويقبل عليه بصدق الطلب وإخلاص العمل. والتوبة بمترلة الصابون، فكما أن الصابون يزيل الأوساخ الظاهرة، فكذلك التوبة تزيل الأوساخ الباطنة أعني الذنوب.

واعلم أن توبة العوام من السيئات، وتوبة الخواص من الزلات والغفلات، وتوبة الأكابر من رؤية الحسنات والالتفات إلى الطاعات، لا تركها. والعبد إذا رجع عن السيئة وأصلح عمله أصلح الله شأنه. وأفضل الأعمال خلاف هوى النفس والذكر بلا إله إلا الله.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

أخـــلاق الـــداعـــيـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

{ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَـــادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥) وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِـــهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـــابِرينَ (١٢٦) وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧) إِنَّ اللَّـــهَ مَـــعَ الَّـــذِينَ اتَّقَـــواْ وَّالَّـــذِينَ هُـــم مُّحْسِـــنُونَ }. [النحل : ١٢٥ ــ ١٢٨].

قوله تعالى : { ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ } إلى الإسلام.

قوله تعالى : { بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَـــادِلْهُم بِالَّتِي هِـــيَ أَحْسَـــنُ } يعـــني : ادع بالحكمة، يعني بالمقالة المحكمة الصحيحة، وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة، والموعظـــة الحسنة يعني وادعهم إلى الله بالترغيب والترهيب، وهو أنه لا يخفى عليهم أنك تناصحهم، وتقصد ما ينفعهم { وَجَـــادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } يعني : بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة، مـــن الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف. ومن لطائف هذه الآية أنه قال : { ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ } فقصر الدعوة على ذكر هذين القسمين، لأن الدعوة إن كانـــت بالدلائل القطعية فهي الحكمة، وإن كانت بالدلائل الظنية فهي الموعظة الحسنة. أما الجدل فليس من باب الدعوة، بل المقصود منه غرض آخر مغاير للدعوة وهو الإلزام والإفحام، فلهذا السبب

لم يقل ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة والجدل الأحسن، بل قطع الجدل عن باب الدعوة تنبيهاً على أنه لا يُحَصِّلُ الدعوة، وإنما الغرض منه شيء آخر، والله أعلم.

قوله تعالى : { إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } هو أعلم بهم، فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة،ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل، وكأنك تضرب منه في حديد بارد.

قوله تعالى : { وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ } اعلم أنه تعالى أمر برعاية العدل والإنصاف في هذه الآية، ورتب ذلك على أربع مراتب:

المرتبة الأولى : قوله تعالى : { وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ } يعني : إن رغبتم في استيفاء القصاص فاقنعوا بالمثل ولا تزيدوا عليه، فإن استيفاء الزيادة ظلم، والظلم ممنوع منه في عدل الله ورحمته وفي قوله : { وَإِنْ } دليل على أن الأولى له أن لا يفعل.

المرتبة الثانية : قوله تعالى : { وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ } الانتقال من التعريض إلى التصريح وهو قوله : { وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ } وهذا تصريح بأن الأولى ترك ذلك الانتقام، لأن الرحمة أفضل من القسوة والإنفاع أفضل من الإيلام.

المرتبة الثالثة : قوله تعالى : { وَاصْبِرْ } وهو ورود الأمر في الجزم بالترك وهو قوله : { وَاصْبِرْ } لأنه في المرتبة الثانية ذكر أن الترك، خير وأولى، وفي هذه المرتبة الثالثة صرح بالأمر بالصبر، ولما كان الصبر في هذا المقام شاقاً شديداً ذكر بعده ما يفيد سهولته فقال :

{ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ } أي : بتوفيقه ومعونته وهذا هو السبب الكلي الأصلي المفيد في حصول الصبر وفي حصول جميع أنواع الطاعات.

قوله تعالى : { وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ } أي : على الكافرين بوقوع اليأس من إيمانهم بك ومتابعتهم لك نحو قوله تعالى : { فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } [المائدة : ٦٨]. قوله تعالى : { وَلاَ تَكُ فِى ضَيْقٍ } أي : لا تكن في ضيق صدر من مكرهم. والضيق إذا عظم وقوي صار كالشيء المحيط به من جميع الجوانب. { مِّمَّا يَمْكُرُونَ } أي : من مكرهم بك فيما يستقبل .

المرتبة الرابعة : قوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ } فإن أردت أن أكون معك فكن من المتقين ومن المحسنين.

ومن وقف على هذا الترتيب عرف أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب أن يكون على سبيل الرفق واللطف مرتبة فمرتبة. ولما قال الله لرسوله : { ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ } ذكر هذه المراتب الأربعة تنبيهاً على أن الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة يجب أن تكون واقعة على هذا الوجه، وعند الوقوف على هذه اللطائف يعلم العاقل أن هذا الكتاب الكريم بحر لا ساحل له. وفي الآية إشارة إلى الشفقة على خلق الله، وذلك يدل على أن كمال السعادة للإنسان في هذين الأمرين. أعني التعظيمَ لأمر الله تعالى، والشفقةَ على خلق الله، وعبر عنه بعض المشايخ فقال : كمال الطريق صدق مع الحق، وخُلُقٌ مع الخلق.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله سلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

أخــلاق اجــتمــاعــيـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

{ وقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا (٢٤) رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُواْ صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً (٢٥) وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧) وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا (٢٨) وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُوراً (٢٩) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٣٠) وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (٣١) وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلاً (٣٢) وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّى الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (٣٣) وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىيَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً (٣٤) وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذاكِلْتُمْ وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (٣٥) وَلاَ تَقْفُ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً (٣٦) وَلاَ تَمْشِ فِى الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً (٣٧) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا }. [الإسراء: ٢٣/٣٨].

قوله تعالى : { وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّــاهُ } أي : حكم وقدر في الأزل بأن لا تعبــدوا { إِلاَّ إِيَّــاهُ } لأن العبادة غاية التعظيم، فلا تحق إلا لمن له غاية العظمة ونهاية الإنعام. فأمر بإفراده سبحانه بالعبادة، وذلك بالإخلاص فيما يستعمله العبد منها، وأن يكون مغلوباً باستيلاء سلطان الحقيقة عليه بما يحفظه عن شهود عبادته.

قوله تعالى : { وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً } أي : بأن تحسنوا بهما إحساناً لأنهما السبب الظــاهري للوجود والتعيش، فأهم الواجبات بعد التوحيد إحسانهما.

وأمر بالإحسان إلى الوالدين ومراعاة حقهما، والوقوف عند إشارتهما، والقيــام بخدمتــهما، وملازمة ما كان يعود إلى رضاهما، وحسن عشرتهما، ورعاية حرمتهما، وألا يبدي شواهد الكسل عند أوامرهما، وأن يبذل المُكْنَة فيما يعود إلى حفظ قلوبهما. هذا في حال حياتهما، فأما بعد وفاتهما فبصدق الدعاء لهما، وأداء الصدقة عنهما، وحفظ وصيتهما على الوجه الذي فعلاه، والإحسان إلى من كان من أهل ودهما ومعارفهما. ويقال : إن الحق أمر العباد بمراعاة حق الوالدين وهما من جنس العبد.. فمن عجز عن القيام بحق جنسه أنَّى له أن يقوم بحق ربه؟.

قوله تعالى : { إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا } معناه أنهما يبلغان إلى حالة الضعف والعجز، فيصيران عندك في آخر العمر كما كنت عندهما في أول العمر. واعلم أنه تعالى لما ذكر هذه الجملة كلف الإنسان في حق الوالدين بخمسة أشياء :

الأمــر الأول : قولــه تعالــى : { فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ } أي : لا تقل لهما ما يكون فيه أدنى تبرم.

الأمـــر الثاني : قوله تعالـــى : { وَلاَ تَنْهَرْهُمَا } ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك.

الأمـــر الثالث : قوله تعالى : { وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا } والمراد منه أن يخاطبـــهما بـــالكلام المقرون بأمارات التعظيم والاحترام. عن عطاء قال : هو أن تتكلم معهما بشـــرط أن لا ترفـــع عليهما صوتك ولا تشد إليهما نظرك، وذلك لأن هذين الفعلين ينافيان القول الكريم.

الأمر الرابع والخامس : قوله تعالى : { وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِـــنَ الرَّحْمَـــةِ وَقُـــل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا } المعنى واخفض لهما جناحك كما قال تعالى : { وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ } [الحجر : ٨٨]. فأضافه إلى الذل على معنى واخفض لهما جناحك الذليل أو الـــذلول مبالغة في التذلل والتواضع لهما { مِنَ الرَّحْمَةِ } من فرط رحمتك لهما، وعطفك عليهما، لكبرهما وافتقارهما اليوم إلى من كان أفقر خلق الله إليهما بالأمس. قوله تعالى : { وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا } أي : ولا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها، بل ادع الله بأن يرحمهما رحمتـــه الباقية، واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك. وسئل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال : كل ذلك واصل إليه، ولا شيء أنفع له من الاستغفار، ولو كان شيءٌ أفضل منه لأمركم به في الأبوين.

ولقد كرر الله سبحانه كتابه الوصية بالوالدين، وعن النبي صلى الله عليه وسلّم: « رضا الله في رضا الوالدين، وسخطه في سخطهما ». رواه ابن حبان.

قوله تعالى : { رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُواْ صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُـــوراً } والمعنى : أنا قد أمرناكم في هذه الآية بإخلاص العبادة لله تعالى وبالإحسان بالوالدين. ولا يخفـــى

على الله ما تضمرونه في أنفسكم من الإخلاص في الطاعة وعدم الإخلاص فيها، فاعلموا أن الله تعالى مطلع على ما في نفوسكم بل هو أعلم بتلك الأحوال منكم بها، فإن كنتم برآء عن جهات الفساد في أحوال قلوبكم كنتم أوابين، أي : رجاعين إلى الله منقطعين إليه في كل الأعمال، وسنة الله وحكمه في الأوابين أنه غفور لهم يكفر عنهم سيئاتهم. والأواب هو الذي من عادته وديدنه الرجوع إلى أمر الله تعالى والالتجاء إلى فضله.

قوله تعالى : { وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ } والمعنى: أنك بعد فراغك من بر الوالدين يجب عليك أن تشتغل ببر سائر الأقارب، الأقرب فالأقرب، ثم بإصلاح أحوال المساكين وأبناء السبيل. وذوو القربى إن كانوا محارم وفقراء عاجزين عن الكسب وكان الرجل موسراً، حقهم أن ينفق الرجل عليهم بقدر الحاجة عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى.

قوله تعالى : { وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا } بصرف المال فيما لا ينبغي، وانفاقه على وجه الإسراف، وعن النبي صلى الله عليه وسلّم أنه قال لسعد رضي الله عنه وهو يتوضأ : (ما هذا السرف؟.) فقال : أَوَفي الوضوء سرف؟. قال : (نعم وإن كنت على نهر جار). والتبذير مجاوزة الحد عما قدّره الأمر والإذن. وما يكون لحظ النفس وإن كان سمسمة، فهو تبذير، وما كان له وإن كان الوفاءَ بالنفس فهو تقصير.

قوله تعالى : { إِنَّ الْمُبَذرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ } هم إخوانهم وأصدقاؤهم، لأنهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الإسراف. { وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا } ما ينبغي أن يطاع فإنه لا يدعو إلا إلى مثل فعله. وإنما كانوا إخوان الشياطين لأنهم أنفقوا على

هواهم، وَجَرَوْا في طريقهم على دواعي الشياطين ووساوسهم، ولما أفضى بهم ذلك إلى المعاصي فقد دعاهم إخوانَ الشياطين.

قوله تعالى : { وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا } إما تعرض عنهم لأجل عسرك فقل لهم قولاً ميسوراً اعتماداً على الله وطلباً لرحمة من ربك ترجوها. وفي ذلك إشارة إلى أن الإنسان لا ينبغي له قطع رجائه من الله، بل يعتمد على الله دائماً في عسره ويسره، فإن الغنى هو وثوق القلب بالله، فلا يعتمد على سبب من الأسباب، بل يتوكل على الله، ولا يقطع رجاءه منه ولا رجاء غيره فيه ثقة بربه.

قوله تعالى : { فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا } بمعنى إن لم يساعدك الإمكان على ما طالبوك من الإحسان فاصرفهم عنك بوعد جميل إن لم تسعفهم بنقد جزيل. وإن وعد الكرام أهنأ من نقد اللئام.

قوله تعالى : { وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ } تمثيلاً لمنع الشحيح وإسراف المبذر زجراً لهما عنهما، وحملاً على ما بينهما من الاقتصاد والتوسط بين الإفراط والتفريط، وذلك هو الجود الممدوح، فخير الأمور أوساطها. وأخرج أحمد وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « ما عال من اقتصد ». { فَتَقْعُدَ مَلُومًا } أي : فتصير ملوماً عند الله تعالى وعند الناس، { مَّحْسُوراً } نادماً مغموماً أو منقطعاً بك لا شيء عندك. ولا تشكل هذه الآية على ما ورد من فعل السلف الذين خرجوا عن أموالهم في محبة الله ورسوله وصاروا فقراء، لأن النهي محمول على من كان يعقبه الندم والتحسر، وأما من فعل ذلك من السلف، وأقره عليه رسول الله صلى الله عليه وسلّم كأبي بكر رضي الله عنه وغيره

من الذين كانوا يؤثرون على أنفسهم، ومدحهم الله على ذلك، فلم يوجد منهم التحسر على فوات الدنيا، لفنائهم عنها، وبقائهم بالله. وخطاب تلك الآيات إنما هو على حسب أخلاق العامة.

قوله تعالى : { إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ } أي : يوسعه على بعض، ويضيقه على آخرين، حسبما تتعلق به مشيئته التابعة للحكمة . فليس ما يرهقك من الإضافة التي تحوجك إلى الإعراض عن السائلين أو نفاد ما في يدك إذا بسطتها كل البسط إلا لمصلحتك { إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا } تعليل لما سبق أي : يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم.

قوله تعالى : { وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم } لما عَلَّمَ الله تعالى كيفية البر بالوالدين في الآية المتقدمة عَلَّمَ في هذه الآية كيفية البر بالأولاد، ولهذا قال بعضهم : إن الذين يسمون بالأبرار إنما سموا بذلك لأنهم بروا الآباء والأبناء. وإنما وجب بر الآباء مكافأة على ما صدر منهما من أنواع البر بالأولاد. وإنما وجب البر بالأولاد لأنهم في غاية الضعف، ولا كافل لهم غير الوالدين. وأن قتل الأولاد إن كان لفقر فهو سوء ظن بالله، وإن كان لأجل الغيرة على البنات فهو سعي في تخريب العالم، فالأول ضد التعظيم لأمر الله تعالى، والثاني ضد الشفقة على خلق الله تعالى، وكلاهما مذموم. { إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا } تعليل ببيان أن المنهي عنه في نفسه منكر عظيم. والخطء الذنب والإثم. فمن عرف أن الرازق هو الله خفَّ عن قلبه هم العيال وإن كثروا، ومن خفي عليه أنه قسم قبل الخلق أرزاقهم تطوح في متاهات مغاليطه، فيقع فيها بالقلب والبدن ثم لا يكون غير ما سبق به التقدير.

قوله تعالى : { وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلاً } أي : لا تدنـــوا من الزنـــى. وهو أبلـــغ من (لا تـــزنوا) لأنه يفيد النهي عن مقدمات الزنى كاللمس، والقبلـــة، والنظـــرة، والغمز، وغير ذلك مما يجر إلى الزنى. فالنهي عن القرب أبلغ من النهي عن الفعل { إِنَّـــهُ كَـــانَ فَاحِشَةً } أي : إن الزنـــى كـــان فعلـــة قبيحة متناهية في القبـــح { وَسَآءَ سَبِيلاً } أي : ســـاء طريقـــاً موصلاً إلى جهنم. كيف لا وقـــد قـــال النبي صلى الله عليه وسلّم : « لا يـــزني الزاني حين يزني وهو مؤمـــن » أخرجه الشيخـــان. فترجح الزنـــى على غيـــره من الفواحش لأن فيه تضييع حرمة الحق، وهتك حرمة الخلق، ثم لما فيه من الإخلال بالنسب، وإفساد ذات الب مـــن مقتضى الأنفة والغضب.

قوله تعالى : { وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ } أي : لا تقتلوهـــا بســـبب مـــن الأسباب إلا بسبب الحق، وفسر الحق بما رواه الشيخان وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه : « لا يحل دم امرىء يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث الـــنفس بـــالنفس والثيب الزاني والتارك لدينه المفارق للجماعة ». { وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا } بغير حق يوجب قتلـــه أو يبيحه للقاتل { فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ } لمن يلي أمره من الوارث أو السلطان عند عـــدم الـــوارث، واقتصار البعض على الأول رعاية للأغلب { سُلْطَاناً } أي : تسلطاً واســـتيلاء علـــى القاتـــل بمؤاخذته بأحد أمرين القصاص أو الدية { فَلاَ يُسْرِف } أي : الولي { فِّى الْقَتْـــلِ } أي : فـــلا يتجاوز الحد المشروع فيه بأن يقتل اثنين مثلاً والقاتل واحد كعادة الجاهلية فإنهم كانوا إذا قتـــل منهم واحد قتلوا قاتله وقتلوا معه غيره.

قوله تعالى : { وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } لما نهى عن إتلاف النفوس أتبعه بالنهي عن إتلاف الأموال فقال : { وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ } وخص مال اليتيم بالذكر لأنه لضعفه وكمال عجزه يعظم ضرره بإتلاف ماله. وفي تفسير قوله تعالى : { إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } وجهان. الأول : إلا بالتصرف الذي ينميه ويكثره. الثاني : روى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : إذا احتاج أكل بالمعروف، وإذا أيسر قضاه، فإن لم يوسر فلا شيء عليه، والولي تبقى ولايته على اليتيم { حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ } وهو إيناس الرشد منه بعد بلوغه.

قوله تعالى : { وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ } والمقصود منه إتمام الكيل. وذَكَرَ الوعيد الشديد في نقصانه في قوله : { وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ } [المطففين : ١ ـ ٣].

قوله تعالى : { وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ } فالآية المتقدمة في إتمام الكيل، وهذه الآية في إتمام الوزن. واعلم أن التفاوت الحاصل بسبب نقصان الكيل والوزن قليل، والوعيد الحاصل عليه شديد عظيم، فوجب على العاقل الاحتراز منه. وإنما عظم الوعيد فيه لأن جميع الناس محتاجون إلى المعاوضات والبيع والشراء. { وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً } والتأويل ما يؤول إليه الأمر كما قال في موضع آخر { وَخَيْرٌ مَّرَدّاً } [مريم : ٧٦]. وإنما حكم تعالى بأن عاقبة هذا الأمر أحسن العواقب، لأنه في الدنيا إذا اشتهر بالاحتراز عن التطفيف عول الناس عليه، ومالت القلوب إليه، وحصل له الاستغناء في الزمان القليل. وكم قد رأينا من الفقراء لما اشتهروا عند الناس بالأمانة والاحتراز عن الخيانة أقبلت القلوب عليهم، وحصلت الأموال الكثيرة لهم في المدة القليلة. وأما في الآخرة فالفوز بالثواب العظيم والخلاص من العقاب الأليم.

قوله تعالى : { وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ } إذا غلبت عليك مجوِّزات الظنون، ولم يطلعك الحق على اليقين فلا تتكلف الوقوف عليه من غير برهان. قال قتادة : لا تقل رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، وعلمت ولم تعلم، فإن الله تعالى سائلك عن ذلك كله.

قوله تعالى : { إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً } أي : هذه الصفات من السمع والبصر والفؤاد { كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً } أي : سيسأل العبد عنها يوم القيامة، وتسأل عنه عما عمل فيها.

قوله تعالى : { وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا } أي : لا تمش في الأرض مختالاً مشية المعجب المتكبر { إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً } هذا تعليل للنهي عن التكبر. ثبت في الصحيح : « بينما رجل يمشي فيمن كان قبلكم وعليه بردان يتبختر فيهما، إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة ». وكذلك أخبر الله تعالى عن قارون أنه خرج على قومه في زينته، وأن الله تعالى خسف به وبداره الأرض.

قوله تعالى : { كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا } كل هذا الذي ذكرناه من قوله تعالى: { وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ } إلى هنا، فسيئه أي : فقبيحه مكروه عند الله.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

الحذر من نزغات الشيطان

بسم الله الرحمن الرحيم

{ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ الَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا }. [الإسراء : ٥٣].

قوله تعالى : { وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ الَّتِى هِىَ أَحْسَنُ } إن اختصاص بعض العباد بتشريف الإضافة إلى نفسه تبارك وتعالى يؤدي إلى تأثير نظر العناية فيهم فيخرج منهم القول الأحسن والفعل الأحسن والخلق الأحسن. أما القول الأحسن فهو الدعاء إلى الله بلا إله إلا الله مخلصاً. وأما الفعل الأحسن فهو ما كان على قانون الشريعة وآداب الطريقة متوجهاً إلى عالم الحقيقة. وأما الخلق الأحسن فهو مع الله بأن يسلم وجهه لله محسناً في طلبه، ومع الخلق بأن يحسن إليهم بلا طمع في الإحسان والشكر منهم، ويتجاوز عن إساءهم إليه، ويعيش فيهم بالنصيحة، يأمرهم بالمعروف بلا عنف، وينهاهم عن المنكر بلا فضيحة. ثم إنه تعالى نبه على وجه المنفعة في هذا الطريق فقال : { إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ } جامعاً للفريقين أي : متى صارت الحجة مُرَّةً ممزوجة بالبذاءة صارت سبباً لثوران الفتنة. وفي التأويلات : { إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ } إذا لم يعيشوا بالنصيحة. فينبغي لعقلاء كل زمان أن يكونوا في باب النصيحة مثل الأصحاب رضي الله عنهم بحيث إن حالهم ومعاملتهم مع أهالي زمانهم لا يتفاوت على حالهم لو كانوا في زمن الرسول صلى الله عليه وسلّم.

قوله تعالى : { إِنَّ الشَّيْطَـــانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًـــا } ظـــاهر العداوة، لا يريد صلاحهم أصلاً بل يريد هلاكهم. وقد أبان عداوته لهم إذ أخرج أباهم من الجنة ونزع عنه لباس النور. فالعداوة الحاصلة بين الشيطان والإنسان عداوة قديمة. قال تعالى حكايـــة عنه : { ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِــنْ خَلْفِهِــمْ وَعَــنْ أَيْمَـــانِهِمْ وَعَــن شَــمَآئِلِهِمْ } [الأعراف : ١٧]. وقال : { كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ } [الحشر : ١٦]. وقال : { وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ } [الأنفال : ٤٨].

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

الـــصبـــــر

بسم الله الرحمن الرحيم

{ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى (١٢٩) فَاصْبِرْ عَلَى مَايَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآءِ الَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (١٣٠) وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٣١) وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـــــاقِبَةُ لِلتَّقْوَى }. [طه : ١٢٩ ــ ١٣٢].

قوله تعالى : { وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ } أي : ولولا الكلمة المتقدمة وهي العدة بتأخير عذاب هذه الأمة أي : أمة الدعوة إلى الآخرة، لحكمة تقتضيه.

قوله تعالى : { لَكَانَ } عقاب جناياتهم { لِزَاماً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى } أي : لازماً لهؤلاء الكفــرة، بحيث لا يتأخر عن جناياتهم ساعة لزوم ما نزل بأولئك الغابرين، وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره صلى الله عليه وسلّم، تلويح بأن ذلك التأخير لتشريفه صلى الله عليه وسلّم، كما ينبيء عنه قوله تعالى : { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ } [الأنفال : ٣٣].

قوله تعالى : { وَأَجَلٌ مُّسَمًّى } أي : ولولا أجل مسمى لأعمارهم أو لعذابهم، وهـــو يـــوم القيامة، أو يوم بدر، لما تأخر عذابهم أصلاً.

واعلم أن الله تعالى حرضهم على الإيمان من طريق العبرة والاستدلال، رحمة منه تعالى ليعود نفعه إليهم لا له، فعلى العاقل التمسك بكلمة التوحيد حذراً من وقوع الوعيد.

ثم إن تأخير العقوبة يتضمن حكماً منها : رجوع التائب، وانقطاع حجة المصر، فينبغي للعاقل المكلف أن يتعظ بمواعظ القرآن الكريم، ويتقي القادر الحكيم، ويجتهد في الطاعة والانقياد، ولا يكون أسوء من الجماد، مع أن الإنسان أشرف المخلوقات وأبدع المصنوعات.

قوله تعالى : { فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا } لأن سماع الأذى يوجب المشقة، فأزال عنه ما كان لَحِقَهُ من المشقة عند سماع ما كانوا يقولون، وأمره إن كان سماع ما يقولون يوحشك فتسبيحنا - الذي تُثْنِي به علينا - يُرَوِّحُكَ { وَقَبْلَ غُرُوبِهَا } يعني : صلاة العصر كما جاء في الصحيحين عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلّم فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال : « إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها فافعلوا » ثم قرأ هذه الآية.

قوله تعالى : { وَمِنْ ءَانَآءِ الَّيْلِ فَسَبِّحْ } أي : في ساعات الليل، فإن كمال الصفوة في ذكر الله في حال الخلوة. حيث إن ما كان بالليل من العبادة أفضل مما كان بالنهار، لأن الشواغل الداعية إلى تفريق الخواطر تقل بالليل، فيكون ما وقع فيه من العبادة مقروناً بحضور القلب، وموافقة القلب اللسان، فيكون أدخل في استحقاق الأجر والفضل، وأيضاً النفس فيه أَمْيَلُ إلى الاستراحة.

قوله تعالى : { وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى } متعلق بسبح، أي : سبح في هــذه الأوقــات لعلك ترضى بذلك. وانظر إلى هذا الخطاب اللطيف المشعر بأنه صلى الله عليه وسلّم حبيب رب العالمين، وأفضل الخلق أجمعين، حيث قال له ربه : { لَعَلَّكَ تَرْضَى } ولم يقل لعلي أرضى عليــك ونحو ذلك، فصلاته صلى الله عليه وسلّم مأمور بها ليرضى هو، لا ليكفر الله عنــه ســيئاته، ولا ليرضى عليه، وحينئذٍ فلا كلفة عليه فيها، لأن فيها شهوده لربه الذي هو قرة عينه. وللعــارفين الكاملين من أمته نصيب من هذا المقام.

قوله تعالى : { وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ } عطف على فاصبر. أي : لا تنظر بعينيك إلى زهرة الــدنيا نظر رغبة، وهذا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلّم والمراد غيره، لأن ذلك مستحيل عليه، لما ورد أنه خُــيِّــرَ بَين أن يكون نبياً ملكــاً أو نبيــاً عبــداً فاختــار أن يكون نبيــاً عبداً.

قوله تعالى : { إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } الزينة والبهجة . { لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ } والفتنة ما يُشْغَل به عن الحق، ويُجَسِّر وجوده على العصيان، ويحمل الاستمتاع به علــى البطر والأشر.

قوله تعالى : { وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى }. عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال : « إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح الله لكم من زهرة الدنيا قــالوا : ومــا زهرة الدنيا يا رسول الله؟. قال : بركات الأرض ». رواه ابن أبي حاتم.

قوله تعالى : { وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا } أُمِر صلى الله عليه وسلّم أن يأمر أهلــه بالصلاة بعدما أُمِر هو صلى الله عليه وسلّم بها، أخرج ابن مردويه وابن عساكر وابن النجار عن

أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : لما نزلت { وَأْمُرْ أَهْلَكَ } الخ كان صلى الله عليه وسلّم يجيء إلى باب علي كرم الله تعالى وجهه صلاة الغداة ثمانية أشهر يقول : « الصلاة رحمكم الله تعالى، إنما يريد ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ».

قوله تعالى : { لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى } روى الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « يقول الله تعالى : يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك، وإن لم تفعل، ملأت صدرك شغلاً ولم أسد فقرك ».

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

صفـــات الـــمفـــلحيـــــــــن

بسم الله الرحمن الرحيم

{ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِى صَلاَتِهِمْ خَـــاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُـــمْ عَـــنِ اللَّغْـــوِ مُّعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَـــاةِ فَـــاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـــافِظُونَ (٥) إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـــانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَآءَ ذلِكَ فَأُوْلَـــئِكَ هُـــمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَـــانَـــاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّـــذِينَ هُـــمْ عَلَـــى صَـــلاتِهِمْ يُحَـــافِظُونَ أُوْلَـــئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (٩) الَّذِينَ يَرِثُـــونَ الْفِـــرْدَوْسَ هُـــمْ فِيهَـــا خَـــــالِدُونَ }

[المؤمنون : ١ ــ ١١].

قوله تعالى : { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ } روى الترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : كان النبي إذا أنزل عليه الوحي سُمع عند وجهه كَدويّ النحل، وأنزل عليه يوماً؛ فمكثنا عنده ساعةً فسُرِّى عنه، فاستقبل القبلة فرفع يديه وقال : « اللهم زدنا ولا تنقصنا وارضنا وارض عنّا. ثم قال : أنزل عليّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة، ثم قرأ، قد أفلح المؤمنون حتى ختم عشر آيات » معنى من أقامهن : من أقام عليهن ولم يخالف ما فيهن.

واعلم أنه تعالى أشار إلى أن الفلاح الحقيقي لا يحصل بمطلق الإيمان بل إنما يحصـــل بالإيمـــان الحقيقي المقيد بجميع الشرائط التي هي مذكورة في هذه الآية.

قوله تعالى : { الَّذِينَ هُمْ فِى صَلاَتِهِمْ خَـٰشِعُونَ } والخشوع محله القلب، فإذا خشع خشعت الجوارح كلها لخشوعه، إذ هو مَلِكُها. وكان الرجل من العلماء إذا أقام الصلاة وقام إليها يهاب الرحمن أن يمدّ بصره إلى شيء وأن يحدّث نفسه بشيء من الدنيا. وأبصر النبي صلى الله عليه وسلّم رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة فقال : (لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه) وهو أول عمل يرفع من الناس، قاله عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

قوله تعالى : { وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُّعْرِضُونَ } المراد به كل ما لا يعود على الشخص منه فائدة في الدين أو الدنيا، سواء كان قولاً أو فعلاً، أو مكروهاً أو مباحاً، كالهزل واللعب، وضياع الأوقات فيما لا يعني، والتوغل في الشهوات وغير ذلك مما نهى الله عنه. وبالجملة فينبغي للإنسان أن يُرى ساعياً في حسنة لمعاده أو درهم لمعاشه، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.

قوله تعالى : { وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَـٰوةِ فَـٰعِلُونَ } الأكثرون على أن المراد بالزكاة ههنا زكاة الأموال، مع أن هذه الآية مكية، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة في سنة اثنتين من الهجرة، والظاهر أن التي فرضت بالمدينة إنما هي ذات النصب والمقادير الخاصة، وإلا فالظاهر أن أصل الزكاة كان واجباً بمكة، كما قال تعالى في سورة الأنعام وهي مكية : { وَءَاتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ }.

قوله تعالى : { وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ (٥) إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَآءَ ذلِكَ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ } أي : الكاملون في العدوان المتناهون فيه، أو المتعدون من الحلال إلى الحرام، والعدوان الإخلال بالعدالة، والاعتداء مجاوزة الحق. وقد استدل الإمام الشافعي رحمه الله ومن وافقه على تحريم الاستمناء باليد بهذه الآية الكريمة { وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ (٥) إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ } قال : فهذا

الصنيع خارج عن هذين القسمين، وقد قال الله تعالى : { فَمَنِ ابْتَغَى وَرَآءَ ذلِكَ فَأُوْلَـئِكَ هُـمُ الْعَادُونَ }.

قوله تعالى : { فَمَنِ ابْتَغَى وَرَآءَ ذلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ } الأمانات مختلفة، وعند كلٍّ أحد أمانة. فقومٌ عندهم الوظائف بظواهرهم، وآخرون عندهم اللطائف في ائرهم، ولقوم معاملاتهم، ولآخرين منازلاتهم، ولآخرين مواصلاتهم. وكذلك عهودهم متفاوتة، فمنهم من عاهده ألا يعبد سواه، ومنهم من عاهده ألا يشهد في الكونين سواه. فهم لا يخونون في الأمانات الظاهرة والباطنة، ولا يعبدون غير الله، فإن أبغض ما عبد غير الله الهوى، لأنه بالهوى عبد ما عبد من دون الله.

قوله تعالى : { وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ } يواظبون عليها ويؤدونها أوقاتها. فلا تصادفهم الأوقات وهم غير مستعدين، ولا يدعوهم المنادي وهم ليسوا بالباب، فهم في الصف الأول بظواهرهم، وكذلك في الصف الأول بسرائرهم.

قوله تعالى : { أُوْلَـئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ } أي : من عمل بما ذكر في هذه الآيات فهم الوارثون، أي : يرثون منازل أهل النار من الجنة. وفي الخبر عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلّم : « إن الله تعالى جعل لكل إنسان مسكناً في الجنة ومسكناً في النار. فأما المؤمنون فيأخذون منازلهم ويرثون منازل الكفار، ويجعل الكفار في منازلهم في النار » أخرجه ابن ماجه بمعناه.

قوله تعالى : { الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ } والفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها. وفي صحيح مسلم : « فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، ومنه تفجر أنهار الجنة ».

قوله تعالى : { هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } لا يخرجون منها ولا يموتون. اللهم اجعلنا من الذين يرثون الفردوس ويتنعمون بنعيمها ويصلون إلى نسيمها واحفظنا عن الأسباب المؤدية إلى النار وجحيمها.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

المسابقة في الخيرات

بسم الله الرحمن الرحيم

{ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُم بِـآيَاتِ رَبَّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُوْلَـئِكَ يُسَارِعُونَ فِى الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١) وَلاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ }. [المؤمنون : ٥٧ ـــ ٦٢].

قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ } أي : هم مع إحسانهم وإيمانهم وعملهم الصالح مشفقون من الله، خائفون منه، وجلون من مكره بهم. كما قال الحسن البصري رحمه الله : إن المؤمن جمع إحساناً وشفقة، وإن الكافر جمع إساءة وأمناً. وأصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء.

قوله تعالى : { وَالَّذِينَ هُم بِـآيَاتِ رَبَّهِمْ يُؤْمِنُونَ } أي : يؤمنون بآياته الكونية والشرعية، وما شرعه الله فهو إن كان أمراً فمما يحبه ويرضاه، وإن كان نهياً فهو مما يكرهه ويأباه، وإن كان خيراً فهو حق.

قوله تعالى : { وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ } يذرون جَليَّ الشِّرك وخَفِيَّه. والشرك الخفي ملاحظة الخلق في أوان الطاعات، والاستبشار بمدح الخلق وقبولهم، والانكسار والذبول عند انقطاع رؤية الخلق.

ويقال : الشرك الخفي إحالة النادر من الحالات، في المسَارِّ والمضَارِّ، على الأسباب كقول القائل : (لولا دعاء أبيك لهلكت) (ولولا همة فلان لما أفلحت). وأمثال هذا، قال الله تعالى : { وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُّشْرِكُونَ } [يوسف : ١٠٦].

وكذلك توَهُّم حصول الشفاء من شرب الدواء.

فإن أيقن العبد بسره ألا شيء من الحدثان، ولم يتوهم ذلك، وأيقن ألا شيء إلا من التقدير فعند ذلك يتقي الشرك.

قوله تعالى : { وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءاتَوْاْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ } يخلصون في الطاعات من غير إلمام بتقصير، أو تعريج في أوطان الكسل، أو جنوحٍ إلى الاسترواح بالرُّخص. ثم افون كأنهم ألموا بالفواحش، ويلاحظون أحوالهم بعين الاستصغار والاستحقار، ويخافون بغتات التقدير، وقضايا السخط.

قال بعض الكبار : وَجَل العارف من طاعته أكثر من وجله من مخالفته، لأن المخالفة تمحى بالتوبة، والطاعة تطلب بتصحيحها والإخلاص والصدق فيها، فإذا كان فاعل الطاعات خائفاً مضطرباً فكيف لا يخاف غيره؟!. وسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلّم فقالت : { وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءاتَوْاْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ } أهو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق وهو على ذلك يخاف الله تعالى؟. فقال صلى الله عليه وسلّم: « لا. يا ابنة الصديق، ولكن هو الرجل يصلي ويصوم ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله تعالى » رواه الترمذي.

واعلم أن ترتيب هذه الصفات في نهاية الحسن، لأن الصفة الأولى دلت على حصول الخوف الشديد الموجب للاحتراز عما لا ينبغي. والصفة الثانية دلت على ترك الريـــاء في الطاعـــات. والصفة الثالثة دلت على أن المستجمع لتلك الصفات الثلاثة يأتي بالطاعات مع الوجل والخوف من التقصير، وذلك هو نهاية مقامات الصديقين. رزقنا الله سبحانه الوصول إليها.

ولذا ورد عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال : لا آمن مكر الله ولو كانت إحـــدى قدمي داخل الجنة والأخرى خارجها. وكان كثير البكاء من خشية الله حتى أثـــرت الـــدموع في خديه.

قوله تعالى : { أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ } تنبيه على الخاتمة. وفي صحيح البخاري : « وإنمـــا الأعمال بالخواتيم ». وأما المخلِّط فينبغي له أن يكون تحت خوفٍ من أن ينفذ عليـــه الوعيـــد بتخليطه.

قوله تعالى : { أُوْلَـــئِكَ يُسَارِعُونَ فِى الْخَيْرَاتِ } أي : في الطاعات ، كي ينالوا بذلك أعلى الدرجات والغُرُفات.

فمسارع بقدمه من حيث الطاعات، ومسارع بهممه من حيث المواصلات، ومسارع بندمه من حيث تجرع الحسرات. والكل مصيب، وللكل من إقباله - على ما يليق بحاله - نصيب.

قوله تعالى : { وَهُمْ لَهَا سَـــابِقُونَ } أحسن ما قيل فيه : أنهم يسبقون إلى أوقاتها. وكل مـــن تقدم في شيء فهو سابق إليه، وكل من تأخر فقد سبقه وفاته.

قوله تعالى : { وَلاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا } تفضلاً منه سبحانه وتعالى، وإلا فلا يُسأل عمـا يفعل. وأتى بهذه الآية عقب أوصاف المؤمنين إشارة إلى أن تلك الأوصاف في طاقـة الإنسـان، وكذا جميع التكاليف التي افترضها الله على عباده فعلاً أو تركاً، وهذا لمن وفقه الله وكشف عنه الحجب، وأما المحجوب فيرى التكاليف ثقيلة يشق عليها تعاطيها. قال بعض العـارفين إذا رفـع الحجاب فلا ملالة لتكليف الإله ولا مشقة.

قوله تعالى : { وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ } أظهر ما قيل فيه : إنه أراد كتاب إحصاء الأعمال الذي ترفعه الملائكة، وأضافه إلى نفسه لأن الملائكة كتبت فيه أعمال العباد بأمره، فهـو ينطـق بالحق. وفي هذا تهديد وتأييس من الحَيْف والظلم.

قوله تعالى : { وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ } في الجزاء بنقص ثواب أو بزيادة عذاب، بل يجزون بقـدر أعمالهم التي كلفوها، ونطقت بها صحائفهم بالحق .

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

أخـــلاق أهـــل الـــفضـــــل

بسم الله الرحمن الرحيم

{ وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُواْ الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُواْ أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَـــاكِينَ وَالْمُهَـــاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُواْ أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }. [النور : ٢٢].

قوله تعالى : { وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُواْ الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ } اعلم أنه تعالى كما أدب أهل الإفـــك ومن سمع كلامهم كما قدمنا ذكره، فكذلك أدب أبا بكر رضي الله عنه لما حلف أن لا ينفق على مسطح أبداً. قال المفسرون : نزلت الآية في أبي بكر رضي الله عنه حيث حلف أن لا ينفق على مسطح رضي الله عنه وهو ابن خالة أبي بكر رضي الله عنه، وقد كان رضي الله عنـــه يتيمـــاً في حجره، وكان ينفق عليه وعلى قرابته، فلما نزلت الآية قال لهم أبو بكر رضي الله عنه : قومـــوا فلستم مني ولست منكم ولا يدخلن علي أحد منكم، فقال مسطح رضي الله عنه : أنشـــدك الله والإسلام، وأنشدك القرابة والرحم، أن لا تحوجنا إلى أحد، فما كان لنا في أول الأمر من ذنب، فقال لمسطح رضي الله عنه : إن لم تتكلم فقد ضحكت! فقال : قد كان ذلك تعجباً مـــن قـــول حسان رضي الله عنه. فلم يقبل عذره، وقال : انطلقوا أيها القوم فإن الله لم يجعل لكم عذراً ولا فرجاً، فخرجوا لا يدرون أين يذهبون وأين يتوجهون من الأرض . فبعث رسول الله صـــلى الله عليه وسلّم يخبره بأن الله تعالى قد أنزل علي كتاباً ينهاك فيه أن تخرجهم فكبر أبو بكر رضي الله عنه وسره، وقرأ رسول الله صلى الله عليه وســـلّم الآيـــة عليـــه، فلمـــا وصـــل إلى قولـــه :

{ أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ }؟. قال : بلى يا رب إني أحب أن تغفر لي وقد تجاوزت عما كان، فذهب أبو بكر رضي الله عنه إلى بيته وأرسل إلى مسطح وأصحابه، وقال قبلت ما أنزل الله على الرأس والعين، وإنما فعلت بكم إذ سخط الله عليكم، أما إذ عفا عنكم فمرحباً بكم. وجعل له مِثْلَيْ ما كان له قبل ذلك اليوم .

قوله تعالى : { وَلاَ يَأْتَلِ } أي : ولا يحلف من الأَلِيَّةِ وهي القسم { أُوْلُواْ الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ } يعني الغنى، يعني أبا بكر الصديق رضي الله عنه. وأجمع المفسرون على أن المراد من قوله: { أُوْلُواْ الْفَضْلِ } أبو بكر رضي الله عنه، وهذه الآية تدل على أنه رضي الله عنه كان أفضل الناس بعد الرسول صلى الله عليه وسلّم.

واعلم أن الله تعالى وصف أبا بكر رضي الله عنه في هذه الآية بصفات عجيبة دالة على علو شأنه في الدين. أحدها: أنه سبحانه كنى عنه بلفظ الجمع، والواحد إذا كني عنه بلفظ الجمع دل على علو شأنه، فانظر إلى الشخص الذي كناه الله سبحانه مع جلاله بصيغة الجمع كيف يكون علو شأنه.!

وثانيها : أن الظلم من ذوي القربى أشد، قال الشاعر:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة   على المرء من وقع الحسام المهند

وأيضاً فالإنسان إذا أحسن إلى غيره، فإذا قابله ذلك الغير بالإساءة كان ذلك أشد عليه مما إذا صدرت الإساءة من الأجنبي، والجهتان كانتا مجتمعتين في حق مسطح رضي الله عنه، ثم إنه آذى أبا بكر رضي الله عنه بهذا النوع من الإيذاء الذي هو أعظم أنواع الإيذاء، فانظر أين مبلغ ذلك

الضرر في قلب أبي بكر رضي الله عنه. ثم إنه سبحانه أمره بأن لا يقطع عنه بره، وأن يرجع معه إلى ما كان عليه من الإحسان، وذلك من أعظم أنواع المجاهدات. ولا شك أن هذا أصعب من مقاتلة الكفار، لأن هذا مجاهدة مع النفس وذلك مجاهدة مع الكافر، ومجاهدة النفس أشق، ولهذا قال صلى الله عليه وسلّم : « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ».

وثالثها : أنه سبحانه قال لمحمد صلى الله عليه وسلّم: { فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ }[المائدة : ١٣].

وقال في حق أبي بكر رضي الله عنه : { وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُواْ } فمن هذا الوجه يدل على أن أبا بكر رضي الله عنه كان ثاني اثنين لرسول الله صلى الله عليه وسلّم في جميع الأخلاق، حتى في العفو والصفح.

قوله تعالى : { أَن يُؤْتُواْ أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ } صفات لموصوف واحد، أي : ناساً جامعين لها، لأن الكلام فيمن كان كذلك، لأن مسطحاً قريب ومسكين ومهاجر، جيء بها بطريق العطف تنبيهاً على أن كلاً منها علة مستقلة لاستحقاق الإيتاء.

قوله تعالى : { وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُواْ أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ } قال الراغب : الصفح ترك التثريب، وهو أبلغ من العفو. وقد يعفو الإنسان ولا يصفح.

قوله تعالى : { أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ } أي : بمقابلة عفوكم وصفحكم وإحسانكم إلى من أساء إليكم. وفيه ترغيب عظيم في العفو، ووعد كريم بمقابلته. كأنه قيل : ألا تحبون أن يغفر الله لكم؟. فهذا من موجباته. وفي الآية دليل على أن من حلف على أمر فرأى الحنث أفضل منه،

فله أن يحنث ويكفر عن يمينه، ويكون له ثلاثة أجور : أحدها ائتماره بأمر الله تعالى. والثاني أجر بره وذلك في صلة قرابته. والثالث أجر التكفير.

قوله تعالى : { وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } مبالغ في المغفرة والرحمة مع كمال قدرته سبحانه على المؤاخذة، وكثرة ذنوب العباد الداعية إليها، وفيه ترغيب عظيم في العفو ووعد كريم بمقابلته.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

حــفــظ الــحـــرمــــات

بسم الله الرحمن الرحيم

{ يأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَداً فَلاَ تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمُ وَإِن قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُواْ فَارْجِعُواْ هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨) لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٢٩) قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِى إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِى أَخَوَتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِالتَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَآءِ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُواْ إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }. [النور : ٢٧ ــ ٣١].

قوله تعالى : { يأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُواْ } من الاستئناس وهو ضد الاستيحاش. سمي بذلك لأن المستأذن مستوحش، فإذا أذن له فقد زال الاستيحاش.

قوله تعالى : { وَتُسَلِّمُواْ عَلَى أَهْلِهَا } هذه آداب شرعية، أدب الله بها عباده المؤمنين وذلك في الاستئذان، أمرهم أن لا يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم حتى يستأنسوا، أي : يستأذنوا قبل الـــدخول، ويسلموا بعده.

وينبغي أن يستأذن ثلاث مرات، فإن أذن له وإلا انصرف، كما ثبت في الصـــحيح : « إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فلينصرف » رواه البخاري ومسلم.

فيقول الواحد : السلام عليكم أأدخل؟. أشار بذلك إلى أن السلام مقدم على الاســـتئذان، وهو قول الأكثر. وإذا أتى الباب لا يستقبله من تلقاء وجهه، بل يجيء من جهة ركنه الأيمـــن أو الأيسر، وإذا طلب منه التعيين فليعين نفسه بصفة تميزه، ولا يكتفي بقوله : أنا، مثلاً؛ لما روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال : استأذنت على النبي صلى الله عليه وسلّم فقال : « من هذا؟. » فقلت : أنا. فقال صلى الله عليه وسلّم : « أنا. أنا. » كأنه كره ذلك. متفق عليه.

قوله تعالى : { ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ } أي : الاستئذان والتسليم خير لكم من أن تدخلوا بغتة، أو من تحية الجاهلية. وروي أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلّم أأستأذن على أمـــي؟. قـــال : « نعم ». قال : لا خادم لها غيري أأستأذن عليها كلما دخلـــت؟. قـــال : «أتحـــب أن تراهـــا عريانة؟ ». قال : لا، قال : « فاستأذن ». رواه مالك.

قوله تعالى : { لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } أي : إرادة أن تذكروا وتعملوا بما هو أصلح لكم.

قوله تعالى : { فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَداً فَلاَ تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمُ } في هذا حفظ أمر الله، وحفظ حرمة صاحب الدار؛ لأن من دخلها بغير إذن صاحبها ربما تكون فيها عورة منكشـــفة،

وربما يكون لصاحب الدار أمر لا يريد أن يطلع عليه غيره، فلا ينبغي أن يدخل عليه من غير استئذان.

قوله تعالى : { وَإِن قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُواْ فَارْجِعُواْ } أي : لا تلحوا في إطلاق الإذن، ولا تقفوا على الأبواب منتظرين، لأن هذا مما يجلب الكراهة، ويقدح في قلوب الناس، خصوصاً إذا كانوا ذوي مروءة ومرتاضين بالآداب الحسنة. وإذا نهى عن ذلك لأدائه إلى الكراهة، وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي إليها، من قرع الباب بعنف، والتصييح بصاحب الدار، وغير ذلك مما يدخل في عادات من لم يتهذب من أكثر الناس. وعن أبي عبيدة : ما قرعت باباً على عالم قط، وكفى بقصة بني أسد زاجرة وما نزل فيها من قوله : { إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ } [الحجرات : ٤].

قوله تعالى : { هُوَ أَزْكَى لَكُمْ } أي : الرجوع أطهر مما لا يخلو عنه اللج والعناد، أو أنفع لدينكم ودنياكم. فقد روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه كان يأتي دور الأنصار لطلب الحديث فيقعد على الباب ولا يستأذن حتى يخرج إليه الرجل. فإذا خرج ورآه قال : يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلّم لو أخبرتني بمكانك. فيقول : هكذا أمرنا أن نطلب العلم، وكأنه رضي الله عنه عد ذلك من التواضع، وهو أقوى أسباب الفتوح لطالب العلم.

قوله تعالى : { وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ } فيعلم ما تأتون وما تذرون مما كلفتموه فيجازيكم عليه.

وكم من باب من أبواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به، وباب الاستئذان من ذلك. بينا أنت في بيتك إذا رعف عليك الباب بواحد من غير استئذان، ولا تحية من تحايا الإسلام ولا الجاهلية، وهو ممن سمع ما أنزل الله فيه وما قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم ولكن أين الأذن الواعية؟.

قوله تعالى : { لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ } هذا كالاستثناء من قوله لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم. وسبب نزولها أن أبا بكر رضي الله عنه لما نزلت آية الاستئذان قال : يا رسول الله فالبيوت التي بين مكة والشام على ظهر الطريق والخانات أفلا ندخلها إلا بإذن؟. فنزلت.

قوله تعالى : { أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ } أي : غير موضوعة لسكنى طائفة مخصوصة فقط، بل ليتمتع بها من يضطر إليها كائناً من كان من غير أن يتخذها سكناً، كالرُّبُطِ والخانات والحوانيت والحمامات ونحوها، فإنها معدة لمصالح الناس كافة، كما ينبيء عنه قوله تعالى : { فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ } أي : فيها حق تمتع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وإيواء الأمتعة والرجال، والشراء والبيع والاغتسال، وغير ذلك مما يليق بحال البيوت وداخليها، فلا بأس بدخولها بغير استئذان من داخليها.

قوله تعالى : { وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ } وعيد لمن يدخل مدخلاً من هذه المداخل لفساد أو اطلاع على عورات.

قوله تعالى : { قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ } شروع في بيان أحكام كلية شاملة للمؤمنين كافة، يندرج فيها حكم المستأذنين عند دخولهم البيوت اندراجاً أولياً. وتلوين الخطاب،

وتوجيهه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وتفويض ما في حيزه من الأوامر والنواهي إلى رأيه صلى الله عليه وسلّم، لأنها تكاليف متعلقة بأمور جزئية كثيرة الوقوع، حقيقة بأن يكون الآمرَ بها والمتصدي لتدبيرها حافظاً ومهيمناً عليهم. والمراد غض البصر وحفظه عن النظر إلى ما لا يحل لهم النظر إليه، وأن لا ينظر إلا إلى ما يحل النظر إليه. لأن البصر هو الباب الأكبر إلى القلب، وأعمَر طرق الحواس إليه، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته، ووجب التحذير منه. وغضُّه واجب عن جميع المحرمات وكل ما يخشى الفتنة من أجله.

قوله تعالى : { وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ } وحفظ الفرج تارة يكون بمنعه من الزنا، كما قال تعالى : { وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـافِظُونَ } [المؤمنون : ٥]. وتارة يكون بحفظه من النظر إليه كما جاء في الحديث : « احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك ». رواه أحمد.

قوله تعالى : { ذلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ } أي : أطهر لقلوبهم وأنقى لدينهم، كما قيل : من حفظ بصره أورثه الله نوراً في بصيرته، ويروى في قلبه.

قوله تعالى : { وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـارِهِنَّ } فلا ينظرن إلى ما لا يحل لهن النظر إليه. وفي الزواجر لابن حجر المكي : كما يحرم نظر الرجل للمرأة، يحرم نظرها إليه، ولو بلا شهوة ولا خوف فتنة، فقد أخرج أبو داود والترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها أنها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلّم وميمونة رضي الله عنها قالت : فبينما نحن عنده أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه صلى الله عليه وسلّم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « احتجبا منه » فقلت : يا رسول الله هو أعمى لا يبصر. قال : « أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه؟ ».

قوله تعالى : { وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ } أي : عما لا يحل لهن من الزنا والسحاق أو من الإبداء، أو مما يعم ذلك.

قوله تعالى : { وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا } أي : ولا يكشفن زينتهن للأجانب إلا ما ظهر منها بدون قصد ولا نية سيئة قال ابن كثير : أي : لا يظهر شيئاً من الزينة للأجانب إلا ما لا يمكن إخفاؤه، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه : الزينة زينتان؛ فزينة لا يراها إلا الزوج : الخاتم والسوار، وزينة يراها الأجانب وهي الظاهر من الثياب.

قوله تعالى : { وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ } أي : وليلقين الخمار وهو غطاء الرأس على صدورهن لئلا يبدو شيء من النحر والصدر، وفي لفظ الضرب مبالغة في الصيانة والتستر. عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : يرحم الله النساء المهاجرات الأُول لما أنزل الله { وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ } شققن مروطهن فاختمرن بها. رواه البخاري.

قوله تعالى : { وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ } فاعلم أنه سبحانه لما تكلم في مطلق الزينة تكلم بعد ذلك في الزينة الخفية التي نهاهن عن إبدائها للأجانب، وبين أن هذه الزينة ا فية يجب إخفائها عن الكل، ثم استثنى اثنتي عشرة صورة. أحدها : أزواجهن. وثانيها : آباؤهن وإن علوا. وثالثها : آباء أزواجهن. ورابعها وخامسها : أبناؤهن وأبناء بعولتهن، ويدخل فيه أولاد الأولاد وإن سفلوا. وسادسها : إخوانهن سواء كانوا من الأب أو من الأم أو منهما. وسابعها : بنو إخوانهن . وثامنها : بنو أخواتهن وهؤلاء كلهم محارم. وتاسعها : قوله تعالى : { أَوْ نِسَآئِهِنَّ } المراد : والنساء اللاتي هن على دينهن، وهذا قول أكثر السلف. قال ابن عباس رضي الله عنهما : ليس للمسلمة أن تتجرد بين نساء أهل الذمة ولا تبدي

للكافرة إلا ما تبدي للأجانب. وعاشرها : قوله تعالى : { أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـانُهُنَّ } والمـراد : الإماء. وحادي عشرها : قوله تعالى : { أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ } هـم الـذين يتبعونكم لينالوا من فضل طعامكم، ولا حاجة بهم إلى النساء، لأنهم بله لا يعرفون من أمـرهن شيئاً. والإربة الحاجة في النساء. وثاني عشرها : قوله تعا : { أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَـى عَوْرَاتِ النِّسَآءِ } المعنى: أو الطفل الذين لم يتصوروا عورات النساء ولم يدروا ما هي من الصغر.

قوله تعالى : { وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ } كانت المرأة في الجاهلية إذا كانت تمشي في الطريق وفي رجلها خلخال صامت لا يعلم صوته، ضربت برجلها الأرض، فيعلم الرجال طنينه، فنهى الله المؤمنات عن مثل ذلك. وكذلك إذا كان شيء مـن زينتـها مسـتوراً فتحركت بحركة لتظهر ما هو خَفِيٌّ دخل في هذا النهي لقوله تعالى : { وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ } إلى آخره، ومن ذلك أنها تنهى عن التعطر والتطيب عند خروجها من بيتها ليشتم الرجال طيبها، عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلّم أنه قال : « كل عين زانية والمـرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا يعني زانية ». رواه الترمذي.

قوله تعالى : { وَتُوبُواْ إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم إلى الكل بطريق التغليب، لإبراز كمال العناية بما في حيزه من أمر التوبة وأنها من معظمات المهمات الحقيقية، بأن يكون سبحانه وتعالى هو الآمر بها، لِما أنه لا يكاد يخلو أحد من المكلفين عن نوع تفريط في إقامة مواجب التكاليف كما ينبغي.

والتوبة الرجوع عن المذمومات من الأفعال إلى أضدادها المحمودة. وجميع المؤمنين مـأمورون بالتوبة، فتوبةٌ عن الزلة وهي توبة العوام، وتوبة عن الغفلة وهي توبة الخواص. ويقال : أمرَ الكافة

بالتوبة، والعاصين بالرجوع إلى الطاعة من المعصية، والمطيعين من رؤية الطاعة إلى رؤية التوفيق، وخاصَّ الخاصِّ من رؤية التوفيق إلى مشاهدة الموفق. ويقال : أمر الكل بالتوبة لئلا يخجل العاصي من الرجوع بانفراده. ويقال : مساعدة الأقوياء مع الضعفاء ـــ رفقاً بهم ـــ من أمارات الكرم. ويقال : في قوله : { لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } يتبين أنه أمرهم بالتوبة لينتفعوا هم بذلك، لا ليكون للحق سبحانه بتوبتهم وطاعتهم تجمُّلٌ. ويقال : أحوج الناس إلى التوبة من تَوَهَّمَ أنه ليس يحتـــاج إلى التوبة.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

المحافظة على ذكر الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

{ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآْصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَآءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ }. [النور : ٣٦ ـ ٣٨].

قوله تعالى : { فِى بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ } المراد بها جميع المساجد. فالمساجد بيوته – سبحانه - وإن الله أذن أن ترفع الحوائج فيها إليه فيقضيها، ورفع أقدار تلك البيوت على غيرها من الأبنية والآثار. فالمساجد بيوت العبادة والقلوب بيوت الإرادة، فالعابد يصل بعبادته إلى ثواب الله، والقاصد يصل بإرادته إلى الله. اختلفوا في المراد من قوله تعالى : { أَن تُرْفَعَ } على أقوال : أحدها : المراد من رفعها بناؤها وثانيها : ترفع أي : تعظم وتطهر عن الأنجاس وثالثها : المراد مجموع الأمرين.

قوله تعالى : { وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ } أي : يعبد فيها الله بتوحيده وذكره وتلاوة آياته. { يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآْصَالِ } أي : يصلي لله تعالى في هذه المساجد في الصباح والمساء المؤمنون. قال ابن عباس رضي الله عنهما : كلُّ تسبيح في القرآن فهو صلاة. والآصال جمع أصيل، وهو العشي. قال ابن عباس رضي الله عنهما : إن صلاة الضحى لفي كتاب الله تعالى مذكورة، وتلا هذه الآية.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلّم أنه قال : « ما من أحـــد يغـــدو ويروح إلى المسجد يؤثره على ما سواه إلا وله عند الله نزل يعد له في الجنة ».

قوله تعالى : { رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَـــارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَآءِ الزَّكَـــاةِ } قال كثير من الصحابة : نزلت هذه الآية في أهل الأسواق الذين إذا سمعوا النداء بالصلاة تركـــوا كـــل شغـــل وبـــادروا.

قوله تعالى : { يَخَـــافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَـــارُ } يعني أن هؤلاء الرجال وإن بالغوا في ذكر الله والطاعات، فإنهم مع ذلك وجلون خائفون لعلمهم بأنهم ما عبـــدوا الله حـــق عبادته. وتتقلب الأبصار من هول ذلك اليوم من أي ناحية يؤخذ بهم أمن ذات اليمين أم من ذات الشمال؟. ومن أين يؤتون كتبهم أمن قبل اليمين أم من قبل الشمال؟.

قوله تعالى : { لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ } ما يتفضل به من غير جزاء { وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } أي : من غير أن يحاسبه على ما أعطاه، إذ لا نهاية لعطائه.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

صفـــات الـفـــائـــزيـــــن

بسم الله الرحمن الرحيم

{ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُواْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَآئِزُون } [النور : ٥١ ــ ٥٢].

قوله تعالى : { إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُواْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } أخبر تعالى عن صفة المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله صلى الله عليه وسلّم، الذين لا يبغون ديناً سوى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلّم، فقال: {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُواْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا} أي: سمعاً وطاعة. ولهذا وصفهم تعالى بالفلاح، وهو نيل المطلوب والسلامة من ا هروب، فقال تعالى : { وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } وقال قتادة : في هذه الآية { أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا } ذكر لنا أن عبادة بن الصامت رضي الله عنه - وكان عقبياً بدرياً أحد نقباء الأنصار - أنه لما حضره الموت قال : لابن أخيه جنادة بن أبي أمية : ألا أنبئك بماذا عليك وماذا لك؟ قال: بلى. قال : فإن عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك، وعليك أن تقيم لسانك بالعدل، وأن لا تنازع الأمر أهله إلا أن يأمروك بمعصية الله بواحاً، فما أمرت به من شيء يخالف كتاب الله، فاتبع كتاب الله. وقال قتادة : ذكر لنا أن أبا الدرداء

رضي الله عنه قال : لا إسلام إلا بطاعة الله، ولا خير إلا في جماعة، والنصيحة لله ولرسوله وللخليفة وللمؤمنين عامة. قال : وقد ذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول : عروة الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والطاعة لمن ولاه الله أمر المسلمين. رواه ابن أبي حاتم.

قوله تعالى : { وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ } أي : من يطعهما كائناً من كان فيما أمرا به من الأحكام الشرعية اللازمة والمتعدية { وَيَخْشَ اللَّهَ } على ما مضى من ذنوبه أن يكون مأخوذاً بها { وَيَتَّقْهِ } فيما بقي من عمره { فَأُوْلَـئِكَ } الموصوفون بالطاعة والخشية والاتقاء { هُمُ الْفَآئِزُون } بالنعيم المقيم لا من عاداهم. والفوز الظفر مع حصول السلامة فلا بد من الإطاعة لله ولرسوله في أداء الفرائض واجتناب المحارم. فقد دعى الله تعالى فلا بد من الإجابة. قال ابن عطاء رحمه الله : الدعوة إلى الله بالحقيقة، والدعوة إلى الرسول بالنصيحة فمن لم يجب داعي الله كفر، ومن لم يجب داعي الرسول صلى الله عليه وسلّم ضل. وسبب عدم الإجابة المرض.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

صفــات عبــاد الــرحــمــــن

بسم الله الرحمن الرحيم

{ وَعِبَادُ الرَّحْمَـــنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُواْ سَلاَماً (٦٣) وَالَّذِينَ يِبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً (٦٥) إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً (٦٦) وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُـــرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً (٦٧) وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَـــهَا ءَاخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أَثَاماً (٦٨) يُضَـــاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَـــوْمَ الْقِيامَـــةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَـــالِحاً فَأُوْلَـــئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَـــيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتاباً (٧١) وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِاللَّغْوِ مَرُّواْ كِراماً (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـــآيَـــتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّـــاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً (٧٤) أُوْلَـــئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاماً (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً (٧٦) قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّى لَوْلاَ دُعَـــآؤُكُمْ فَقَـــدْ كَـــذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً } [الفرقان : ٦٣ ــ ٧٧].

قوله تعالى : { وَعِبَادُ الرَّحْمَـــنِ } ذكر الله تعالى هنا أوصاف المؤمنين الكاملين بأوصاف بهـــا تنال المراتب االعالية، وإضافتهم إليه تعالى للتشريف، وإلا فكل المخلوقات عباد الله. وإضافتهم إلى الرحمن دون غيره من أسمائه تعالى وضمائره عز وجل لتخصيصهم برحمته، أو لتفضيلهم على من عداهم لكونهم مرحومين منعماً عليهم. وقال الراغب : العبودية إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل. وفرق بعضهم بينهما بأن العبادة فعل المأمورات وترك المنهيات؛ رجاء الثواب والنجاة من العقاب بذلك، والعبودية فعل المأمورات وترك المنهيات لا لما ذُكر بل لمجرد إحســـان الله تعالى عليه. قيل : وفوق ذلك العبودة وهو فعل وترك ما ذُكر لمجرد أمره سبحانه ونهيه عـــز وجل واستحقاقه سبحانه الذاتي لأن يعظم ويطاع.

واعلم أنه سبحانه وصفهم بتسعة أنواع من الصفات :

الصفة الأولى : قوله تعالى : { الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً } أي : بسكينة ووقار من غير جبرية ولا استكبار، وليس المراد أنهم يمشون كالمرضى تصنعاً ورياء، فقد كان سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلّم إذا مشى كأنما ينحط من صبب وكأنما الأرض تطوى له. وقد كره بعض السلف المشي بتضعف وتصنع، حتى روي عن عمر رضي الله عنه أنه رأى شاباً يمشي رويداً، فقال : مـــا بالك أأنت مريض؟. قال : لا يا أمير المؤمنين. فعلاه بالدرة وأمره أن يمشي بقوة. وإنمـــا المـــراد بالهون هنا السكينة والوقار، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « إذا أتيتم الصلاة فـــلا تأتوها وأنتم تسعون، وأتوها وعليكم السكينة فما أدركتم منها فصلوا، وما فاتكم فأتموا ».

وعن الإمام أبي عبد الله رضي الله عنه أن الهون مشي الرجل بسجيته التي جبـــل عليهـــا لا يتكلف ولا يتبختر.

الصفة الثانية : قوله تعالى : { وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ } يعني السفهاء بما يكرهونه { قَالُواْ سَلاَماً } أي : سداداً من القول يَسْلَمونَ فيه ولا يسفهون، وإن سُفِه عليهم حلموا ولم يجهلوا، وليس المراد منه السلام المعروف. وهذه الآية محكمة عند أكثرهم لأن الحلم عن السفيه مندوب إليه، والإغضاء عن الجاهل أمر مستحسن في الأدب والمروءة والشريعة، وأسلم للعرض وأوفق للورع، وفي الحديث : « إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد أين أهل الفضل؟. فيقوم ناس وهم يسير، فينطلقون سراعاً إلى الجنة، فتتلقاهم الملائكة فيقولون : إنا نراكم سراعاً إلى الجنة. فيقولون: نحن أهل الفضل. فيقولون: ما كان فضلكم؟. فيقولون: كنا إذا ظُلِمنا صبرنا، وإذا أسيء إلينا غفرنا، وإذا جهل علينا حلمنا، فيقال لهم : ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين ».

الصفة الثالثة : قوله تعالى : { وَالَّذِينَ يِبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً } والمعنى يكونون ساجدين لربهم وقائمين، أي : يحيون الليل كلاً أو بعضاً بالصلاة، كما قال تعالى في حق المتقين : { كَانُواْ قَلِيلاً مِّن الَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ } [الذاريات : ١٧.] وتخصيص البيتوتة لأن العبادة بالليل أشق وأبعد من الرياء. وهوبيان لحالهم في معاملتهم مع ربهم، ووصف ليلهم بعد وصف نهارهم. قال الحسن يبيتون لله على أقدامهم، ويفرشون له وجوههم، تجري دموعهم على خدودهم خوفاً من ربهم.

الصفة الرابعة : قوله تعالى : { وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً } لازماً ومنه الغريم لملازمته، وهو إيذان بأنهم مع حسن مخالطتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق، وجلون من العذاب، مبتهلون إلى الله في صرفه عنهم، لعدم اعتدادهم

بأعمالهم وعدم وثوقهم على استمرار أحوالهم. كقوله تعالى : { وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ } [المؤمنون : ٦٠].

قوله تعالى : { إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً } أي : بئست مستقراً ومقاماً.

الصفة الخامسة : قوله تعالى : { وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ } قيل : الإسراف النفقة في معصية الله وإن قَلَّتْ : والإقتار منع حقوق الله تعالى. وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما. وأخرج ابن ماجة في سننه عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « إن من السرف أن تأكل كل ما اشتهيت. ». وحكي عن عبد الملك بن مروان أنه قال لعمر بن عبد العزيز رحمه الله حين زوجه ابنته فاطمة : ما نفقتك؟. فقال له عمر : الحسنة بين السيئتين ثم تلا الآية.

قوله تعالى : { وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً } كما قال تعالى : { وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ } [الإسراء : ٢٩]. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « ما عال من اقتصد » رواه أحمد. وعن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « ما أحسن القصد في الغنى! وأحسن القصد في الفقر! وأحسن القصد في العبادة! » أخرجه البزار.

الصفة السادسة : قوله تعالى : { وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَـهَا ءَاخَرَ } شروع في بيان اجتنابهم عن المعاصي بعد بيان إتيانهم بالطاعات. ويقال : الشرك ثلاثة. أولها : أن يعبد غيره

تعالى. والثاني : أن يطيع مخلوقاً بما يأمره من المعصية. والثالث : أن يعمل لغير وجه الله. فالأول كفر، والآخران معصية.

قوله تعالى : { وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ } أي : حرمها الله تعالى بمعنى حرم قتلها { إِلاَّ بِالْحَقِّ } أي : لا يقتلونها بسبب من الأسباب، إلا بسبب الحق المزيل لحرمتها وعصمتها، كالزنا بعد الإحصان، والكفر بعد الإيمان.

قوله تعالى : { وَلاَ يَزْنُونَ } ولا يطؤون فرجاً محرماً عليهم. والمراد من نفي هذه القبائح العظيمة بما كان عليه أعداؤهم من قريش وغيرهم، وإلا فلا حاجة إليه بعد وصفهم بالصفات السابقة، من حسن المعاملة، وإحياء الليل بالصلاة، ومزيد خوفهم من الله تعالى، لظهور استدعائها نفي ما ذكر عنهم. وقد صح من رواية البخاري ومسلم والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلّم أي الذنب أكبر؟. قال : « أن تجعل لله تعالى نداً وهو خلقك » قلت : ثم أي؟. قال : «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك » قلت : ثم أي؟. قال : « أن تزاني حليلة جارك » فأنزل الله تعالى تصديق ذلك : { وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَـهَا ءَاخَرَ } الآية.

قوله تعالى : { وَمَن يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أَثَاماً } أي : ومن يفعل شيئاً من ذلك يلق أثاماً قال ابن عباس رضي الله عنهما : إنما يريد جزاء الإثم.

قوله تعالى : { يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } وسبب تضعيف العذاب أن المشرك إذا ارتكب المعاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعاً، فتضاعف العقوبة لمضاعفة

المعاقب عليه. وهذا يدل على أن الكفار مخاطبون بفروع الشرائع { وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً } إشارة إلى ما ثبت أن العقاب هو المضرة الخالصة المقرونة بالإذلال والإهانة، كما أن الثواب هو المنفعة الخالصة المقرونة بالتعظيم.

قوله تعالى : { إِلاَّ مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَـئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ } إلاّ من تاب من الذنب في الحال ، وآمن في المآل، ويقال : { وَءَامَنَ } أن نجاته بفضل الله لا بتوبته { وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً } لا ينقض توبته. ويقال : إن نقض توبته عمل صالحاً، أي : جدد توبته. وقوله : { فَأُوْلَـئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ } يكون التبديل في الدنيا، بأن يبدل الله قبائح أعمالهم الواقعة في الشرك بمحاسن الأعمال في الإسلام، فيبدل الله لهم بالشرك إيماناً، وبقتل المسلمين قتل المشركين، وبالزنى عفة وإحصاناً، فكأنه تعالى يبشرهم بأن يوفقهم لهذه الأعمال الصالحة فيستوجبون بها الثواب.

قوله تعالى : { وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً } فلذلك يعفو عن السيئات ويثيب على الحسنات.

قوله تعالى : { وَمَن تَابَ } عن المعاصي بتركها { وَعَمِلَ صَالِحاً } يتلافى به ما فرط، أو خرج عن المعاصي ودخل في الطاعة { فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ } يرجع إلى الله بذلك { مَتاباً } مرضياً عند الله ماحياً للعقاب محصلاً للثواب.

الصفة السابعة : قوله تعالى : { وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ } أي : شهادة الزور، وهي الكذب متعمداً على غيره. كما في الصحيحين عن أبي بكرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟. ثلاثاً. قلنا : بلى يا رسول الله قال : الشرك بالله،

وعقوق الوالدين، وكان متكئاً، فجلس فقال : ألا وقول الزور، ألا وشهادة الـــزور، فمـــا زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت ».

قوله تعالى : { وَإِذَا مَرُّواْ بِاللَّغْوِ مَرُّواْ كِراماً } أي : وإذا مروا بمجالس اللغو - وهي الأماكن التي يكون فيها العمل القبيح كمجالس اللهو، والسينما، والقمار، والغناء المحرم - مروا معرضين مكرمين أنفسهم عن أمثال تلك المجالس قال الطبري : واللغو كل كلام أو فعل باطل، وكل مـــا يستقبح.

الصفة الثامنة : قوله تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِــآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً } ليس بنفي للخرور، وإنما هو إثبات له، ونفي للصمم والعمى، والمعنى أنهم إذا ذكروا بها أكبـــوا عليها حرصاً على استماعها، وأقبلوا على المذكر بها، وهم في إكبابهم عليها سامعون بآذان واعية، مبصرون بعيون راعية. لا كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على من يـــذكر بهـــا مظهرين الحرص الشديد على استماعهـــا وهـــم كالصـــم والعميـــان حيـــث لا يفهمونها ولا يبصرون ما فيها كالمنافقين.

الصفة التاسعة : قوله تعالى : { وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّـــتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ } المراد بالقرة تفضيلهم بالفضائل الدينية لا بالمال والجمال ونحوهما، فإن المتقين هم الذين تقر أعينهم بصلاح أزواجهم وأولادهم. كما قيل : ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجتـــه وأولاده مطيعين لله. وأما غير المتقين فإنهم يحبون الدنيا وزينتها ولا تقر أعينهم إلا بما يحبونه.

قولــه تعالــى : { وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً } لما بين الله أولاً معاملتهم مع الخلق بأنهم يمشــون على الأرض هوناً ولا يؤذون أحداً، وإذا آذاهم أهل الجهل والسفه لا يعارضونهم بالأذى، ولكن يتحملون ذلك ويتجاوزون عنه، ويقولون قولاً سداداً، ثم بين معاملاتهم مع الحق ودعاءهم بالليل، بقوله تعالى : { وَالَّذِينَ يِبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً } ثم أخبر عن صنعهم في أموالهم بأنهم ينفقون قواماً، ثم بين أنهم مع تحليهم بهذه الفضائل التي هي الطــاعات يجتنبــون عن أمهات المعاصي، ثم بيــن معاملتهـــم مع أهليهم، ودعاءهم في حقهم وفي حق أنفسهم، فإن قولهم (واجعلنا) يعنون به أنفسهم وذريــاتهم. بأن يبلغهم في الطاعة المبلغ الذي يشار إليهم ويقتدى بهم.

قوله تعالى : { أُوْلَـــئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ } والمراد أولئك يجزون الغرفات والـــدليل عليه قوله : { وَهُمْ فِى الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ } [سبأ : ٣٧]. وقال : { لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُـــرَفٌ } [الزمر : ٢٠]. والغرفة في اللغة العِلِّيّة وكل بناء عال فهو غرفة، والمراد به الدرجات العالية. وهنا ذكر الصبر ولم يذكر المصبور عنه ليعم كل نوع فيدخل فيه صبرهم على مشاق الطاعات، وعلى مشاق ترك الشهوات، وعلى مشاق أذى المشركين، وعلى مشاق الجهاد والفقر ورياضة النفس.

قوله تعالى : { وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاماً } التحية هي الدعاء بالتعمير، والسلام هو الـــدعاء بالسلامة. ولم يذكر الملقِّي إياهما وهم في الغرفات، ويمكن أنَّ ذلك هو الله لقوله تعالى : { سَـــلاَمٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ } [يس : ٥٨]. وأن يكون الملائكة، لقوله تعالى : { وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم } [الرعد : ٢٤]. وأن يكون بعضهم يحيي بعضاً ويسلم عليه.

قوله تعالى : { خَالِدِينَ فِيهَا } أي : المقيمين في ذلك النعيم لا يموتون ولا يخرجون من الجنة لأنها دار الخلود { حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً } أي : ما أحسنها مقراً وأطيبها منـزلاً لمن اتقى الله.

قوله تعالى : { قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّى لَوْلاَ دُعَآؤُكُمْ } أي : قل لهم يا محمد : لا يكترث ولا يحفل بكم ربي لولا تضرعكم إليه واستغاثتكم إياه في الشدائد { فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً } أي : فقد كذبتم أيها الكافرون بالرسول والقرآن فسوف يكون العذاب ملازماً لكم في الآخرة.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

عــدم مــوالاة الــمجــرمــيــــن

بسم الله الرحمن الرحيم

{ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ } [القصص : ١٧].

قوله تعالى : { قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ } أي : من المعرفة وا كمة والتوحيد { فَلَنْ أَكُـــونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ } أي : عوناً للكافرين. قال القشيري : ولم يقل بما أنعمت علي من المغفرة، لأن هذا قبل الوحي، وما كان عالماً بأن الله غفر له ذلك القتل. وقال الماوردي : { بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ } فيه وجهان. أحدهما : من المغفرة. الوجه الثاني : من الهداية. قال الزمخشري : قوله تعالى : { بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ } يجوز أن يكون قسماً جوابه محذوف، تقديره أقسم بإنعامك علي بالمغفرة لأتـــوبن { فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ }. وأن يكون استعطافاً، كأنه قال : رب اعصمني بحق ما أنعمت علي من المغفرة فلن أكون إن عصمتني ظهيراً للمجرمين. وأراد بمظاهرة المجرمين إما صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثير سواده، حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد، وكان يسمى ابن فرعون. وإما بمظاهرة من أدت مظاهرته إلى الجرم والإثم كمظاهرة الإسرائيلي المؤدية إلى القتـــل الذي لم يحل له قتله.

قوله تعالى : { فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ } واحتج أهل العلم بهذه الآية على المنع من معونة الظلمة وخدمتهم، أخرج ابن أبي حاتم عن عبيد الله بن الوليد الرصافي أنه سأل عطاء بن أبي رباح عن أخ له كاتب فقال له : إن أخي ليس له من أمور السلطان شيء إلا أنه يكتب له بقلـــم مـــا

يدخل وما يخرج، فإن ترك قلمه صار عليه دين واحتاج، وإن أخذ به كان له فيه غنى. قال : لمن يكتب؟. قال : لخالد بن عبد الله القسري. قال : ألم تسمع إلى ما قال العبد الصالح : { رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ } فلا يهتم أخوك بشيءٍ، وليرم بقلمه فإن الله تعالى سيأتيه برزق. وقد كان السلف يجتنبون كل الاجتناب عن خدمتهم. وإذا صح حديث : « ينادي مناد يوم القيامة أين الظلمة وأشباه وأعوان الظلمة، حتى من لاقَ له دواة، أو برى له قلماً، فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى بهم في جهنم » فليبك من علم أنه من أعوانهم على نفسه وليقلع عما هو عليه قبل حلول رمسه. ومما يقصم الظهر ما روي عن بعض الأكابر أن خياطاً سأله فقال : أنا ممن يخيط للظلمة فهل أعد من أعوانهم؟. فقال : لا. أنت منهم، والذي يبيعك الإبرة من أعوانهم. فلا حول ولا قوة إلا بالله تعالى العلي العظيم، ويا حسرتا على من باع دينه بدنياه، واشترى رضا الظلمة بغضب مولاه. هذا وقد بلغ السيل الزبى وجرى الوادي فطم على القرى.

قال عطاء : فلا يحل لأحد أن يعين ظالماً ولا يكتب له ولا يصحبه، وأنه إن فعل شيئاً من ذلك فقد صار معيناً للظالمين. ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلّم أنه قال : « من مشى مع مظلوم ليعينه على مظلمته ثبت الله قدميه على الصراط يوم القيامة يوم تزل فيه الأقدام، ومن مشى مع ظالم ليعينه على ظلمه أزل الله قدميه على الصراط يوم تدحض فيه الأقدام ».

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

الحرص على الحسنات

بسم الله الرحمن الرحيم

{ تِلْكَ الدَّارُ الآْخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِى الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣) مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُواْ السَّيِّئَاتِ إِلاَّ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } [القصص : ٨٣ ــ ٨٤].

قوله تعالى : { تِلْكَ الدَّارُ الآْخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِى الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً }. { تِلْكَ } تعظيم لها وتفخيم لشأنها. يعني : تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها، ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد،ولكن بترك إرادتهما وميل القلوب إليهما، كما قال تعالى : { وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ } [هود : ١١٣]. فعلق الوعيد بالركون. وعن علي رضي الله عنه: إن الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها. عن الفضيل أنه قرأها ثم قال : ذهبت الأماني ههنا. وعن عمر بن عبد االعزيز رضي الله عنه أنه كان يرددها حتى قبض. وعن عكرمة رضي الله عنه أنه قال : العلو في الأرض التكبر، وطلب الشرف والمنزلة عند سلاطينها وملوكها، والفساد العمل بالمعاصي وأخذ المال بغير حقه. وروى مسلم وأبو داود والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسناً، قال : « إن الله تعالى جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس ».

قوله تعالى : { وَالْعَــاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ } أي : العاقبة المحمودة للــذين يخشــون الله ويراقبونــه، ويبتغون رضوانه ويحذرون عقابه.

قوله تعالى : { مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا } اعلم أنه تعالى لما بين أن الدار الآخرة ليست لمن يريد علواً في الأرض ولا فساداً، بل هي للمتقين، بين بعد ذلك ما يحصل لهم فقال : { مَــن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا } حصل له شيء هو أفضل من تلك الحسنة، ومعناه أنهم يزادون على ثوابهم. وأما قوله : { وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُواْ السَّيِّئَاتِ إِلاَّ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } فظاهره أن لا يزاد على ما لا يستحقون.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

مـــجـــاهـــدة الـــنفـــــس

بسم الله الرحمن الرحيم

{ وَالَّذِينَ جَــاهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ }. [العنكبوت : ٦٩].

قوله تعالى : { وَالَّذِينَ جَاهَدُواْ فِينَا } أي : جدوا وبذلوا وسعهم في شأننا وحقنـــا ولوجهنـــا خالصاً. وأطلق المجاهدة ليعم جهاد الأعداء الظاهرة والباطنة، أمـــا الأول : فكجهـــاد الكفـــار المحاربين، وأما الثاني : فكجهاد النفس والشيطان وفي الحديث : « جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم ». وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : إنما قصر بنا عن علم ما جهلنا تقصيرنا في العمل بما علمنا، ولو عملنا ببعض ما علمنا لأورثنا علماً لا تقوم به أبـــداننا، قـــال الله تعـــالى : { وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ } [البقرة : ٢٨٢]. ويقال : الجهاد فيه أولاً بترك المحرمات، ثم بتـــرك الشبهات، ثم بترك الفضلات، ثم بقطع العلاقات، والتنقي من الشواغل في جميـــع الأوقـــــات، ويقال : بحفظ الحواس لله، وبِعَـــدِّ الأنفاس مع الله.

قولـــه تعالـــى : { لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا } لنهدينهم سبيل السير إلينـــا والوصول إلى جنابنا، فإن من جاهد في الله حق جهاده - وهو صرف الافتقار إلى الله تعالى بالانفصال عن كل شيء سوى الله - انكشفت عنه الحجب النفسانية وحجب عالم الأكوان كلها، وتجلى له أسرار الملكـــوت، وأنوار عالم الغيب. ومن اجتهد برفض العادات البشرية، ومخالفة الأهواء الطبيعية، وتهذيب ظاهره عن المخالفات المنهية، بملازمة الأعمال السنية، وباطنه عن الأخلاق الردية بالتحلي بـــالأخلاق المرضية، انفتح له سبيل السير إلى الله بالقوة القدسية، والقابلية الملكية، واللطافة الروحانية، فإنه

بقدر الجد تكتسب المعالي. وإلى الله أبتهل في أن يخلصني من طريقة الذين يقولون ما لا يفعلــون، ويوفقني للسعي والاجتهاد في تهذيب الأخلاق وإصلاح الأعمال إنه قريب مجيب. ويقال : والذين جاهدوا بالتوبة لنهدينهم إلى الإخلاص، والذين جاهدوا في طلب العلم لنهديهم إلى طريق العمل به، والذين جاهدوا في رضانا لنهدينهم إلى الوصول إلى محل الرضوان، والذين جاهدوا في خدمتنا لنفتحن عليهم سبل المناجاة معنا والأنس بنا والمشاهدة لنا، والذين أشغلوا ظواهرهم بالوظــائف أوصلنا إلى أسرارهم اللطائف والعجب ممن يعجز عن ظاهره ويطمع في باطنه، ومن لم يكن أوائل حاله المجاهدة كانت أوقاته موصولة بالأماني، ويكون حظه البعد من حيث يأمل القرب.

والحاصل أنه بقدر الجد تكتسب المعالي، فمن جاهد بالشريعة وصل إلى الجنة، ومــن جاهــد بالطريقة وصل إلى الهدى، ومن جاهد بالمعرفة والانفصال عما سوى الله وصل إلى العين واللقاء.

قوله تعالى : { وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ } بمعية النصرة والإعانة والعصمة في الدنيا والثواب والمغفرة في العقبى. قال ابن أبي حاتم عن المغيرة عن الشعبي قال : قال عيسى بن مــريم : إنمــا الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك، ليس الإحسان أن تحسن إلى من أحسن إليك. والله تعالى أعلم.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

مـــراقـــبـــة الله تـــعالــــــى

بسم الله الرحمن الرحيم

{ يابُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى السَّمَاوَاتِ أَوْ فِــى الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يابُنَىَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ (١٧) وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِى الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَــوْتِكَ إِنَّ أَنكَــرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ } . [لقمان : ١٦ ــ ١٩].

قوله تعالى : { يابُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ } هذه وصايا نافعة قـــد حكاهــا الله سبحانه عن لقمان الحكيم، ليمتثلها الناس ويقتدوا بها، فقال : { يابُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ } أي : إن المظلمة أو الخطيئة لو كانت مثقال حبة من خردل. { يَأْتِ بِهَا اللَّـــهُ } أي : أحضرها الله يوم القيامة حين يضع الموازين القسط، وجازى عليها إن خيراً فخير، وإن شراً فشر كما قال تعالى : { فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْـــمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَـــرّاً يَـــرَهُ } [الزلزلة : ٨]. ولو كانت تلك الذرة محصنة محجبة في داخل صخرة صماء، أو غائبـــة ذاهبـــة في أرجاء السموات والأرض، فإن الله يأتي بها، لأنـــه لا تخفى عليه خافيـــة، ولا يعـــزب عنـــــه مثقـــال ذرة فـــي السموات ولا في الأرض، ولهذا قال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ } أي : لطيـــف العلم، فلا تخفى عليه الأشياء وإن دقت ولطفت وتضاءلت. { خَبِيرٌ } بدبيب النمـــل في الليـــل

البهيم. والمراد أن هذه الحبة في حقارتها لو كانت داخل صخرة، فإن الله سيبديها ويظهرها بلطيف علمه. كما قال الإمام أحمد : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال : « لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس كائناً ما كان ».

قوله تعالى : { يابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ } أي : بجميع حدودها وشروطها، ولا تغفل عنها، فإن إقامتها وهو الإتيان بها على النحو المرضي مانعة من الخلل في العمل. إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر { وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ } أي : كل من تقدر على أمره تهذيباً لغيرك وشفقة على نفسك لتخليص أبناء جنسك { وَانْهَ } أي : كل من قدرت على نهيه { عَنِ الْمُنْكَرِ } حباً لأخيك ما تحبه لنفسك، تحقيقاً لنصيحتك، وتكميلاً لعبادتك. لأنه أمره أولاً بالمعروف وهو الصلاة الناهية عن الفحشاء والمنكر، فإذا أمر نفسه ونهاها ناسب أن يأمر غيره وينهاه، وهذا وإن كان من قول لقمان إلا أنه لما كان في سياق المدح له كنا مخاطبين به. ولما كان القابض على دينه في غالب الأزمان كالقابض على الجمر قال له : { وَاصْبِرْ } صبراً عظيماً بحيث تكون مستعلياً { عَلَى مَآ } أي : الذي { أَصَابَكَ } أي : في عبادتك وغيرها، من الأمر بالمعروف وغيره، سواء أكان بواسطة العباد أم لا كالمرض. وقد بدأ هذه الوصية بالصلاة وختمها بالصبر لأنهما ملاك الاستعانة قال تعالى : { وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ } [البقرة : ٤٥]. { إِنَّ ذَلِكَ } أي : الأمر العظيم الذي أوصيك به لا سيما الصبر على المصائب { مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ } أي: معزوماتها، أي : الأمور المقطوع بها المفروضة.

فالأمر بالمعروف يكون بالقول، وأبلغه أن يكون بامتناعك بنفسك عما تنهى عنه، واشتغالك واتصافك بنفسك بما تأمر به غيرك، ومن لا حكم له على نفسه لا ينفذ حكمه على غيره. والمعروف الذي يجب الأمر به هو ما يوصِل العبد إلى الله، والمنكر الذي يجب النهي عنه هو ما يشغل العبد عن الله.ومن قام لله بحقٍّ امتُحِن في الله، فسبيله أن يصبر لله.

قوله تعالى : { وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ } لما أمره بأن يكون كاملاً في نفسه مكملاً لغيره، وكان يخشى بعدهما من أمرين : أحدهما : التكبر على الغير بسبب كونه مكملاً له. والثاني : التبختر في النفس بسبب كونه كاملاً في نفسه فقال : { وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ } تكبراً { وَلاَ تَمْشِ فِى الأرْضِ مَرَحاً } تبختراً { إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ } يعني: من يكون به خيلاء، وهو الذي يُري الناس عظمة نفسه، وهو التكبر { فَخُورٍ } يعني من يكون مفتخراً بنفسه، وهو الذي يرى عظمة لنفسه في عينه.

قوله تعالى : { وَاقْصِدْ فِى مَشْيِكَ } القصد بين الإفراط والتفريط. والمعنى: واعدل في المشي بعد الاجتناب عن المرح فيه، أي : توسط بين الدبيب والإسراع، فلا تمش كمشي الزهاد المظهرين الضعف في المشي من كثرة العبادات والرياضات فكأنهم أموات، وهم المراؤون الذين ضل سعيهم. ولا كمشي الشطار ووثوبهم، وعليك بالسكينة والوقار.

قوله تعالى : { وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ } أي : اخفض من صوتك فلا ترفعه عالياً فإنه قبيح لا يجمل بالعاقل { إِنَّ أَنكَرَ الأصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ } أي : إن أوحش الأصوات صوت الحمير. فمن رفع صوته كان مماثلاً لهم، وأتى بالمنكر القبيح.

قال وهب : تكلم لقمان بإثني عشر ألف باب من الحكمـــة أدخلــها النـــاس في كلامهـــم وقضاياهم، ومن حكمته قيل : إنه كان عبداً حبشياً فدفع إليه مولاه شاة، وقال له : اذبحها وائتني بأطيب مضغتين منها ، فآتاه باللسان والقلب. ثم دفع إليه أخرى، وقال له : اذبحها وائتني بأخبث مضغتين منها، فآتاه باللسان والقلب. فسأله مولاه؟!. فقال : ليس شيء أطيب منهما إذا طابا ولا أخبث منهما إذا خبثا.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

التمسك بالعروة الوثقى

بسم الله الرحمن الرحيم

{وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ} [لقمان : ٢٢].

قوله تعالى : { وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ } أي : ومن يقبل على طاعة الله ويَنْقَدْ لأوامره، ويخلصْ قصده وعباده لله. { وَهُوَ مُحْسِنٌ } لأن العبادة من غير إحسان ولا معرفة القلب لا تنفع. وفي الحديث قال : فأخبرني عن الإحسان قال : « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » رواه مسلم. وقد قرأ علي بن أبي طالب والسلمي وعبد الله بن مسلم بن يسار رضي الله عنهما : { وَمَن يُسَلِّمْ } والمعنى: من يبذل ذاته في طاعة ربه والحال أنه موحد فقد استمسك... الخ، وهذا هو حقيقة الشكر. فالإقبال على الله ظاهراً وباطناً موجب للأمن من عذاب الله، ومن زوال تلك النعمة. وهذه الآية معنى قوله تعالى : { الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ } [الأنعام : ٨٢].

قوله تعالى : { فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى } أوثق العرى جانب الله لأن كل ما عداه هالك منقطع، وهو باق لا انقطاع له، ثم قال تعالى : { وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الأمُورِ } يعني : استمسك بعروة توصله إلى الله، وكل شيء عاقبته إليه.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

جمـــلـــةٌ من مكـــارم الأخـــلاق

بسم الله الرحمن الرحيم

{ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَـــاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَـــاتِ وَالْقَـــانِتِينَ وَالْقَـــانِتَاتِ وَالصَّـــادِقِينَ وَالصَّـــادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِـــعَاتِ وَالْمُتَصَـــدِّقِينَ وَالْمُتَصَـــدِّقَاتِ والصَّائِمِينَ والصَّـــائِمَاتِ وَالْحَـــافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَـــافِظَـــــاتِ وَالـــذَّاكِرِينَ اللَّـــهَ كَـــثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً }. [الأحزاب : ٣٥].

قوله تعالى : { إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَـــاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَـــاتِ } روى الترمذي عن أم عمارة الأنصارية رضي الله عنها أنها أتت النبي صلى الله عليه وسلّم فقالت : ما أرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى النساء يذكرن بشيء! فنزلت هذه الآية : { إِنَّ الْمُسْـــلِمِينَ وَالْمُسْلِمَـــــاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَـــاتِ } بدأ تعالى في هذه الآية بذكر الإسلام الذي يعـــم الإيمـــان وعمـــل الجوارح، ثم ذكر الإيمان تخصيصاً له وتنبيهاً على أنه عُظم الإسلام ودعامته، فهو أخص منه لقوله تعالى : { قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَـــكِن قُولُواْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيْمَـــــانُ فِـــى قُلُوبِكُمْ } [الحجرات : ١٤].

قوله تعالى : { وَالْقَـــانِتِينَ وَالْقَـــانِتَاتِ } القنوت هو الطاعة في سكون { أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ الَّيْلِ سَاجِداً وَقَآئِماً يَحْذَرُ الْأخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِ } [الزمر : ٩]. { وَقُومُواْ لِلَّـــهِ قَـــــانِتِينَ } [البقرة :٢٣٨]. فالإسلام بعده مرتبة يرتقي إليها وهو الإيمان، ثم القنوت ناشيء عنهما.

قوله تعالى : { وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ } هذا في الأقوال. فإن الصدق خصلة محمودة، وهو علامة على الإيمان، كما أن الكذب أمارة على النفاق، ومن صدق نجا « عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً ». متفقٌ عليه.

قوله تعالى : { وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ } هذه سجية الأثبات، وهي الصبر على المصائب، والعلم بأن المقدر كائن لا محالة، وتلقي ذلك بالصبر والثبات، وإنما الصبر عند الصدمة الأولى ، أي : أصعبه في أول وهلة، ثم ما بعده أسهل منه، وهو صدق السجية وثباتها.

قوله تعالى : { وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ } الخشوع هو السكون والطمأنينة، والتؤدة والوقار والتواضع، والحامل عليه الخوف من الله تعالى ومراقبته، كما في الحديث : « اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ». رواه مسلم.

قوله تعالى : { وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ } الصدقة هي الإحسان إلى الناس المحاويج الضعفاء الذين لا كسب لهم، ولا كاسب يعطون من فضول الأموال طاعة لله وإحساناً إلى خلقه. وقد ثبت في الصحيحين : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله - فذكر منهم - ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ».

قوله تعالى : { والصَّائِمِينَ والصَّـــائِمَاتِ } والصوم زكاة البدن، أي : يزكيه ويطهره وينقيه من الأخلاط الرديئة طبعاً وشرعاً، كما قال سعيد بن جبير : من صام رمضان وثلاثة أيام من كل شهر دخل في قوله تعالى : { والصَّائِمِينَ والصَّـــائِمَاتِ } ولما كان الصوم من أكبر العون علـــى كسر الشهوة، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجـــاء » ناسب أن يذكر بعده { وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ } أي : عن المحارم والمآثم إلا عن المباح.

قوله تعالى : { وَالذَّاكِـــرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ } أي : بقلوبهم وألسنتهم في كل حالة ومن علامات الإكثار من الذكر اللهج به عند الاستيقاظ من النوم، وقال مجاهد : لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله تعالى قائماً وقاعداً ومضطجعاً. روي أن النبي صلى الله عليـــه وسلّم قال : « سبق المفردون، قالوا : وما المفردون قال : الذاكرون الله تعالى كثيراً والذاكرات » رواه أحمد. قال عطاء بن أبي رباح : من فوض أمره إلى الله عز وجل فهو داخل في قوله تعـــالى : { وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَـــاتِ } ومن أطاع الله تعالى في الفرض والرسول في السنة فهو داخـــل في قوله تعالى: { وَالْقَـــانِتِينَ وَالْقَـــانِتَاتِ } ومن صان قوله عن الكذب فهو داخل في قوله تعالى : { وَالصَّادِقِينَ وَالصَّـــادِقَاتِ } ومن صبر على الطاعات وعن المعصية وعلى الرزية فهو داخل في قوله تعالى : { وَالصَّابِرِينَ وَالصَّـــابِرَاتِ } ومن صلى ولم يعرف من عن يمينه وعن يساره فهـــو داخل في قوله تعالى : { وَالْخَـــاشِعِينَ وَالْخَـــاشِعَاتِ } ومن تصدق في كل أسبوع بدرهم فهـــو داخل في قوله تعالى : { وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ } ومن صام في كل شهر أيام البيض الثالـــث عشر والرابع عشر والخامس عشر فهو داخل في قوله تعالى : { والصَّائِمِينَ والصَّـــائِمَاتِ } ومن

حفظ فرجه عن الحرام فهو داخل في قوله تعالى : { وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ } ومن صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل في قوله تعالى : { وَالذَّاكِــرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ }.

قوله تعالى : { أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً } أي : لما اقترفوه من الصغائر لأنها مكفَّــرات بفعــل الطاعات، والآية عامة وفضل الله واسع. ولما ذكر تعالى الفضل بالتجاوز أتبعه الفضل بـــالكرم والرحمة بقوله تعالى : { وَأَجْراً عَظِيماً } أي : على طاعتهم.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

حـــجـــاب الـــمـــرأة الـــمسلمـــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

{ يأَيُّهَا النَّبِىُّ قُل لاَِزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً } [الأحزاب : ٥٩].

قوله تعالى : { يأَيُّهَا النَّبِىُّ قُل لاَِزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ } يقول تعالى آمراً رسوله صلى الله عليه وسلّم أن يأمر النساء المؤمنات - خاصة أزواجه وبناتـــه لشرفهن - بأن يدنين عليهن من جلابيبهن ليتميزن عن سمات نساء الجاهلية وسمات الإماء. عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : لما نزلت هذه الآية { يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ } خـــرج نســـاء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة وعليهن أكسية سود يلبسنها. رواه ابن أبي حاتم.

ولما كانت عادة العربيات التبذل، وكن يكشفن وجوههن كما يفعل الإماء، وكان ذلك داعية إلى نظر الرجال إليهن، وتشعب الفكرة فيهن، أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلّم أن يـــأمرهن بإرخاء الجلابيب عليهن إذا أردن الخروج إلى حوائجهن. قوله تعالى: { مِن جَلابِيبِهِنَّ } الجلابيب جمع جلباب، وهو ثوب أكبر من الخمار، والصحيح أنه الثوب الذي يستر جميع البـــــدن. وفي صحيح مسلم عن أم عطية رضي الله عنها قلت : يا رسول الله! إحدانا لا يكون لها جلبـــاب؟. قال: « لتلبسها أختها من جلبابها ». وهذا تنبيه لهن على حفظ الحرمة وإثبات الرتبة، وصيانة لهن، وأمر لهن بالتصاون والتعفف.

قوله تعالى : { ذلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ } أي : ذلك التستر أقرب بأن يعرفن بالعفة والتستر والصيانة، فلا يطمع فيهن أهل السوء والفساد. { وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً } أي : إنه تعالى غفور لما سلف منهن من تفريط، رحيم بالعباد حيث راعى مصالحهم وشؤونهم في تلك الجزئيات.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

معــاداة الشــيطــان وحــزبــه

بسم الله الرحمن الرحيم

{ يأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ باللَّـهِ الْغَـرُورُ (٥) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَـهُ لِيَكُونُـواْ مِـنْ أَصْـحَابِ السَّـعِيرِ }.

[فاطر : ٥ - ٦].

قوله تعالى : { يأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا } بأن يذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعي لها، وتقطعكم زينتها وشهواتها عن الرياضـات والمجاهـدات وتـرك الأوطان ومفارقة الإخوان في طريق الطلب، والمراد نهيهم عن الاغترار بها. وفي بعـض الآثـار : « يا ابن آدم لا يغرنك طول المهلة، فإنما يعجل بالأخذ من يخاف الفوت ».

قوله تعالى : { وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ } وسمي به الشيطان لأنـه لا نهايـة لغـروره. وفي المفردات : الغرور كل ما يغر الإنسان من مال وجاه وشهوة وشيطان، وقد فسر بالشيطان إذ هو أخبث الغارين. والمعنى ولا يغرنكم بالله الشيطان المبالغ في الغرور بأن يمنيكم المغفرة مع الإصرار على المعاصي، قائلاً : اعملوا ما شئتم إن الله غفور، يغفر الذنوب جميعاً، وإنه غني عن عبـادتكم وتعذيبكم، فإن ذلك وإن أمكن لكن تناول الذنوب بهذا التوقع من قبيل تناول السم اعتماداً على دفع الطبيعة، فالله تعالى وإن كان أكرم الأكرمين مع أهل الكرم لكنه شديد العقاب مـع أهـل العذاب.

قوله تعالى : { إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً } أي : فعادوه ولا تطيعوه. ويـــدلكم على عداوته إخراجه أباكم من الجنة، وضمانه إضلالكم في قوله تعالى : { وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ } [النساء: ١١٩]. وقوله : { لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْـــدِيهِمْ } [الأعراف : ١٧]. فأخبرنا عز وجل أن الشيطان لنا عدو مبين، واقتص علينا قصته، وما فعل بأبينا آدم عليه السلام، وكيف انتدب لعداوتنا وغرورنا من قبل وجودنا وبعده، ونحن على ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريده منا مما فيه هلاكنا.

وكان الفضيل بن عياض يقول : يا كذاب يا مُفْتَرٍ، اتق الله ولا تَسُبَّ الشيطان في العلانيـــة وأنت صديقه في السر.

وقال ابن السماك : يا عجباً لمن عصى المحسن بعد معرفته بإحسانه! وأطاع اللعين بعد معرفته بعداوته!.

ولا تكفي العداوة باللسان فقط، بل يجب أن تكون بالقلب والجوارح جميعاً، ولا يقوى المـــرء على عداوته إلا بملازمة الذكر ودوام الاستعانة بالرب. فعداوة الشيطان بدوام مخالفته، فإن مـــن الناس من يعاديه بالقول ولكن يوافقه بالفعل، ولن تقوى على عداوته إلا بدوام الاستغاثة بالرب، وتلك الاستغاثة تكون بصدق الاستعانة. والشيطان لا يفتر في عداوتك، فلا تغفل أنت عن مولاك لحظة فيبرز لك عدوك، فإنه أبداً متمكن لك.

قوله تعالى : { إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ } إشارة إلى معنى لطيف : وهـــو أن من يكون له عدو فله في أمره طريقان. أحدهما : أن يعاديه مجازاة له على معاداته. والثاني : أن

يذهب عداوته بإرضائه، فلما قال الله تعالى : { إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً } أمـــرهم بالعداوة وأشار إلى أن الطريق ليس إلا هذا. وأما الطريق الآخر وهو الإرضاء فلا فائدة فيه لأنكم إذا راضيتموه واتبعتموه فهو لا يؤديكم إلا إلى السعير.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

خشـــيـــة الــــعلمـــــاء

بسم الله الرحمن الرحيم

{ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨) إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـــابَ اللَّـــهِ وَأَقَامُواْ الصَّلاةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ }. [فاطر : ٢٨ ــ ٣٠].

قوله تعالى : { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } قال ابن عباس رضي الله عنهما : يريد إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني. فالخشية بقدر معرفة المخشي، والعالم يعلم الله فيخافه ويرجوه. وهذا دليل على أن العالم أعلى درجة من العابد لقوله تعالى : { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ } [الحجرات : ١٣]. بين تعالى أن الكرامة بقدر التقوى، والتقوى بقدر العلم، لا بقدر العمل فمن ازداد منه علماً ازداد منه خشية وخوفاً، ومن كان علمه به أقل كانت خشيته أقـــل. قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « إني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية ». وقال صلى الله عليه وسلّم : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ». وقال مسروق : كفى بالمرء علماً أن يخشى، وكفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعمله.

عن جرير بن زيد أنه سمع تُـــبَـــيْعاً يحدث عن كعب قال : « إني لأجد نعت قوم يتعلمون لغير العمل، ويتفقهون لغير العبادة، ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة، ويلبسون جلود الضأن، قلوبهم أمر

من الصبر، فبي يغترون، وإيـــاي يخادعون، فبي حلفت لأتيحن لهم فتنة تذر الحليـــــم فيـــــهم حيـــران » أخرجه الترمذي. مرفـــوعـــاً من حـــديث أبـــي الدرداء.

قوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ } ذكر ما يوجب الخوف والرجاء، فكونه عزيزاً ذا انتقـــام يوجب الخوف التام، وكونه غفوراً لما دون ذلك يوجب الرجاء البالغ.

قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُواْ الصَّلاةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـــاهُمْ } وفي الآيتين حكمة بالغة، فقوله تعالى : { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ } إشارة إلى عمل القلب، وقولـــه : { إِنَّ الَّـــذِينَ يَتْلُونَ } إشارة إلى عمل اللسان. وقوله : { وَأَقَامُواْ الصَّلاةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ } إشـــارة إلى عمل الجوارح، ثم إن هذه الأشياء الثلاثة متعلقة بجانب تعظيم الله والشفقة على خلقه.

قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ } أي : يداومون على قراءته أو متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنواناً.

قوله تعالى : { وَأَقَامُواْ الصَّلاةَ } بآداها وشرائطها، وغاير بين المستقبل والماضي لأن أوقـــات التلاوة أعم بخلاف أوقات الصلاة، وكذا أوقات الزكاة المدلول عليها.

قوله تعالى : { وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً } أي : مسرين ومعلنين أو في سر وعلانية، والمراد ينفقون كيفما اتفق من غير قصد إليهما. وفي كون الإنفاق مما رزقوا إشـــارة إلى أهـــم لم يسرفوا ولم يبسطوا أيديهم كل البسط، ومقام التمدح مشعر بأهم تحروا الحلال الطيب.

قوله تعالى : { يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ } والتجارة طلب الثواب بالطاعة، أي : تجارة ينتفـــي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها عنده. وفيه إشارة إلى الإخلاص، أي : ينفقـــون لا ليقال : إنه كريم، ولا لشيء من الأشياء غير وجه الله، فإن غير الله بائر، والتاجر فيه تجارته بائرة.

قوله تعالى : { لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ } الذين يستغرق جميـــع أوقاتهم قيامهم بذكر الله وبحقه، وإتيانهم بأنواع العبادات وصنـــوف القـــرب فلهـــم القـــــدر الأجل من التقريب، والنصيب الأوفر من الترحيب. وأما الذين أحوالهـــم بالضـــد فمناهـــــم على العكس. أولئك هم الأولياء الأعزة، وهؤلاء هم الأعداء الأذلة. وفي التأويلات النجميـــة : غفور يغفر تقصيرهـــم في العبوديـــة. شكور يشكر سعيهـــم مع التقصيـــر بفضـــل الربوبية.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

العلمـــاء يـــرجـــون رحمـــة الله تـــعالـــــى

بسم الله الرحمن الرحيم

{ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ الَّيْلِ سَاجِداً وَقَآئِماً يَحْذَرُ الآْخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَـــلْ يَسْـــتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُو الاْلْبَابِ (٩) قُلْ ياعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّقُواْ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَـــذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْـــرَهُمْ بِغَيْـــرِ حِسَابٍ }. [الزمر : ٩ ــ ١٠].

قوله تعالى : { أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ الَّيْلِ سَاجِداً وَقَآئِماً } أي : أم من هـــو مطيـــع عابـــد في ساعات الليل، يتعبد ربه في صلاته؛ ساجداً وقائماً كمن أشرك بالله وجعل له أنداداً ؟.

والقانت هو القائم بما يجب عليه من الطاعة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما : القنوت طاعة الله ، لقوله : { كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ } [البقرة : ١١٦]. أي : مطيعون.

وعن قتادة رضي الله عنه : { ءَانَآءَ الَّيْلِ } ساعات الليل أوله ووسطه وآخـــره. وفي هـــذه اللفظة تنبيه على فضل قيام الليل، وأنها أرجح من قيام النهار، ويؤكده وجوه:

الأول : أن عبادة الليل أستر عن العيون فتكون أبعد عن الرياء.

الثاني : أن الظلمة تمنع من الإبصار، ونوم الخلق يمنع من السماع، فإذا صار القلب فارغاً عن الاشتغال بالأحوال الخارجية عاد إلى المطلوب الأصلي، وهو معرفة الله وخدمته.

الثالث : أن الليل وقت النوم، فتركه يكون أشق فيكون الثواب أكثر.

واعلم أن هذه الآية دالة على أسرار عجيبة:

فأولها أنه بدأ فيها بذكر العمل، وختم فيها بذكر العلم، أما العمل فكونه قانتاً ساجداً قائماً، وأما العلم فقوله : { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ }. وهذا يدل على أن كمال الإنسان صور في هذين المقصودين، فالعمل هو البداية والعلم والمكاشفة هو النهاية.

ثم في الآية تحريض على صلاة الليل وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : من أحب أن يهون الله عليه الموقف يوم القيامة فليره الله في سواد الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه. قال ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه : كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم فآتيه بوَضوئه وحاجته، فقال لي « سلني ». فقلت : أسألك مرافقتك في الجنة. قال : « أوَ غير ذلك؟. » فقلت : هو ذلك. قال : « فأعني على نفسك بكثرة السجود ». أي : بكثرة الصلاة. رواه مسلم.

قوله تعالى : { يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِ } أي : يخاف الآخرة، ويرجو المغفرة. وفيه فائدة، وهي أنه قال في مقام الخوف : يحذر الآخرة. فلم يضف الحذر إليه تعالى، وقال في مقام الرجاء : ويرجو رحمة ربه. وهذا يدل على أن جانب الرجاء أكمل وأولى أن ينسب إلى الله تعالى. ويعضد هذا ما روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلّم دخل على شاب وهو في الموت، فقال له : « كيف تجدك؟. » قال : أرجو الله يا رسول الله، وأخاف ذنوبي.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله تعالى ما يرجو منه، وآمنه مما يخاف » أخرجه الترمذي.

قوله تعالى : { قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ } وأراد بالذين يعلمون العاملين من علماء الديانة، كأنه جعل من لا يعمل غير عالم. وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقنتون، ويفتنون فيها ثم يفتنون بالدنيا، فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء.

قوله تعالى : { إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُو الأَلْبَابِ } أي : إنما يتعظ بهذه البيانات الواضحة أصحاب العقول الخالصة من شوائب الخلل والوهم، وهؤلاء بمعزل عن ذلك.

قوله تعالى : { قُلْ ياعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّقُواْ رَبَّكُمْ } والمراد أن الله تعالى أمر المؤمنين بأن يضموا إلى الإيمان التقوى، وهذا من أول الدلائل على أن الإيمان يبقى مع المعصية. قال القاضي : أمرهم بالتقوى لكي لا يحبطوا إيمانهم، لأن عند الاتقاء من الكبائر يسلم لهم الثواب، وبالإقدام عليها يحبط.

قوله تعالى : { لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَـذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ } معناه : الذين أحسنوا في هذه الدنيا فلهم حسنة في الآخرة، وهي دخول الجنة.

قوله تعالى : { وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ } أي : لا عذر للمفرطين في الإحسان البتة، حتى إن اعتلوا بأوطانهم وبلادهم وأنهم لا يتمكنون فيها من التوفر على الإحسان وصرف الهمم إليه، قيل لهم :

فإن أرض الله واسعة وبلاده كثيرة، فلا تجتمعوا مع العجز وتحولوا إلى بلاد أخر واقتدوا بالأنبياء والصالحين في مهاجرهم إلى غير بلادهم ليزدادوا إحساناً إلى إحسانهم وطاعة إلى طاعتهم.

قوله تعالى : { إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ } الذين صبروا على دينهم فلم يتركوه للأذى، وحافظوا على حدوده، ولم يفرطوا في مراعاة حقوقه، لما اعتراهم في ذلك من فنون الآلام والبلايا التي من جملتها مهاجرة الأهل، ومفارقة الأوطان، والمعنى : يُعْطَوْنَ { أَجْرَهُمْ } بمقابلة ما كابدوا من الصبر { بِغَيْرِ حِسَابٍ } أي : بحيث لا يحصى ويحصر.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

الأمــل بـــرحمـــــة الله تـــعالــــــى

بسم الله الرحمن الرحيم

{ قُلْ ياعِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِــيبُواْ إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُــمَّ لاَ تُنصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُــواْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُــمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُــمُ الْعَذَابُ بَغْتَــةً وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ }. [الزمر : ٥٣ ــ ٥٥].

قوله تعالى : { قُلْ ياعِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، وإخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها ورجع عنها، وإن كانت مهما كانت، وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر، ولا يصح حمل هذه على غير توبــة لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه. عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، فأتوا سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلّم فقالوا : إن الذي تقــول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزل : { وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَــهَا ءَاخَــرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ } [الفرقان : ٦٨]. ونزل { قُلْ ياعِبَــادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ } . أخرجه البخاري.

واعلم أن هذه الآية تدل على الرحمة من وجوه.

الأول : أنه سمى المذنب بالعبد، والعبودية مفسرة بالحاجة والذل والمسكنة، واللائق بالرحيم الكريم إفاضة الخير والرحمة على المسكين المحتاج.

الثاني : أنه تعالى أضافهم إلى نفسه بياء الإضافة، فقال : { ياعِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُواْ } وشرف الإضافة إليه يفيد الأمن من العذاب.

الثالث : أنه تعالى قال : { أَسْرَفُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ } ومعناه أن ضرر تلك الذنوب ما عاد إليه بل هو عائد إليهم.

الرابع : أنه قال : { لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ } نهاهم عن القنوط، فيكون هذا أمراً بالرجاء، والكريم إذا أمر بالرجاء فلا يليق به إلا الكرم. فهذه الوجوه مجموعة في هذه الآية، وهي بأسرها دالة على كمال الرحمة والغفران. ونسأل الله تعالى الفوز بها والنجاة من العقاب بفضله ورحمته.

والمراد منها التنبيه على أنه لا يجوز أن يظن العاصي أنه لا مخلص له من العذاب، فإن من اعتقد ذلك فهو قانط من رحمة الله، إذ لا أحد من العصاة إلا ومتى تاب زال عقابه وصار من أهل المغفرة والرحمة، فمعنى قوله { إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً } أي : إذا تاب وصحت التوبة غفرت ذنوبه. ومن مات قبل أن يتوب فهو موكول إلى مشيئة الله تعالى، فإن شاء غفر له وعفا عنه، وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة بفضله ورحمته. فالتوبة واجبة على كل أحد، وخوف العقاب مطلوب، فلعل الله تعالى يغفر مطلقاً، ولعله يعذب ثم يعفو بعد ذلك والله أعلم.

قوله تعالى : { وَأَنِيبُواْ إِلَى رَبِّكُمْ } أتى بهذه الآية عقب التي قبلها لئلا يتكل العاصي على الغفران ويترك التوبة والرجوع إلى الله، فأفاد أن الرجوع إلى الله والإقبال عليه مطلوب، ومن

ترك ذلك فله الوعيد العظيم. والإنابة الرجوع بالكلية. وقيل : الفرق بين الإنابة وبين التوبة أن التائب يرجع من خوف العقوبة، وصاحب الإنابة يرجع استحياء لكرمه.

قوله تعالى : { وَأَسْلِمُواْ لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ } أي : أخلصوا العمل لوجهه فإن السالم بمعنى الخالص. { مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ } في الدنيا والآخرة، { ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ } لا تمنعون من عذاب الله إن لم تتوبوا قبل نزوله.

قوله تعالى : { وَاتَّبِعُواْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ } واعلم أنه تعالى لما وعد بالمغفرة أمر بعد هذا الوعد بأشياء:

الأول : أمر بالإنابة وهو قوله تعالى : { وَأَنِيبُواْ إِلَى رَبِّكُمْ }.

والثاني : أمر بمتابعة الأحسن، وفي المراد بهذا الأحسن وجوه.

الأول : أنه القرآن، ومعناه واتبعوا القرآن، والدليل عليه قوله تعالى : { اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً } [الزمر : ٢٣].

الثاني : قال الحسن : معناه والتزموا طاعة الله، واجتنبوا معصية الله، فإن الذي أُنْزِلَ على ثلاثة أوجه : ذكر القبيح ليجتنب عنه، والأَدْوَنَ لئلا يُرْغَبَ فيه، والأحسنَ لِيُتَقَوّى به ويُتَّبع.

قوله تعالى : { مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ } والمراد منه : التهديد والتخويف والمعنى أنه يفجأ العذاب وأنتم غافلون عنه.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

الاستــقامــة وثــمراتــهـــــا

بسم الله الرحمن الرحيم

{ إِنَّ الَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُواْ وَلاَ تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِالْجَنَّةِ الَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِى الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِى أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ (٣٢) وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) وَلاَ تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّاهَآ إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }. [فصلت : ٣٠ ـ ٣٦].

قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُواْ } قال أهل التحقيق : كمال الإنسان أن يعرف الحق لذاته لأجل العمل به، ورأس المعرفة اليقينية معرفة الله تعالى، وإليه الإشارة بقولـه : { إِنَّ الَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا اللَّهُ } ورأس الأعمال الصالحة أن يكون الإنسان مستقيماً في الوسط، غير مائل إلى طرفي الإفراط والتفريط، فتكون الاستقامة في أمر الدين والتوحيد وفي الأعمال الصالحة. وكان الحسن إذا تلا هذه الآية قال : اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة. وقوله : { ثُمَّ } ثم حرفٌ يقتضي التراخي، فهو لا يدل على أنهم في الحال لا يكونون مستقيمين، ولكن معناه استقاموا في

الحال، ثم استقاموا في المآل، بأن استداموا إيمانهم إلى وقت خروجهم من الدنيا، وهو آخر أحوال كونهم مكلفين.

ويقال : من كان له أصل الاستقامة أمن من الخلود في النار، ومن له كمال الاستقامة أمن من الوعيد من غير أن يلحقه سوء بحال.

ويقال : استقاموا بأقوالهم ثم بأعمالهم، ثم بصفاء أحوالهم في وقتهم وفي مآلهم.

ويقال : أقاموا على طاعته، واستقاموا في معرفته، وهاموا في محبته، وقاموا بشرائط خدمته.

ويقال : استقامة الزاهد ألا يرجع إلى الدنيا، وألا يمنعه الجاه بين الناس عن الله. واستقامة العارف ألا يشوب معرفته حظ في الدارين فيحجبه عن مولاه. واستقامة العابد ألا يعود إلى فترته واتباع شهوته، ولا يتداخله رياء وتصنع. واستقامة المحب ألا يكون له أرب من محبوبه، بل يكتفي من عطائه ببقائه، ومن مقتضى جوده بدوام عزه ووجوده.

قوله تعالى : { تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُواْ } تتنزل عليهم الملائكة عند الموت بالبشرى. وقيل : البشرى في ثلاثة مواطن : عند الموت، وفي القبر، وإذا قاموا من قبورهم. { أَلاَّ تَخَافُواْ } والخوف غم يلحق لتوقع المكروه. { وَلاَ تَحْزَنُواْ } لحزن عما يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضارٍ، والمعنى أن الله كتب لكم الأمن من كل غم فلن تذوقوه أبداً.

قوله تعالى : { وَأَبْشِرُواْ بِالْجَنَّةِ الَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ } أي : وهي دار الكرامة التي فيها من النعيم الدائم والسرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

قوله تعالى : { نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِى الأْخِرَةِ } من بشاراتهم في الـــدنيا، أي : أعوانكم في أموركم نلهمكم الحق، ونرشدكم إلى ما فيه خيركم وصلاحكم. { وَفِى الأْخِــرَةِ } نمدكم بالشفاعة، ونتلقاكم بالكرامة حين يقع بين الكفرة وقرنائهم ما يقع من التعادي والتخاصم.

قوله تعالى : { وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِى أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِــيمٍ } أي : ضيافة وكرامة من رب واسع المغفرة، عظيم الرحمة لعباده المتقين.

قوله تعالى : { نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ } وفي ذلك مساغ لآمال المذنبين، لأنهــم هــم الــذين يحتاجون إلى المغفرة، ولولا رحمته لما وصلوا إلى مغفرته.

قوله تعالى : { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى اللَّهِ } قيل : نزلت هذه الآيــة في رســول الله صلى الله عليه وسلّم لأنه هو الذي جمع تلك الأوصاف، لأن الداعين إلى الله تعالى أقسام.

فمنهم الداعون إلى الله بالتوحيد قولاً كالأشعري والماتريدي ومن تبعهم إلى يوم القيامة، وفعلاً كالمجاهدين.

ومنهم الداعون إلى الله بالأحكام الشرعية كالأئمة الأربعة ومن على قدمهم.

ومنهم الداعون إلى الله تعالى بزوال الحجب الكائنة على القلوب لمشاهدة علام الغيوب، بحيث يكون دائماً في حضرة الله ليس في قلبه سواه، كالجنيد وأضرابه من الصوفية أهل الحقيقة.

ومنهم من يدعو إلى الله تعالى بالإعلام بأداء الفرائض مثل المؤذنين.

وهذه الأقسام مجموعة في النبي صلى الله عليه وسلّم متفرقة في أصحابه، ثم انتقلت منـــهم إلى من بعدهم وهكذا إلى يوم القيامة، لقوله في الحديث الشريف : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك ».

قوله تعالى : { وَعَمِلَ صَالِحاً } أي : امتثل أمر ربه واجتنب نواهيه. وحيث كان داعياً إلى الله مع اتصافه بالعمل الصالح كان قوله مقبولاً ويؤثر في القلوب. وأما من كان بخلاف ذلــك فــلا يكون قوله مقبولاً ولا يؤثر في القلوب ولا ينبغي صحبته. قال العارف بـــالله ابـــن عطـــاء الله السكندري رحمه الله تعالى : لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله. فمن لم يؤثر كلامه في نفسه فلا يؤثر في غيره بالأولى.

وبالجملة فالدعوة إلى الله لا تنفع إلا من قلب ناصح، وأعظم الداعين إلى الله تعالى الأوليـــاء المسلكون الذين يوصلون الخلق إلى طريق الحق، وهم موجودون في كل زمن، غير أهم لا يجتمع بهم ولا يعرفهم إلا من لحظه الله تعالى بفضله.

قوله تعالى : { وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } فهو أن ينضم إلى عمل القلب وعمـــل الجـــوارح الإقرار باللسان، فيكون هذا الرجل موصوفاً بخصال أربعة:

أحدها : الإقرار باللسان.

والثاني : الأعمال الصالحة بالجوارح.

والثالث : الاعتقاد الحق بالقلب.

والرابع : الاشتغال بإقامة الحجة على دين الله. ولا شك أن الموصوف بهذه الخصال الأربعة أشرف الناس وأفضلهم، وكمال الدرجة في هذه المراتب الأربعة ليس إلا لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم.

قوله تعالى : { وَلاَ تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ } والمراد بالحسنة ما هو عليه صلى الله عليه وسلّم من دعوتهم إلى الدين الحق، والصبر على جهالتهم، وترك الانتقام منهم والالتفات إلى سفاهتهم. وبالسيئة ما أظهروه من المخالفة والعناد.

قوله تعالى : { ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ } يعني : ادفع سفاهتهم وجهالتهم بالطريق الذي هو أحسن الطرق، فإنك إذا صبرت على سوء أخلاقهم مرة بعد أخرى، ولم تقابل سفاهتهم بالغضب، ولا إضرارهم بالإيذاء والإيحاش استحيوا من تلك الأخلاق المذمومة وتركوا تلك الأفعال القبيحة.

قوله تعالى : { فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ } يعني: إذا قابلت إساءتهم بالإحسان، وأفعالهم القبيحة بالأفعال الحسنة، تركوا أفعالهم القبيحة وانقلبوا من العداوة إلى المحبة ومن البغضة إلى المودة.

ومن جملة حسن الخلق في الصحبة مع الخلق ألا تنتقم لنفسك، وأن تعفو عن خصمك.

قوله تعالى : { وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّاهَآ إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ } لا يقوم بحق هذه الأخلاق إلا من أُكْرِمَ بتوفيق الصبر، ورقِّي عن سفساف الشِّيَمِ إلى معالي الأخلاق . ولا يصل أحسن الدرجات إلا من صبر على مقاساة الشدائد.

قوله تعالى : { وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّـــمِيعُ الْعَلِـــيمُ } إذا اتصلتْ بقلبك نَزَغَاتُ الشيطان فبادر بذكر ربك، وارجع إليه قبل أية خطوة. فإنك إن لم تخالف أول هاجس من هواجس الشيطان صار فكرة، ثم بعد ذلك يحصل العزم على مـــا يـــدعو إليـــه الشيطان. فإذا لم تتدارك ذلك تجري الزلّة، وإذا لم تتدارك ذلك بحسن الرُّجعـــى صـــار فســـقاً، وبتمادي الوقت تصبح في خطر كل آفة. ولا يتخلص العبد من نزغات الشـــيطان إلا بصـــدق الاستعانة وصدق الاستغاثة وبذلك ينجو من الشيطان، وقد قال تعالى : { إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَـــكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ } [الإسراء : ٦٥]. فكلما ازداد العبد في تبرِّيه من حوله وقوته، وأخلص بين يـــدي الله تعالى بتضرعه واستعانته واستعاذته زاد الله في حفظه، ودفع الشيطان عنه.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

الحــذر مــن مــكــر الــشيطـــــان

بسم الله الرحمن الرحيم

{ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَـنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ }. [الزخرف : ٣٦ ـ ٣٧].

قوله تعالى : { وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَـنِ } والمراد منه التنبيه على آفات الدنيا، وذلك أن من فاز بالمال والجاه صار كالأعشى عن ذكر الله، ومن صار كذلك صار من جلساء الشياطين الضالين المضلين. والمعنى ومن يتعام ويعرض عن القرآن أو عن أن يذكر الرحمن لفرط اشتغاله بزهرة الحياة الدنيا وانهماكه في الحظوظ والشهوات الفانية { نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً } نسلطه عليه ونضمه إليه ليستولي عليه استيلاء القيض على البيض، وهو القشر الأعلى اليابس { فَهُوَ } أي : ذلك الشيطان { لَهُ } أي : لذلك العاشي والمعرض { قَرِينٌ } ومصاحب لا يفارقه، ولا يزال يوسوسه ويغويه ويزين له العمى على الهدى، والقبيح بدل الحسن. وينبغي أن يكون هذا الشيطان غير قرينه الجني الكافر، وإلا فكل أحد له شيطان هو قرينه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة » قالوا: وإياك يا رسول الله؟. قال : « وإياي ولكن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير ». رواه مسلم.

وفيه إشارة إلى أن من داوم على ذكر الرحمن لم يقربه الشيطان بحال. قال بعضهم : من نسي الله وترك مراقبته ولم يستحِ منه، أو أقبل على شيء من حظوظ نفسه قيض الله له شيطاناً يوسوس له في جميع أنفاسه، ويغري نفسه إلى طلب هواها حتى يتسلط على عقله وعلمه وبيانه.

ومن لم يعرف قدر الخلوة مع الله فحاد عن ذكره، وأخلد إلى الخواطر الردية قيض الله له من يشغله عن الله، وهذا جزاء من ترك الأدب في الخلوة. وإذا اشتغل العبد في خلوته بربـــه؛ فلـــو تعرض له من يشغله عن ربه صرفه الحق عنه بأي وجه كان، وصرف دواعيه عن مفاتحته بما يشغله عن الله.

قوله تعالى : { وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ } يعـــني: الشـــياطين يصدون الكفار عن السبيل، والكفار يحسبون أنهم مهتدون.

روي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار فأكثروا منهما، فإن إبليس قال : أهلكت الناس بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار، فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء وهم يحسبون إنهم مهتدون ».

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

صـــحبـــة الـــمتقيـــــــن

بسم الله الرحمن الرحيم

{ الْأَخِلاَءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ (٦٧) ياعِبَادِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) الَّذِينَ ءَامَنُواْ بِــآيَاتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ أَنــتُمْ وَأَزْوَاجُكُــمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِى أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ }. [الزخرف : ٦٧ ــ ٧٣].

قوله تعالى : { الْأَخِلاَءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ } فما كان لغير الله فمآلــه إلى الضياع، والأخلاء الذين اصطحبوا على مقتضى الهوى بعضهم لبعض عدو، يتبرأ بعضهم مـــن بعض، فلا ينفع أحد أحداً. وأما الأخلاء في الله فيشفع بعضهم في بعض، ويتكلم بعضهم في شأن بعض، أولئك هم المتقون الذين استثناهم الله بقوله : { إِلاَّ الْمُتَّقِينَ } وشـــرط الخلـــة في الله، ألا يستعمل بعضهم بعضاً في الأمور الدنيوية، ولا يرتفق بعضهم ببعض، حتى تكون الصحبة خالصة لله لا لنصيب في الدنيا. ويكون قَبول بعضهم بعضاَ لأجل الله، ولا تجري بينهم مداهنة، وبقدر ما يرى أحدهم في صاحبه من قبول لطريق الله يقبله، فإن علم منه شيئاً لا يرضاه الله لا يرضى ذلك من صاحبه، فإذا عاد إلى تركه عاد هذا إلى مودته، وإلا فلا ينبغي أن يساعده على معصيته، كما ينبغي أن يتقيه بقلبه، وألا يسكن إليه لغرض دنيوي أو لطمع أو لعوض.

قوله تعالى : { ياعِبَادِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) الَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـــَآيَاتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ } في الآية تشريف عظيم لهم من وجوه.

الأول : أنه سبحانه وتعالى خاطبهم بنفسه من غير واسطة.

والثاني : أنه تعالى وصفهم بعبوديته والتذلل لوجهه الكريم والانقطاع عما سواه وهو تشريف عظيم يدل عليه قوله تعالى : { سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ } [الإسراء : ١]. أضافه صلى الله عليه وسلّم إلى نفسه بالعبودية له في حكاية تشريفه إياه ليلة المعراج.

والثالث : أنه تعالى نفى عنهم جنس الخوف والحزن حين يفزع الخلائق روي أن الناس حين يبعثون يفزع كل واحد منهم فينادي مناد : { ياعِبَادِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ } فيرجوها الناس كلهم رافعين رؤسهم منتظرين رَوْحاً وكرامة من ربهم الكريم فيتبعها قوله تعالى : { الَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـــَآيَاتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ } ينكس أهل الأديان الباطلة رؤسهم، فييأس الناس منها غير المسلمين فيقال لهم : ادخلوا الجنة.

قوله تعالى : { ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ } أي : يقال لهم : ادخلوا الجنة أنتم ونساؤكم المؤمنات، تنعمون فيها وتسرون سروراً يظهر أثره على وجوهكم.

ولما ذكر الجنة وأنها موضع الحبور ذكر ما فيها من النعم فذكر أولاً المطاعم بقوله : { يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ } فيها الأطعمة ثم ذكر المشارب بقوله : { وَأَكْوَابٍ } فيها الأشربة. ثم إنه تعالى لما فصل ما في الجنة بعض التفصيل ذكر بياناً كلياً فقال : { وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ } ثم ذكر تمام النعمة فقال : { وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }.

العبَّاد لهم فيها ما تشتهي أنفسهم لأنهم قاسوا في الدنيا - بحكم المجاهدات - الجوعَ والعطشَ، وتحملوا وجوه المشاق، فيجازون في الجنة بوجوه من الثواب. وأما أهل المعرفة والمحبون فلهم ما يلذ أعينهم من النظر إلى الله لطول ما قاسَوْه من فرط الاشتياق بقلوبهم، وما عالجوه من الاحتراق لشدة غليلهم.

قوله تعالى : { وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِى أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ } أي : أعمالكم الصالحة كانت سبباً لشمول رحمة الله إياكم، فإنه لا يدخل أحدَكم عملُه الجنةَ، ولكن برحمة الله وفضله.

وإنما الدرجات ينال تفاوتها بحسب الأعمال الصالحات. عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « كل أهل النار يرى مترله من الجنة، فيكون له حسرة فيقول : { لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِى لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ } [الزمر : ٥٧]. وكل أهل الجنة يرى مترله من النار فيقول : { وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلآ أَنْ هَدَانَا اللَّهُ } [الأعراف : ٤٣]. فيكون له شكراً » رواه ابن أبي حاتم.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

جـــزاء الأعـــمـــــــال

بسم الله الرحمن الرحيم

{ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) هَـــذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩) فَأَمَّا الَّذِينَ ءامَنُـــواْ وَعَمِلُـــواْ الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (٣٠) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ } [الجاثية : ٢٨ ــ ٣١].

قوله تعالى : { وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً } أي : على ركبها من الشدة والعَظَمَة، ويقال : إن هذا إذا جيء بجهنم فإنها تزفر زفرة، لا يبقى أحد إلا جثا لركبته.وقيل: عام للمؤمن والكافر انتظـــاراً للحساب، ويؤيده ما ورد : إن القيامة لساعةً هي عشر سنين، ر الناس فيها جثاة على ركبهم. وذلك لأن الحضرة في ذلك اليوم حضرة جلال. فالجميع يعطونه حقه من الخوف والهيبـــة إلى أن يحصل التمييز.

قوله تعالى : { كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا } كرر : كل أمة، لأنه موضع الإغلاظ والوعيد. { تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا } يعني كتاب أعمالها كقوله جل جلالــه : { وَوُضِــعَ الْكِتَــابُ وَجِـــيءَ بِالنَّبِيِّيْنَ وَالشُّهَدَآءِ } [الزمر : ٦٩]. ولهذا قال سبحانه وتعالى : { الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } أي : تجازون بأعمالكم خيرها وشرها.

قوله تعالى : { هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ } أي : يستحضر جميع أعمالكم من غير زيادة ولا نقص.

قوله تعالى : { إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } أي : نأمر بنسخ ما كنتم تعملون. قال ابن عباس رضي الله عنهما : إن الله وكل ملائكة مطهرين، فينسخون من أم الكتاب في رمضان كل ما يكون من أعمال بني آدم، فيعارضون حفظة الله على العباد كل خميس، فيجدون ما جاء به الحفظة من أعمال العباد موافقاً لما في كتابهم الذي استنسخوا من ذلك الكتاب لا زيادة فيه ولا نقصان.

قوله تعالى : { فَأَمَّا الَّذِينَ ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ } أي : آمنت قلوبهم وعملت جوارحهم الأعمال الصالحة وهي الخالصة الموافقة للشرع.

قوله تعالى : { فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِ } أي : مع السابقين فلا ينافي أن المؤمن وإن لم يعمل الصالحات يدخل الجنة لكن لا مع السابقين بل إما بعد الحساب أو بعد الشفاعة.

قوله تعالى : { ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } أي : بلوغ الآمال والظفر بالمقصود. { الْمُبِينُ } الخالص من الشوائب.

قوله تعالى : { وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَاتِى تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ } أي : وأما الكافرون فيقال لهم توبيخاً وتقريعاً : أفلم تكن الرسل تتلو عليكم آيات الله. فتكبرتم عن الإيمان بها، وأعرضتم عن سماعها، وكنتم قوماً مغرقين في الإجرام.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

الإحســـان إلـــى الـــوالـــديـــن

بسم الله الرحمن الرحيم

{ إِنَّ الَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَـامُواْ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣) أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (١٤) وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْـهِ إِحْسَـاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـالِحاً تَرْضَـاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥) أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّـلُ عَـنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَـابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ }

[الأحقاف : ١٣ ــ ١٦].

قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُواْ } أي : جمعوا بين التوحيد الـذي هـو خلاصة العلم، والاستقامة في أمور الدين التي هي منتهى العمل، { ثُمَّ } للدلالة على تراخي رتبة العمل وتوقف الاهتداء به على التوحيد.

وفي التأويلات النجمية : يشير إلى أنهم قالوا ربنا الله من بعد استقامـة الإيمـان في قلوبهـم، ثم استقاموا بجوارحهم على أركـان الشريعـة، وبأخـلاق نفوسهـم علـى آداب الطريقـة بالتزكية، وبأوصاف القلوب على التصفية، وبتوجه الأرواح على التحلية بالتخلق بأخلاق الحق.

قوله تعالى :{ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ } واعلم أن هذه الآيات دالة على أن من آمن وعمل صالحاً، فإنهم بعد الحشر لا ينالهم خوف ولا حزن. ولهذا قال أهل التحقيق : خوف العقاب زائل عنهم، أما خوف الجلال والهيبة فلا يزول البتة عن العبد، ألا ترى أن الملائكة مع علو درجاتهم وكمال عصمتهم لا يزول الخوف عنهم فقال تعالى : { يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّن فَوْقِهِمْ } [النحل : ٥٠].

قوله تعالى : { أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } أي : أولئك المؤمنون المستقيمون في دينهم، هم أهل الجنة ماكثين فيها أبداً.

قوله تعالى : { وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَلِدَيْهِ إِحْسَاناً } لما ذكر تعالى في الآية الأولى التوحيد له وإخلاص العبادة والاستقامة إليه، عطف بالوصية بالوالدين كما هو مقرون في غير ما آية من القرآن؛ كقوله عز وجل : { وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً } [الإسراء : ٢٣]. وقال عز وجل ههنا : { وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَلِدَيْهِ إِحْسَاناً } أي : أمرناه بالإحسان إليهما والحنو عليهما { حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً } أي : قاست بسببه في حمله مشقة وتعباً من وحام وغثيان وثقل وكرب، إلى غير ذلك مما تنال الحوامل من التعب والمشقة. { وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً } أي : بمشقة أيضاً من الطلق وشدته { وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهْراً }.

فأمر الإنسان برعاية حق والديه على جهة الاحترام، لما لهما عليه من حق التربية والإنعام، وإذا لم يحسن الإنسان حرمة من هو من جنسه فهو عن حسن مراعاة سيده أبعد. ولو لم يكن في هذا الباب إلا قوله صلى الله عليه وسلّم : « رضا الرب من رضا الوالدين، وسخطه في سخطهما ». لكان ذلك كافياً. ورعاية حق الوالد من حيث الاحترام،

ورعايـــة حق الأم من حيث الشفقـــة والإكرام. ووعد الله على بر الوالدين قبول الطاعة بقوله جلّ ذكره : { أُوْلَـــئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِى أَصْـــحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ } فقبول الطاعة وغفران الزَّلَّة مشروطان ببر الوالدين.

وسبيل العبد في رعاية حق الوالدين أن يصلح ما بينه وبين الله، فحينئذ يصلح ما بينه وبـــين غيره على العموم، وأهله على الخصوص. وشر خصال الولد في رعاية حق والديه أن يتبرم بطول حياهما، ويتأذى بما يحفظ من حقهما. وعن قريب يموت الأصل ويبقى النسل، ولا بد من أن يتبع النسل الأصل.

قوله تعالى : { حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ } يدل على أن الإنسان كالمحتاج إلى مراعـــاة الوالدين له إلى قريب من هذه المدة، فلا بد له من رعاية الأبوين على رعاية المصالح ودفع الآفات، وفيه تنبيه على أن نعم الوالدين على الولد بعد دخوله في الوجود تمتد إلى هذه المـــدة الطويلـــة، وكأنه يخرج عن وسع الإنسان مكافأهما إلا بالدعاء والذكر الجميل.

قوله تعالى : { قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِى } قال ابن عباس رضي الله عنهما : معناه ألهمني.

واعلم أنه تعالى حكى عن هذا الداعي أنه طلب من الله تعالى ثلاثة أشياء.

أحدها : أن يوفقه الله للشكر على نعمه.

والثاني : أن يوفقه للإتيان بالطاعة المرضية عند الله.

والثالث : أن يصلح له في ذريته.

فلرعاية هذا الترتيب قدم الشكر على العمل، لأن الشكر من أعمال القلوب، والعمل من أعمال الجوارح، وعمل القلب أشرف من عمل الجارحة فقال : { أَوْزِعْنِى أَنْ أَشكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِى أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَى وَالِدَىَّ }.

وأما المطلوب الثاني من المطالب المذكورة في هذا الدعاء، فهو قوله : { وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ } طلب من الله أن يوفقه لأن يأتي بعمل صالح يكون صالحاً عند الله ويكون مرضياً عند الله.

والمطلوب الثالث من المطالب المذكورة في هذه الآية قوله تعالى : { وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِى } لأن ذلك من أجلِّ نعم الله على الوالد. واعلم أنه تعالى لما حكى عن ذلك الداعي، أنه طلب هذه الأشياء الثلاثة، قال بعد ذلك : { إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ الْمُسْلِمِينَ } والمراد : أن الدعاء لا يصح إلا مع التوبة، وإلا مع كونه من المسلمين فتبين أني إنما أقدمت على هذا الدعاء بعد أن تبت إليك من الكفر ومن كل قبيح، وبعد أن دخلت في الإسلام والانقياد لأمر الله تعالى ولقضائه.

قوله تعالى : { أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ }. ثم قال تعالى : { وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيْئَاتِهِمْ } والمعنى : أنه تعالى يتقبل طاعاتهم ويتجاوز عن سيئاتهم. ثم قال : {فِى أَصْحَابِ الْجَنَّة} معدودين منهم، وقوله : { وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ } وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز. والمقصود بيان أنه تعالى يعامل مَنْ صِفَتُهُ ما قدمناه بهذا الجزاء، وذلك وعد من الله تعالى فَبَيَّنَ أنه صدق ولا شك فيه.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

مـــن أخـــلاق الـــمتقيـــــن

بسم الله الرحمن الرحيم

{ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـــاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَـــهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْـــلَ ذَلِـــكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُواْ قَلِيلاً مِّن الَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِـــى أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَالْمَحْرُومِ } [الذاريات : ١٥ ـــ ١٩].

قوله تعالى : { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـــاتٍ وَعُيُونٍ } إن المتقي في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الآخرة. وله ثلاث مراتب.

الأولى : التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الشرك.

والثانية : التجنب عن كل ما يؤثم.

والثالثة : أن يتره عما يشغل سره عن الحق ويتبتل إليه، وما من متق إلا ويدخل الجنة ويتنعم بنعيمها.

قوله تعالى : { ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِـــنِينَ } أي : لأعمـــالهم الصالحة، آتين بها على ما ينبغي، فلذلك استحقوا ما استحقوا من الفوز العظيم.

قوله تعالى : { كَانُواْ قَلِيلاً مِّن الَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ } كابدوا قيام الليل، فلا ينامون من الليل إلا أقله، نشطوا فمدوا إلى السحر حتى كان الاستغفار بسحر.

وقال الحسن البصري رحمه الله : كان الأحنف بن قيس يقول : عرضت عملي على عمل أهل الجنة، فإذا قوم قد باينونا بوناً بعيداً، إذا قوم لا نبلغ أعمالهم، كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون. وعرضت عملي على عمل أهل النار، فإذا قوم لا خير فيهم مكذبون بكتـــاب الله وبرســـل الله، مكذبون بالبعث بعد الموت، فقد وجدت من خيرنا مترلة قوماً خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : قال رجل من بني تميم لأبي : يا أبا أسامة صفة لا أجدها فينا، ذكر الله تعالى قوماً فقال : { كَانُواْ قَلِيلاً مِّن الَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ } ونحن والله قليلاً من الليل ما نقوم، فقال له أبي رضي الله عنه : طوبى لمن رقد إذا نعس واتقى الله إذا استيقظ.

وقال عبد الله بن سلام : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلّم المدينة انجفل النـــاس إليـــه، فكنت فيمن انجفل، فلما رأيت وجهه صلى الله عليه وسلّمعرفت أن وجهه ليس بوجـــه رجـــل كذاب، فكان أول ما سمعته صلى الله عليه وسلّم يقول : « يا أيها الناس أطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وأفشوا السلام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام ».

قوله تعالى : { وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ } أي : هم مع قلة هجـــوعهم وكثـــرة تهجـــدهم يداومون على الاستغفار في الأسحار، كأنهم أسلفوا في ليلهم الجرائم ولم يتفرغوا فيه للعبادة.

وفي الآية إشارة إلى مزيد خشيتهم وعدم اغترارهم بعبادتهم ما لا يخفى.

وقد ثبت في الصحاح وغيرها عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، عن رسول الله صـــلى الله عليه وسلّم أنه قال : « إن الله تعالى يترل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير،

فيقول : هل من تائب فأتوب عليه؟. هل من مستغفر فأغفر له. هل من سائل فيعطى سؤله. حتى يطلع الفجر ».

قوله تعالى : { وَفِى أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَالْمَحْرُومِ } السائل الذي يسأل النـــاس لفاقتـــه، { وَالْمَحْرُومِ } الذي حرم المال.

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال : « ويل للأغنياء من الفقراء يوم القيامة، يقولون : ربنا ظلمونا حقوقنا التي فرضت لنا عليهم، فيقول الله تعالى : وعزتي وجـــلالي لأقربنكم ولأبعدهم »، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلّم { وَفِى أَمْـــوَالِهِمْ حَـــقٌّ لِّلسَّـــآئِلِ وَالْمَحْرُومِ } ذكره الثعلبي.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

مـــن صفـــات الـــمحسنيـــــــن

بسم الله الرحمن الرحيم

{ وَلِلَّهِ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ لِيَجْزِىَ الَّذِينَ أَسَاءُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيِجْزِى الَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِالْحُسْنَى (٣١) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلاَ تُزَكُّواْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى }. [النجم : ٣١ ــ ٣٢].

قوله تعالى : { وَلِلَّهِ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ } أي : له كل ما في الكون، خلقاً وملكاً وتصرفاً، ليس لأحد من ذلك شيء أصلاً { لِيَجْزِىَ الَّذِينَ أَسَاءُواْ بِمَا عَمِلُواْ } أي : ليجازي المسيء بإساءته، { وَيِجْزِى الَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِالْحُسْنَى } أي: وليجازي المحسن بالجنة جزاء إحسانه.

قوله تعالى : { الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ } قيل : الإثم الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب، { وَالْفَوَاحِشَ } جمع فاحشة وهي ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال، { إِلاَّ اللَّمَمَ } أي : إلا ما قل وصغر من الذنوب.

قوله تعالى : { إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ } حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر، فالجملة تعليل لاستثناء اللمم، وتنبيه على أن إخراجه من حكم المؤاخذة به ليس لخلوه عن الذنب في نفسه، بل لسعة المغفرة الربانية. وفي التأويلات النجمية : كبائر الإثم ثلاث مراتب : محبة النفس الأمارة

بالسوء، ومحبة الهوى النافخ في نيران النفس، ومحبة الدنيا التي هي رأس كل خطيئة. ولكل واحدة من هذه المحبات الثلاث فاحشة لازمة غير منفكة عنها، أما فاحشة محبة النفس الأمارة بالسوء فموافقة الطبيعة ومخالفة الشريعة، وأما فاحشة محبة الهوى فحب الدنيا وشهواتها، وأما فاحشة محبة الدنيا فالإعراض عن الله والإقبال على ما سواه. قوله : { إِلاَّ اللَّمَمَ } أي : الميل اليسير إلى النفس والهوى والدنيا بحسب الضرورة البشرية، من استراحة البدن ونيل قليل من حظوظ الدنيا بحسب الحقوق لا بحسب الحظوظ، فإن مباشر الحقوق مغفور، ومبادر الحظوظ مغرور، كما قال : { إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ }. أي : رحمته وسعت كل شيء، ومغفرته تسع الذنوب كلها لمن تاب منها.

قوله تعالى : { هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الأَرْضِ } أي : هو بصير بكم عليم بأحوالكم وأفعالكم وأقوالكم التي ستصدر عنكم، وتقع منكم حين أنشأ أباكم من الأرض، واستخرج ذريته من صلبه أمثال الذر، ثم قسمهم فريقين : فريق للجنة وفريق للسعير. وكذا قوله تعالى : { وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ } قد كتب الملك الذي يوكل به رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد.

قال مكحول : كنا أجنة في بطون أمهاتنا فسقط منا من سقط، وكنا فيمن بقي، ثم كنا مراضع، فهلك منا من هلك، وكنا فيمن بقي، ثم صرنا يفعة فهلك منا من هلك، وكنا فيمن بقي، ثم صرنا شباباً فهلك منا من هلك، وكنا فيمن بقي، ثم صرنا شيوخاً لا أبا لك فماذا بعد هذا ننتظر. رواه ابن أبي حاتم.

قوله تعالى : { فَلاَ تُزَكُّواْ أَنفُسَكُمْ } أي : لا تثنوا عليها ولا تشهدوا لها بالكمال والتقى، فإن النفس خسيسة إذا مدحت اغترت وتكبرت، فالذي ينبغي للشخص هضم النفس وذلها واستخفافها.

مدح رجل رجلاً عند النبي صلى الله عليه وسلّم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « ويلك قطعت عنق صاحبك - مراراً - إذا كان أحدكم مادحاً صاحبه لا محالة فليقل أحسب فلاناً والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحداً، أحسبه كذا وكذا إن كان يعلم ذلك » رواه أحمد.

ويقال : من اعتقد أن على البسيطة أحداً شر منه فهو متكبر. ويقال : المسلم يجب أن يكون بحيث يرى كل مسلم خيراً منه، فإن رأى شيخاً قال : هو أكثر مني طاعة وهو أفضل مني، وإن رأى شاباً قال : هو أفضل مني لأنه أقل مني ذنباً.

وقال الحسن رحمه الله : علم الله من كل نفس ما هي صانعة وإلى ما هي صائرة، فلا تزكوا أنفسكم ولا تطهروها من الآثام، ولا تمدحوها بحسن الأعمال، لأن كل واحد من التخلية والتحلية إنما يُعتَدُّ به إذا كان خالصاً لله تعالى، وإذا كان هو أعلم بأحوالكم منكم فأي حاجة إلى التزكية؟.

قوله تعالى : { هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى } المعاصي جميعاً، وهو استئناف مقرر للنهي، ومشعر بأن فيهم من يتقيها بأسرها، وهذا إذا كان بطريق الإعجاب أو الرياء، فأما من اعتقد أن ما عمله من الأعمال الصالحة من الله تعالى وبتوفيقه وتأييده ولم يقصد به التمدح، لم يكن من المزكين أنفسهم، فإن المسرة بالطاعة وذكرها شكر.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

الــتصـــدق والــقـــرض مـــع الإيـــمــــــــان

بسم الله الرحمن الرحيم

{ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُواْ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١٨) وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَـئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَايَـتِنَآ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١٩) اعْلَمُواْ أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِى الأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَآ إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠) سَابِقُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ }

[الحديد : ١٨ ــ ٢١].

قوله تعالى : { إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُواْ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً } أي : إن الناس الذين تصدقوا وتصدقن، وأقرضوا الله قرضاً حسناً وأقرضن. والإقراض الحسن عبارة عن التصدق من الطيب عن طيبة النفس وخلوص النية على المستحق للصدقة. ففيه دلالة على أن المعتبر هو التصدق المقرون بالإخلاص فيندفع توهم التكرار.

وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه أنه قال : شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم صلاة العيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة، ثم قام متوكئاً على بلال رضي الله عنه، فأمر بتقوى الله وحث على طاعته، ووعظ الناس وذكرهم، ثم مضى إلى النساء فوعظهن وذكَّرَهُن، فقال : « تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم ». قالت امرأة : لِمَ يا رسول الله؟. فقال: « لأنكن تكثرن الشكاية، وتكفرن العشير ». أي : المعاشر وهو الزوج فجعلن يتصدقن من حليهن ويلقين في ثوب بلال حتى اجتمع فيه شيء كثير قسمه على فقراء المسلمين.

قوله تعالى : { يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ } أي : يضاعف لهم ثواهم بأن تكتب الحسنة بعشر أمثالها، ولهم فوق ذلك ثواب حسن جزيل وهو الجنة.

قوله تعالى : { وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَـئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ } أي : الموصوفون بالإيمان بالله ورسله، والمراد الإيمان الكامل، وإلا فمجرد الإيمان لا يسمى الشخص به صديقاً، لأن الصديقية مرتبة تحت مرتبة النبوة. والصِّدِّيقُ نعت لمن كثر منه الصدق، وجمع صدقاً إلى صدق في الإيمان بالله تعالى ورسله.

قوله تعالى : { وَالشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ } قال مقاتل : الشهداء هم الذين استشهدوا في سبيل الله.

قوله تعالى : { لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ } أي : مثل أجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم. فإن قلت كيف يسوّى بينهم في الأجر ولا بد من التفاوت؟. قلت : المعنى : أن الله يعطي المؤمنين أجرهم ويضاعفه لهم بفضله حتى يساوى أجرهم مع أضعافه أجر أولئك.

قوله تعالى : { وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَايَـتِنَآ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ } أي : والذين جحدوا بوحدانية الله وكذبوا بآياته أولئك هم المخلدون في دار الجحيم.

قوله تعالى : { اعْلَمُواْ أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى الأَمْـوَالِ وَالأَوْلادِ } المقصود الأصلي من الآية تحقير حال الدنيا، وتعظيم حال الآخرة، فقال : الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر، ولا شك أن هذه الأشياء أمور محقرة، وأما الآخرة فهي عذاب شديد دائم، أو رضوان الله على سبيل الدوام، ولا شك أن ذلك عظيم.

والمراد أن من صرف هذه الحياة الدنيا لا إلى طاعة الله، بل إلى طاعة الشيطان ومتابعة الهوى، فذاك هو المذموم. ثم إنه تعالى وصفها بأمور:

أولها : أنها { لَعِبٌ } وهو فعل الصبيان الذين يتعبون أنفسهم جداً، ثم إن تلك المتاعب تنقضي من غير فائدة.

وثانيها : أنها { وَلَهْوٌ } وهو فعل الشبان، والغالب أن بعد انقضائها لا يبقى إلا الحسرة، وذلك لأن العاقل بعد انقضائه يرى المال ذاهباً والعمر ذاهباً، واللذة منقضية، والنفس ازدادت شوقاً وتعطشاً إليه مع فقدانها، فتكون المضار مجتمعة متوالية.

وثالثها : أنها { وَزِينَةٌ } وهذا دأب النساء لأن المطلوب من الزينة تحسين القبيح.

ورابعها : { وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ } بالصفات الفانية الزائلة، وهو إما التفاخر بالنسب، أو التفاخر بالقدرة والقوة والعساكر، وكلها ذاهبة.

وخامسها : { وَتَكَاثُرٌ فِى الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ } قال ابن عباس رضي الله عنهما : يجمع المال في سخط الله، ويتباهى به على أولياء الله، ويصرفه في مساخط الله، فهو ظلمات بعضها فوق بعض. وبين أن حال الدنيا إذا لم يخل من هذه الوجوه فيجب أن يعدل عنها إلى ما يؤدي إلى عمارة الآخرة.

قوله تعالى : { كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ } أي : يعجب الزراع نبات ذلك الزرع الذي نبت بالغيث، وكما يعجب الزراع ذلك كذلك تعجب الحياة الكفار، فإنهم أحرص شيء عليها وأميل الناس إليها { ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً } أي : يهيج ذلك الزرع فتراه مصفراً بعد ما كان خَضِراً نَضِراً، ثم يكون بعد ذلك كله حطاماً، أي : يصير يبساً متحطماً. هكذا الحياة الدنيا تكون أولاً شابة، ثم تكتهل، ثم تكون عجوزاً شوهاء. والإنسان يكون كذلك في أول عمره وعنفوان شبابه غضاً طرياً لين الأعطاف، بهي المنظر، ثم إنه يشرع في الكهولة، فتتغير طباعه ويفقد بعض قواه، ثم يكبر فيصير شيخاً كبيراً ضعيف القوى، قليل الحركة يعجزه الشيء اليسير، كما قال تعالى : { اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ } [الروم : ٥٤]. ولما كان هذا المثل دالاً على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة، وأن الآخرة كائنة لا محالة، حذر من أمرها ورغب فيما فيها من الخير فقال تعالى : { وَفِى الأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ } [الحديد : ٢٠]. أي : وليس في الآخرة الآتية القريبة إلا إما هذا وإما هذا، إما عذاب شديد، وإما مغفرة من الله ورضوان.

قوله تعالى : { وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَآ إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ } الحياة الدنيا معرضة للزوال، غير لابثة ولا ماكثة، وهي في الحال شاغلة عن الله، مُطْمِعَةٌ وغير مُشْبِعَةٍ، وتجري على غير سنن الاستقامة، كجريان لعب الصبيان، فهي تلهي عن الصواب واستبصار الحق، وهي حقيرة، وأحقر منها قدراً طالبها، وأقل منه خطراً المزاحم فيها، فما هي إلا جيفة، وطالب الجيفة ليس له خطر. وأخس أهل الدنيا من بخل بها.

قال سعيد بن جبير : الدنيا متاع الغرور إذا ألهتك عن طلب الآخرة، فأما إذا دعتك إلى طلب رضوان الله وطلب الآخرة فنعم الوسيلة.

قوله تعالى : { سَابِقُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ } معناه : لتكن مفاخرتكم ومكاثرتكم في غير ما أنتم عليه، بل احرصوا على أن تكون مسابقتكم في طلب الآخرة، والمعنى سارعوا مسارعة المسابقين في المضمار إلى مغفرة، أي : إلى ما يوجب المغفرة، وهي التوبة من الذنوب.

قوله تعالى : { وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ } أي : أن السموات السبع والأرضين السبع لو جعلت صفائح وألزق بعضها إلى بعض لكان عرض الجنة في عرض جميعها. روى أن جماعة من اليهود سألوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالوا له : إذا كانت الجنة عرضها ذلك فأين النار؟. فقال لهم : أرأيتم إذا جاء الليل أين يكون النهار؟. وإذا جاء النهار أين يكون الليل؟. فقالوا إن مثلها في التوراة. وترك ذكر الطول تعظيماً لشأنها لأنه إذا كان هذا شأن العرض فالطول أعظم لأن العرض أقل من الطول.

قوله تعالى : { ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ } فبين أنه لا يدخل أحد الجنة إلا بفضل الله تعالى لا بعمله { وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ }. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « لن يدخل أحداً منكم الجنةَ عملُه ». قالوا : ولا أنت يا رسول الله؟. قال « ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل رحمته ». رواه البخاري ومسلم.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

صفـــات الـــمصليـــــــن

بسم الله الرحمن الرحيم

{ إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعــاً (٢١) إِلاَّ الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَآئِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِى أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّآئِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (٢٦) وَالَّذِينَ هُم مِّــنْ عَــذَابِ رَبِّهِــم مُّشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَآءَ ذَلِكَ فَأُوْلَــــئِكَ هُــمُ الْعَادُونَ (٣١) وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٣٢) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِم قَائِمُونَ (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُوْلَــئِكَ فِى جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ } [المعارج : ١٩ - ٣٥].

قوله تعالى : { إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً } بين الله تعالى أن الغالب على أحوال نوع الإنســـان الهلع، وأنه مجبول عليه، بحيث صارت هذه الرذيلة كأنهـــا غرزت فيه كسائر الغرائز الطبيعية التي خلق الإنسان عليها، فقال تعالى : { إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً }. والهلع صفة مركبة من صـــفتين ذميمتين، وهما الجزع البالغ عند إصابة المكروه، والبخل والإمساك البالغ عند إصابة الخير، فالمعنى أن الإنسان لإتيان الجزع والمنع ورسوخهما فيه كأنه مجبول عليهما، وكأنه أمر خلقي ضـــروري غير اختياري كقوله تعالى : { خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ } [الأنبياء : ٣٧]. أي : عجولاً في أكثـــر أموره وأغلب أحواله، ولو كان المعنى أنه تعالى خلقه كذلك لكانت الأوصاف المذكورة لازمة له

غير منفكة عنه، لكنها تنفك عنه فإنه حين كان جنيناً في البطن وصبياً في المهد لم يكن به هلع. فإن قيل : ما الحكمة في خلق الإنسان على مساوىء الأخلاق؟. قلنا : الحكمة في خلق الشـــهوة أن يمانع نفسه إذا نازعته نحوها، ويحارب شيطانه عند تزيينه المعصية فيستحق من الله مثوبة وجنة.

قوله تعالى: { إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً } أي: إذا مسه الضر فزع وجزع، وانخلع قلبه من شدة الرعب، وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير.

قوله تعالى : { وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً } أي : إذا حصلت له نعمة من الله بخل بها على غيره، ومنع حق الله تعالى فيها. عن عبد العزيز بن مروان بن الحكم قال : سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « شر ما في رجل شح هالع وجبن خـــالع » رواه أبو داود.

واعلم أنه استثنى من هذه الحالة المذكورة المذمومة من كان موصوفاً بثمانية أشياء.

أولها : قوله تعالى : { إِلاَّ الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَآئِمُونَ } معنى دوامهـــم عليها أن لا يتركوها في شيء من الأوقات، ومحافظتهم عليها ترجع إلى الاهتمام بحالها، حتى يؤتى بها على أكمل الوجوه.

وثانيها : قوله تعالى : { وَالَّذِينَ فِى أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ } أي : نصيب معين، يستوجبونه على أنفسهم تقرباً إلى الله تعالى وإشفاقاً على الناس.

وهم على أقسام : منهم من يؤثر بجميع ماله، فأموالهم لكل مَنْ قَصَدَ، لا يخصون سائلاً من عائل. ومنهم من يعطي ويمسك - وهؤلاء منهم - ومنهم من يرى يده يد الأمانة فلا يتكلف باختياره، وإنما ينتظر ما يشار عليه به من الأمر، إما بالإمساك فيقف أو ببذل الكل أو البعض فيستجيب إلى ما يطالب به وما يقتضيه حكم الوقت.

قوله تعالى : { لِّلسَّآئِلِ وَالْمَحْرُومِ } أي : الذي يسأل، والذي لا يسأل، فَيُحسب غنياً فيحرم، فهو يتلظى بناره في ليله ونهاره، ولا مفزع له بعد ربه المالك لعلانيته وسره إلا إلى إفاضة مدامعه بذلة وانكسار. وهذا من الله تعالى حثٌ على تفقد أرباب الضرورات ممن لا كسب له، ومن افتقر بعد الغنى.

وثالثها : قوله تعالى : { وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ } المراد التصديق به بالأعمال، حيث يتعبون أنفسهم في الطاعات البدنية طمعاً في المثوبة الأخروية، لأن التصديق القلبي عام لجميع المسلمين لا امتياز فيه لأحد منهم. وفي التعبير بالمضارع دلالة على أن التصديق والأعمال تتجدد منهم آناً فآناً.

ورابعها : قوله تعالى : { وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ } والإشفاق يكون من أمرين : إما الخوف من ترك الواجبات، أو الخوف من الإقدام على المحظورات، وهذا كقوله تعالى : { وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ } [المؤمنون : ٦٠]. ومن يدوم به الخوف والإشفاق فيما كلف، يكون حذراً من التقصير، حريصاً على القيام بما كلف به من علم وعمل.

ثم إنه تعالى أكد ذلك الخوف فقال : { إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ } والمراد : أن الإنسان لا يمكنه القطع بأنه أدى الواجبات كما ينبغي، واحترز عن المحظورات بالكلية، بل يجوز أن يكون قد وقع منه تقصير في شيء من ذلك، فلا جرم يكون خائفاً أبداً. لأن عذاب الله لا ينبغي أن يأمنه إنسان، إلا من أمّنه الر ن والأمور بخواتيمها.

إن هؤلاء المصدقين المشفقين قلما تزدهيهم الدنيا، أو يبطرهم نعيمها، أو يجزعون على ما فاتهم من حطامها، فسواء عليهم أخسروا حظوظ الدنيا أم غنموا، إذ أن لديهم من الفكر في جلال ربهم، وذكر معادهم، ما يشغلهم عن الجزع إذا مسهم الشر، ويربأ بهم عن المنع إذا مسهم الخير.

وخامسها : قوله تعالى : { وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلاَّ عَلَىأَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ } أي : أَعِفَّاءُ لا يرتكبون المحارم، ولا يتلوثون بالمآثم، قد صانوا أنفسهم عن الزنى والفواحش.

وسادسها : قوله تعالى : { وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ } لا يُخِلُّونَ بشيء من حقوقها، وكأنه لكثرة الأمانة جُمِعَتْ ولم يُجْمَعِ العهد.

وقال السدي : إن حقوق الشرع كلها أمانات قد قبلها المؤمن وضمن أداءها بقبول الإيمان، وقيل : كل ما أعطاه الله تعالى للعبد من الأعضاء وغيرها أمانة عنده، فمن استعمل ذلك في غير ما أعطاه لأجله، وأذن سبحانه له به فقد خان الأمانة. والخيانة فيها وكذا الغدر بالعهد من الكبائر، على ما نص غير واحد. وقد روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمررضي الله عنهما

مرفوعاً : « أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر ».

وسابعها : قوله تعالى : { وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِم قَائِمُونَ } أي : يشهدون بالحق على القريب والبعيد، ولا يكتمون الشهادة ولا يغيرونها، بل يؤدونها على وجهها الكامل، بحيث تصان بها حقوق الناس ومصالحهم. وخصها بالذكر مع اندراجها في الأمانات، تنبيهاً على فضلها، لأن في إقامتها إحياءً للحقوق، وفي تركها تضييع للحقوق.

وثامنها : قوله تعالى : { وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ } هذا هو الوصف الثامن من أوصاف المؤمنين الذين وفقهم الله إلى تطهير نفوسهم من خلق الهلع المذموم، أي : يراعون شرائط الصلاة ويلتزمون آدابها، ولا سيما الخشوع والتدبر ومراقبة الله فيها، وإلا كانت حركاتٍ صوريةً لا يجني العبد ثمرتها، فإن فائدة الصلاة أن تكف عن المحارم { إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنْكَرِ }.

ولما كانت الصلاة عمود الإسلام بولغ في التوكيد فيها، فذكرت في أول الخصال الحميدة وفي آخرها، ليعلم مرتبتها في الأركان التي بني عليها الإسلام.

قال القرطبي : ذكر تعالى من أوصافهم في البدء { الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَآئِمُونَ } ثم قال في الختم { وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ } والدوام غير المحافظة، فدوامهم عليها أن يحافظوا على أدائها، لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل، ومحافظتهم عليها أن يراعوا إسباغ الوضوء لها ومواقيتها، ويقيموا أركانها، ويكملوها بسننها وآدابها، ويحفظوها من الإحباط

باقتراف المآثم. فالدوام يرجع إلى نفس الصلوات، والمحافظة ترجع إلى أحوالها. وبعد أن ذكر تعالى أوصاف المؤمنين المتقين، ذكر مآلهم وعاقبتهم فقال : { أُوْلَـئِكَ فِى جَنَّـاتٍ مُّكْرَمُـونَ } أي : أولئك المتصفون بتلك الأوصاف الجليلة، والمناقب الرفيعة، مستقرون في جنات النعـيم، الـتي أكرمهم الله فيها بأنواع الكرامات، مع الإنعام والتكريم بأنواع الملاذ والمشـتهيات، لاتصـافهم بمكارم الأخلاق.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

الخـــوف مـــن مقـــام الـــــــــــرب

بسم الله الرحمن الرحيم

{ فَإِذَا جَآءَتِ الطَّآمَّةُ الْكُبْرَى (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإنسَانُ مَا سَعَى (٣٥) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى (٣٦) فَأَمَّا مَن طَغَى (٣٧) وَءاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى } [النازعات : ٣٤ - ٤١].

قوله تعالى : { فَإِذَا جَآءَتِ الطَّآمَّةُ الْكُبْرَى } كونها طامة باعتبار أنها تغلب وتفوق ما عرفـــوه من دواهي الدنيا، وكونها كبرى باعتبار أنها أعظم من جميع الدواهي مطلقاً، وأنت تعلم أن الطامة الكبرى صارت كالعلم للقيامة، ورُوي كونها اسماً من أسمائها.

قوله تعالى : { يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإنسَانُ مَا سَعَى } المراد : يوم يتذكر كل أحد ما عمله من خير أو شر، بأن يشاهده مدوناً في صحيفته، وقد كان نسيه من فرط الغفلة، أو طول الأمد، أو شدة ما لقي، أو كثرته، التي تعجز الحافظ عن الضبط، لقوله تعالى : { أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ } [المجادلة : ٦].

قوله تعالى : { وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى } لكل رآءٍ. وهذا العموم لا ينافيه قوله تعـــالى في سورة الشعراء : { وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (٩٠) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ } [الشـــعراء : ٩٠ -٩١]. لأن إظهارها إنما هو لتهديد الغاوين خاصة، ولكن المؤمنون يرونها أنها مأوى الكفار ومثـــواهم، والمؤمنون يمرون عليها حال مجاوزة الصراط ويؤيده قوله تعالى : { وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَـــانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً } [مريم : ٧١-٧٢].

قوله تعالى : { فَأَمَّا مَن طَغَى (٣٧) وَءاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا } أي : تجاوز الحد في العصيان. وقال حذيفةُ رضي الله عنه : أخوف ما أخاف على هذه الأمة أن يؤثروا ما يرون على مـــا يعلمـــون. ويروى أنه وجد في الكتب : إن الله جل ثناؤه قال : « لا يؤثر عبد لي دنياه علـــى آخرتـــه، إلا بثثت عليه همومه وضيعته، ثم لا أبالي في أيها هلك ». وقوله تعالى : { طَغَى } فيه إشارة إلى فساد حال القوة النظرية، لأن كل من عرف الله عرف حقارة نفسه، وعرف استيلاء قدرة الله عليه، فلا يكون له طغيان وتكبر. وقوله تعالى : { وَءاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا } إشارة إلى فساد حال القوة العملية، وإنما ذكر ذلك لما روي عنه صلى الله عليه وسلّم أنه قال : « حب الدنيا رأس كل خطيئة » رواه البيهقي. ومتى كان الإنسان والعياذ بالله موصوفاً بهذين الأمرين كان بالغاً في الفساد إلى أقصـــى الغايات، وهو الكافر الذي يكون عقابه مخلداً.

قوله تعالى : { فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى } أي : مأواه فلا يخرج من النار، كما يخرج المـــؤمن العاصي، فالكلام في حق الكافر، لكن فيه موعظة وعبرة موقظة.

قوله تعالى : { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى } المقام إنما هو للعبد وأضيف إليه تعالى لملابسته له تعالى من حيث كونُه بين يديه ومُقاماً لحسابه، والعبد إنما يخاف من ذلك المقام لعلمه بالمبدأ والمعاد. فإن الخشية من الله تعالى نتيجة العلم به، والخشية من مقام الحساب نتيجـــة العلم بالمعاد. ولما كان الخوف من الله تعالى سبباً وعلة لمخالفة الهوى ونهي النفس عن الهوى قدمه عليه، ضرورة تقدم العلة على المعلول، وكما أن الطغيان وإيثار الحياة الدنيا والذهول عن الآخرة أصل لجميع القبائح والسيئات، فكذلك الخوف من الله تعالى ومخالفة الهوى أصل لجميع الطاعات

والحسنات، ولذلك كان الوصفان الأولان سبباً لكون صاحبهما من أهل الجحيم، وكان الوصفان الأخيران سبباً للسعادة الأبدية.

وأصل الهوى مطلق الميل، وشاع في الميل إلى الشهوة، وسمي بذلك على ما قال الراغب : لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل واهية وفي الآخرة إلى الهاوية، ولذلك مدح مخالفه. وقال بعض الكبار : الهوى عبارة عن الشهوات السبع المذكورة في قوله تعالى : {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَآءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ} [آل عمران : ١٤]. وقد أدرجها الله في أمرين كما قال : { اعلَمُواْ أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ } [الحديد : ٢٠]. ثم أدرجها في أمر وهو الهوى في الآية. فالهوى جامع لأنواع الشهوات، فمن تخلص من الهوى، فقد تخلص من جميع القيود والبرازخ، وإنما يسلم من الهوى منألزم نفسه الأدب، وقال تعالى : { وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى } فمن الناهي لها؟. تأمل.

قوله تعالى : { فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى } أي : المترل.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

عـــدم الــركـــون إلـــى الـــقَــرابــــــات

بسم الله الرحمن الرحيم

{ فَإِذَا جَآءَتِ الصَّآخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهُ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِىءٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِــرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُوْلَـئِكَ هُـمُ الْكَفَـرَةُ الْفَجَـرَةُ }

[عبس : ٣٣ ــ ٤٢].

قولــه تعــالى : { فَإِذَا جَآءَتِ الصَّآخَّةُ } قــال ابن عبــاس رضــي الله عنهما: الصــاخة اسم من أسماء يوم القيامة، عظمه الله وحذره عباده.

قوله تعالى : { يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهُ وَبَنِيهِ } أي : يراهم ويفر منهم ويبتعد منهم، لأن الهول عظيم والخطب جليل.

قال عكرمة رضي الله عنه : يلقى الرجل زوجته فيقول لها : يا هذه أيَّ بعل كنــت لــك؟. فتقول : نعم البعل كنت، وتثني بخير ما استطاعت. فيقول لها : فإني أطلب إليك اليــوم حســنة هبينها لي لعلي أنجو مما ترين، فتقول له : ما أيسر ما طلبت ولكني لا أطيق أن أعطيــك شــيئاً، أتخوف مثل الذي تخاف. قال : وإن الرجل ليلقى ابنه فيتعلق به، فيقول : يا بني أي : والد كنت لك؟. فيثني بخير. فيقول له : يا بني إني احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك لعلي أنجو بها مما ترى. فيقول ولده : يا أبت ما أيسر ما طلبت ولكني أتخوف مثل الذي تتخوف، فلا أستطيع أن أعطيك

شيئاً. والمراد أن الذين كان المرء في دار الدنيا يفر إليهم ويستجير بهم، فإنه يفـــر منـــهم في دار الآخرة. ذكروا في فائدة الترتيب كأنه قيل : { يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ } بل من أبويـــه فإنهمـــا أقرب من الأخوين، بل من الصاحبة والولد، لأن تعلق القلب بهما أشد من تعلقه بالأبوين.

قوله تعالى: { لِكُلِّ امْرِىءٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ } أي : هو في شغل شاغل عن غيره. عـــن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال : « يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً » فقالت عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله فكيف بالعورات؟. فقـــال : { لِكُـــلِّ امْرِىءٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ } رواه النسائي. قالوا : الاستقامة أن تشهد الوقت قيامة، فما من ولي ولا عارف إلا وهو اليوم بقلبه يفر من أخيه وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه فالعارف مع الخلـــق ولكنه يفارقهم بقلبه.

قوله تعالى : { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ } واعلم أنه تعالى لما ذكر حال يوم القيامة في الهول، بين أن المكلفين فيه على قسمين : منهم السعداء، ومنهم الأشقياء. فوصف السعداء بقوله تعالى : { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ } مسفرة مضيئة متهللة، مِنْ أسفر الصبحُ إذا أضاء. وعن ابن عباس رضي الله عنهما : من قيام الليل، لمـــا روي : «مـــن كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار». وعن الضحاك : من آثار الوضوء. وقيل : من طول ما اغبرت في سبيل الله، وعندي أنه بسبب الخلاص من علائق الدنيا والاتصال بعـــالم القـــدس ومنازل الرضوان والرحمة ضاحكة. يقول الفقير : وجوه يومئذ مسفرة لابيضاضـــها في الـــدنيا بالتزكية والتصفية وزوال كدورتها، ضاحكة لأنها بكت في الله أيام دنياها، حتى صارت عمياء عن

رؤية ما سوى الله تعالى مطلقاً، مستبشرة لأمنها بدل خوفها في الدنيا، ولذا قال : لهم البشرى في الحياة الدنيا، وفي الآخرة بأن تقول لهم الملائكة : لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة.

قوله تعالى : { وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ } أي : يعلوها ويغشاها قترة أي: سواد. عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « يلجم الكافرَ العرقُ ثم تقع الغبرة على وجوههم » رواه ابن أبي حاتم. قال : فهو قوله تعالى : { وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ } وقال ابن عباس رضي الله عنهما : { تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ } أي : يغشاها سواد الوجوه.

قوله تعالى : { أُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ } جمع كافر وفاجر وهو الكاذب المفتري على الله تعالى، فجمع الله تعالى إلى سواد وجوههم الغبرة، كما جمع الكفر إلى الفجور.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين،ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

الإخـــلاص فـــي الإيـــمـــان والـــعمـــــــــل

بسم الله الرحمن الرحيم

{ وَمَآ أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ الصَّلاةَ وَيُؤْتُواْ الزَّكَاةَ وَذَلِـكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَآ أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦) إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً رِّضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِـكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُ } [البينة : ٥ ــ ٨].

قوله تعالى : { وَمَآ أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } المخلص هو الذي يأتي بالحسن لحسنه والواجب لوجوبه. وقيل : الإخلاص محله القلب. وهو أن يأتي بالفعل لوجه الله تعالى مخلصاً له، ولا يريد بذلك رياء ولا سمعة ولا غرضاً آخر، حتى قالوا في ذلك : لا يجعل طلب الجنة مقصوداً ولا النجاة من النار مطلوباً وإن كان لا بد من ذلك، بل يجعل العبد عبادته لمحض العبودية واعترافاً لربه عز وجل بالربوبية.

قوله تعالى : { حُنَفَآءَ } أي : مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام. وأصل الحنف في اللغة الميل وخصه العرف بالميل إلى الخير.

وقال مجاهد : متبعين دين إبراهيم، ولذلك قال : { ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [النحل : ١٢٣]. وهذا التفسير فيه لطيفة؛ كأنه سبحانه لما علم أن

التقليد مستول على الطباع لم يستجز منعه عن التقليد بالكلية، ولم يستجز التعويل على التقليد أيضاً بالكلية، فلا جرم ذكر قوماً أجمع الخلق بالكلية على تزكيتهم، وهو سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ومن معه، فقال : { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِى إِبْرَاهِيمَ وَالَّـذِينَ مَعَـهُ } [الممتحنة : ٤]. فكأنه تعالى قال : إن كنت تقلد أحداً في دينك، فكن مقلداً إبراهيم عليه الصلاة والسلام، حيث تبرأ من الأصنام. وهذا غير عجيب فإنه قد تبرأ من نفسه حين سلمها إلى النيران. فإن لم تقدر ع متابعة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فاجتهد متابعة ولده الصبي، كيف انقاد لحكم ربه مع صغره، فمد عنقه لحكم الرؤيا، وإن كنت دون الرجل فاتبع الموسوم بنقصان العقل، وهو أم الذبيح رضي الله عنها كيف تجرعت تلك الغصة. ثم انظر كيف أطاعت ربها فتحملت المحنة في ولدها، ثم صبرت حين تركها الخليل عليه الصلاة والسلام وحيدة فريدة جبال مكة بلا ماء ولا زاد وانصرف.

قوله تعالى : { وَيُقِيمُواْ الصَّلاةَ } أي : يعدلوا من غير اعوجاج بجميع الشرائط والأركان والحدود، لتصير بذلك أهلاً بأن تقوم نفسها، وهي من التعظيم لأمر الله تعالى. ولما ذكر تعالى صلة الخالق أتبعها صلة الخلائق بقوله تعالى : { وَيُؤْتُواْ الزَّكَاةَ } أي : يدفعوها لمستحقيها شفقة على خلق الله تعالى إعانة على الدين. ثم قال تعالى : { وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَـةِ } أي : الملة المستقيمة والشريعة المتبوعة، والمعنى وذلك دين القائمين لله بالتوحيد، واستدل بهذه الآية من يقول : إن الإيمان قول وعمل، لأن الله تعالى ذكر الاعتقاد أولاً وأتبعه بالعمل ثانياً.

قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ } اعلم أنه تعالى ذكر من أحوالهم أمرين : أحدهما الخلود في نار جهنم. والثاني أنهم شر الخلق. واعلم أن الإساءة

على قسمين : إساءة إلى من أساء إليك، وإساءة إلى من أحسن إليك. وهذا القسم الثاني هو أقبح القسمين. والإحسان أيضاً على قسمين : إحسان إلى من أحسن إليك، وإحسان إلى من أساء إليك وهذا أحسن القسمين. فكان إحسان الله إلى هؤلاء الكفار أعظم أنواع الإحسان، وإساءتهم وكفرهُم أقبح أنواع الإساءة. ومعلوم أن العقوبة إنما تكون بحسب الجناية، فلما كانت جناية هؤلاء الكفار أعظم الجنايات، لا جرم استحقوا أعظم العقوبات، وهو نار جهنم.

قوله تعالى : { خَالِدِينَ فِيهَآ أَوْلَـئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ } أي : شر البرية هم دون غيرهم. وكيف لا؟!. وهم شر من السراق لأنهم سرقوا من كتاب الله تعالى نعوت سيد المرسلين صلى الله عليه وسلّم، وشر من قطاع الطرق لأنهم قطعوا طريق الدين الحق على الخلق، وشر من الجهال الأجلاف لأن الكفر مع العلم يكون كفر عناد، وهو أقبح من كفرالجهال، فظهر منه أن وعيد العلماء السوء أعظم من وعيد الجهال.

قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ } بيان لمحاسن أحوال المؤمنين إثر بيان سوء حال الكفرة جرياً على السنة القرآنية من شفع الترهيب بالترغيب، { أُوْلَئِكَ } أي : المنعوتون بما هو الغاية القاصية من الشرف والفضيلة، من الإيمان والطاعة { هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ }.

قوله تعالى : { جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـاتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـارُ خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً رِّضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ } اعلم أنه تعالى لما وصف الجنة أتبعه بما هو أفضل من الجنة، وهو الخلود أولاً، والرضا ثانياً.

أما الصفة الأولى : وهي الخلود، فاعلم أن الله وصف الجنة مرة بجنات عدن، ومــرة بجنــات النعيم، ومرة بدار السلام، وهذه الأوصاف الثلاثة إنما حصلت لأنك ركبت إيمانك مــن أمــور ثلاثة : اعتقاد وقول وعمل.

وأما الصفة الثانية : وهي الرضا، فاعلم أن العبد مخلوق من جسد وروح، فجنة الجسد هــي الجنة الموصوفة، وجنة الروح هي رضا الرب، والإنسان مبتدأ أمره من عالم الجسد، ومنتهى أمره من عالم العقل والروح، فلا جرم ابتدأ بالجنة وجعل المنتهى هو رضا الله. ثم إنه قدم رضا الله عنهم على قوله : { وَرَضُواْ عَنْهُ } لأن الأزلي هو المؤثر في المحدَث، والمحدَث لا يؤثر في الأزلي. إنما قال: { رِّضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ } ولم يقل رضي الرب عنهم ولا سائر الأسماء لأن أشد الأسماء هيبة وجلالــة لفظ الله، لأنه هو الاسم الدال على الذات والصفات بأسرها، أعني صفات الجــلال وصــفات الإكرام. فلو قال : رضي الرب عنهم لم يشعر ذلك بكمال طاعة العبد لأن المربي قــد يكتفــي بالقليل، أما لفظ الله فيفيد غاية الجلالة والهيبة، وفي مثل هذه الحضرة لا يحصل الرضا إلا بالفعل الكامل والخدمة التامة.

قوله تعالى : { ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ } أي : لمن خاف ربه في الدنيا وانتهى عن المعاصي. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلّم لأبي بن كعب : « إن الله أمرني أن أقرأ عليك { لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ } قال : وسماني؟. قال : «نعم». فبكى. وفي رواية البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال لأبي بن كعب : «إن الله أمرني أن أقرئــك القرآن» قال : آلله سماني لك؟. قال : «نعم». قال : وقد ذكرت عند رب العــالمين؟. قــال : «نعم». قال : فذرفت عيناه.

أما بكاء أُبَيٍّ رضي الله عنه فإنه بكى سروراً واستصغاراً لنفسه عن تأهله لهذه النعمة العظيمة. وإعطائه تلك المنزلة الكريمة والنعمة عليه فيها من وجهين. أحدهما : كونه منصوصاً عليه بعينه. والثاني : قراءة النبي صلى الله عليه وسلّم فإنها منقبة عظيمة لم يشاركه فيها أحد من الصحابة. وقيل : إنما بكى خوفاً من تقصيره في شكره هذه النعمةَ. وأما تخصيص هذه السورة بالقراءة فإنها مع وجازتها جامعة لأصولٍ وقواعدَ ومهماتٍ عظيمة، وكان الحال يقتضي الاختصار. وأما الحكمة في أمر النبي صلى الله عليه وسلّم بالقراءة على أُبَيٍّ فهي أن يتعلم أبي القراءة من ألفاظه صلى الله عليه وسلّم، وضبط أسلوب الوزن المشروع وقدره، بخلاف ما سواه من النعم المستعملة في غيره، فكانت قراءته صلى الله عليه وسلّم على أبي ليتعلم أبي منه، لا ليتعلم هو من أبي. وقيل : إنما قرأ على أبي ليتعلم غيره التواضع والأدب، وأن لا يستنكف الشريف وصاحب الرتبة العالية أن يتعلم القرآن ممن هو دونه. وفيه تنبيه على فضيلة أُبَيٍّ رضي الله عنه والحث على الأخذ عنه وتقديمه في ذلك، فكان كذلك بعد النبي صلى الله عليه وسلّم رأساً وإماماً في القراءة وغيرها، وكان أحدَ علماء الصحابة رضي الله عنهم أجمعين. والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

أسبـــــاب الـــنجـــــــاة

بسم الله الرحمن الرحيم

{ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِى خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّـالِحَاتِ وَتَوَاصَـوْاْ بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ } [سورة العصر : ١ ــ ٣].

سورة العصر مكية، وقد جاءت في غاية الإيجاز والبيان، لتوضيح سبب سعادة الإنسـان، أو شقاوته، ونجاحه في هذه الحياة، أو خسرانه ودماره.

أقسم الله تعالى بالعصر، وهو الزمان الذي ينتهي فيه عمر الإنسان، وما فيه مـن أصـناف العجائب والعبر الدالة على قدرة الله وحكمته. على أن جنس الإنسان في خسارة ونقصان إلا من اتصف بالأوصاف الأربعة : الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والإعتصام بالصبر. وهـي أسس الفضيلة وأساس الدين. ولهذا قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : لو لم يتزل الله تعالى سوى هذه السورة لكفت الناس .

قوله تعالى : { وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِى خُسْرٍ } أي : أقسم بالدهر والزمان بما فيه مـن أصناف الغرائب والعجائب والعبر والعظات، على أن الإنسان في خسران، لأنه يفضل العاجلـة على الآجلة، وتغلب عليه الأهواء والشهوات.

قوله تعالى : { إِلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ } أي : جمعوا بين الإيمان وصالح الأعمال، فهؤلاء هم الفائزون، لأنهم باعوا الخسيس بالنفيس، واستبدلوا الباقيات الصالحات عوضاً عن الشهوات العاجلات.

قوله تعالى : { وَتَوَاصَوْاْ بِالْحَقِّ } أي : أوصى بعضهم بعضاً بالحق، وهو الخير كله من الإيمان والتصديق وعبادة الرحمن.

قوله تعالى : { وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ } أي : وتواصوا بالصبر على الشدائد والمصائب، وعلى فعل الطاعات وترك المحرمات.

حكم الله تعالى بالخسار على جميع الناس إلا من أتى بهذه الأشياء الأربعة، وهي الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، فإن نجاة الإنسان لا تكون إلا إذا كَمَّلَ الإنسان نفسه بالإيمان والعمل الصالح، وكَمَّلَ غيره بالنصح والإرشاد، فيكون قد جمع بين حق الله تعالى وحق العباد، وهذا هو السر في تخصيص هذه الأمور الأربعة.

أخرج البيهقي في الشعب عن أبي حذيفة رضي الله عنه - وكانت له صحبة - قال : كان الرجلان إذا التقيا لم يتفرقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة «والعصر»، ثم يسلم أحدهما على الآخر.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا بأن نتصف بصفات عباده الصالحين، ونتخلق بأخلاق سيد المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم. آمين. والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

~*~*~*~*~*~

المصادر التي اعتمدت عليها في التفسير

١ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. لقاضي القضاة الإمام أبي السعود بن مهدي. [دار إحياء التراث العربي. بيروت].

٢ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل. للشيخ عبد الله البيضاوي رحمه الله تعالى. بهامش حاشية الشيخ زاده. [دار صادر. بيروت].

٣ - تفسير القرآن العظيم. للإمام الجليل إسماعيل بن كثير الدمشقي رحمه الله تعالى. [دار الفيحاء. دمشق].

٤ - التفسير الكبير ومفاتيح الغيب. للإمام محمد الرازي فخر الدين رحمه الله تعالى. [دار الكتب العلمية. بيروت].

٥ - الجامع لأحكام القرآن. للشيخ العلامة محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. رحمه الله تعالى. [دار إحياء التراث العربي. بيروت].

٦ - حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين. للشيخ العلامة الصاوي رحمه الله تعالى. [المكتبة الإسلامية].

٧ - حاشية محي الدين الشيخ زاده رحمه الله تعالى. [دار صادر. بيروت].

٨ - روح البيان. للشيخ إسماعيل حقي البروسوي رحمه الله تعالى.[دار إحياء التراث العربي. بيروت].

٩ - روح المعـــاني. للعلامـــة الشـــيخ محمـــود الألوســـي البغـــدادي رحمـــه الله تعـــالى. [دار إحياء التراث العربي. بيروت].

١٠ - الســـراج المنيـــر. للإمـــام الشيخ الخطـــيب الشربينـــي رحمه الله تعالى. [دار المعرفة. بيروت].

١١ - صفوة التفاسير. تأليف للشيخ محمد علي الصابوني حفظه الله تعالى. [دار القلم العربي. حلب].

١٢ - الكشاف. للعلامة الشيخ محمود الزمخشري رحمه الله تعالى.[دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت].

١٣ - لبـــاب التأويـــل في معـــاني التتريـــل. للإمام العلامة الشيخ علاء الدين المعروف بالخـــازن رحمه الله تعالى. [دار المعرفة للطباعة والنشر. بيروت].

١٤ - لطـــائـــف الإشارات. للإمام العلامة الشيخ عبـــد الكـــريم القشـــيري رحمـــه الله تعـــالى. [مركز تحقيق التراث. مصر].

١٥ - مـــدارك التتريـــل وحقائق التأويل. للإمام الجليل الشيخ عبد الله النسفي. بهـــامش تفســـير الخازن. [دار المعرفة للطباعة والنشر. بيروت].

~*~ فهرست الكتاب ~*~

تقديم	٢
المقدمة	٥
١. صفات المتقين { ألم ذلك الكتاب } البقرة	١٠
٢. مراقبة النفس { أتأمرون الناس بالبر } البقرة	١٦
٣. الصبر ونتائجه { ولنبلونكم بشيء من } البقرة	٢٠
٤. حقيقة البر { ليس البر أن تولوا } البقرة	٢٤
٥. العباد الأتقياء { قل أؤنبئكم بخيرٍ } آل عمران	٢٧
٦. أخلاق المتقين { وسارعوا إلى مغفرةٍ } آل عمران	٣١
٧. الصبر على الابتلاء { لتبلون في أموالكم } آل عمران	٣٦
٨. صفات أولي الألباب { إن في خلق السماوات } آل عمران	٣٩
٩. طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلّم { تلك حدود الله } النساء	٤٦
١٠. التوبة من قريب { إنما التوبة على الله } النساء	٤٩
١١. أداء الأمانة والعدل { والذين آمنوا وعملوا } النساء	٥٢
١٢. عاقبة طاعة الله والرسول { ولو أنا كتبنا عليهم } النساء	٥٥

١٣. أدب التحية { وإذا حييتم بتحيةٍ } النساء	٦٠
١٤. ذكر الله تعالى { فإذا قضيتم الصلاة } النساء	٦٤
١٥. خير النجوى { لا خير في كثيرٍ } النساء	٦٦
١٦. إسلام الوجه لله تعالى { ومن أحسن ديناً } النساء	٦٨
١٧. عدم اتباع الهوى { يا أيها الذين آمنوا كونوا } النساء	٧١
١٨. إخلاص الدين لله تعالى { إن المنافقين في الدرك } النساء	٧٣
١٩. الاعتصام بالله تعالى { يا أيها الناس قد جاءكم } النساء	٧٨
٢٠. الوسيلة والتوسل { يا أيها الذين آمنوا اتقوا } المائدة	٨٠
٢١. عاقبة الصدق { قال الله هذا يوم } المائدة	٨٢
٢٢. الحذر من الدنيا { وما الحياة الدنيا } الأنعام	٨٥
٢٣. الخوف من الظلم { الذين آمنوا ولم يلبسوا } الأنعام	٨٨
٢٤. ترك الإثم ظاهرا وباطناً { وذروا ظاهر الإثم وباطنه } الأنعام	٩٠
٢٥. الاختبار في النعم { وهو الذي جعلكم } الأنعام	٩٢
٢٦. تحريم الفواحش { قل إنما حرم ربِّي } الأعراف	٩٥
٢٧. من أخلاق النبي { خذ العفو وأمر بالعرف } الأعراف	٩٧

٢٨. آداب استماع القرآن { وإذا قرىء القرآن } الأعراف	١٠١
٢٩. صفات كُمَّلِ المؤمنين { إنما المؤمنون الذين } الأنفال	١٠٦
٣٠. الحذر من الفتن { واتقوا فتنةً } الأنفال	١١٠
٣١. عمارة المساجد { إنما يعمر مساجد الله } التوبة	١١٢
٣٢. من صفات المؤمنين { والمؤمنون والمؤمنات } التوبة	١١٥
٣٣. اتباع السلف الصالح { والسابقون الأولون } التوبة	١١٨
٣٤. صفات جامعة { التائبون العابدون } التوبة	١٢١
٣٥. الإيمان والعمل الصالح { إنَّ الذين آمنوا وعملوا } يونس	١٢٦
٣٦. صفات الأولياء { ألا إن أولياء الله } يونس	١٢٩
٣٧. الاعتماد على الله تعالى { وإن يمسسك الله بضر } يونس	١٣٣
٣٨. الصبر في الاتباع { واتبع ما يوحى إليك } يونس	١٣٥
٣٩. عاقبة الإيمان والعمل الصالح { إن الذين آمنوا وعملوا } هود	١٣٧
٤٠. الخوف من يوم القيامة { يوم يأتِ لا تكلم نفسٌ } هود	١٣٩
٤١. الاستقامة { فاستقم كما أمرت } هود	١٤٣
٤٢. تغيير صفات النفس إلى الكمال { له معقباتٌ من بين يديه } الرعد	١٤٩

٤٣. من هم أولوا الألباب؟ { أفمن يعلم أنما أنزل } الرعد	١٥١
٤٤. طمأنينة القلب { الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم } الرعد	١٥٧
٤٥. الوفاء بعهد الله تعالى { إن الله يأمر بالعدل } النحل	١٦٠
٤٦. ثمرات الصبر والعمل الصالح { ما عندكم ينفد } النحل	١٦٤
٤٧. الوقوف عند حدود الله تعالى { ولا تقولوا لما تصف } النحل	١٦٧
٤٨. من ثمرات التوبة { ثم إن ربك للذين } النحل	١٦٩
٤٩. أخلاق الداعية { ادع إلى سبيل ربك } النحل	١٧١
٥٠. أخلاق اجتماعية { وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه } الإسراء	١٧٥
٥١. الحذر من نزغات الشيطان { وقل لعبادي يقولوا } الإسراء	١٨٤
٥٢. الصبر { ولولا كلمةٌ سبقت } طه	١٨٦
٥٣. صفات المفلحين { قد أفلح المؤمنون } المؤمنون	١٩٠
٥٤. المسابقة في الخيرات { إن الذين هم من خشية } المؤمنون	١٩٤
٥٥. أخلاق أهل الفضل { ولا يأتل أولوا الفضل } النور	١٩٨
٥٦. حفظ الحرمات { يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا } النور	٢٠٢
٥٧. المحافظة على ذكر الله تعالى { في بيوت أذن الله } النور	٢١٠

٥٨. صفات الفائزين { إنما كان قول المؤمنين } النور	٢١٢
٥٩. صفات عباد الرحمن { وعباد الرحمن } الفرقان	٢١٤
٦٠. عدم موالاة المجرمين { قال رب بما أنعمت علي } القصص	٢٢٣
٦١. الحرص على الحسنات { تلك الدار الآخرة } القصص	٢٢٦
٦٢. مجاهدة النفس { والذين جاهدوا فينا } العنكبوت	٢٢٨
٦٣. مراقبة الله تعالى { يا بني إنها إن تك } لقمان	٢٣٠
٦٤. التمسك بالعروة الوثقى { ومن يسلم وجهه إلى الله } لقمان	٢٣٤
٦٥. جملة من مكارم الأخلاق { إن المسلمين والمسلمات } الأحزاب	٢٣٦
٦٦. حجاب المرأة المسلمة { يا أيها النبي قل لأزواجك } الأحزاب	٢٤٠
٦٧. معاداة الشيطان وحزبه { يا أيها الناس إن وعد الله } فاطر	٢٤٢
٦٨. خشية العلماء { إنما يخشى الله } فاطر	٢٤٥
٦٩. العلماء يرجون رحمة الله تعالى { أمن هو قانت آناء الليل } الزمر	٢٤٨
٧٠. الأمل برحمة الله تعالى { قل يا عبادي الذين أسرفوا } الزمر	٢٥٢
٧١. الاستقامة وثمراتها { إن الذين قالوا ربنا الله } فصلت	٢٥٦
٧٢. الحذر من مكر الشيطان { ومن يعش عن ذكر الرحمن } الزخرف	٢٦٢

٧٣. صحبة المتقين الأخلاء { يومئذٍ بعضهم لبعض } الزخرف	٢٦٤
٧٤. جزاء الأعمال { وترى كل أمةٍ جاثية } الجاثية	٢٦٧
٧٥. الإحسان إلى الوالدين { إن الذين قالوا ربنا الله } الأحقاف	٢٧٠
٧٦. من أخلاق المتقين { إن المتقين في جنات } الذاريات	٢٧٥
٧٧. من صفات المحسنين { ولله ما في السماوات } النجم	٢٧٨
٧٨. التصدق والقرض مع الإيمان { إن المصدقين والمصدقات } الحديد	٢٨٢
٧٩. صفات المصلين { إن الإنسان خلق هلوعاً } المعارج	٢٨٨
٨٠. الخوف من مقام الرب { فإذا جاءت الطامة الكبرى } النازعات	٢٩٤
٨١. عدم الركون إلى القرابات { فإذا جاءت الصاخة } عبس	٢٩٧
٨٢. الإخلاص في الإيمان والعمل { وما أمروا إلا ليعبدوا الله } البينة	٣٠٠
٨٣. أسباب النجاة { والعصر . إن الإنسان } العصر	٣٠٥
المصادر	٣٠٧
فهرس الكتاب	٣٠٩